

السيد حسين نجيب محمد

قصص وعبر

من حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء



دار الفقه الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ
لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

(سورة يونس، الآية ٥٧)

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «المواعظ حياة
القلوب».

عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «ما من
شيء تراه عينيك إلا وفيه موعظة»



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين - وبعد -

ما من إنسان إلا وهو محتاج إلى المواعظ والعبير التي تنقله من الغفلة إلى اليقظة، ومن الانغماس بالدنيا إلى التوجه نحو الآخرة... ولما قلت مجالس الوعظ في مجتمعنا؛ كان من الضروري اللجوء إلى كتاب يجمع الأحاديث والقصص النافعة ليكون خير معين للواعظين والمتعظين.

وقد قيل لأحدهم - وكان كثير المطالعة - ألا تستوحش؟ فقال: كيف استوحش وأنا أجالس الله والأنبياء والفلاسفة والعلماء.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أهدى المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو تردّه عن ردى».

وفي حديث آخر: «ما تصدّق مؤمن بصدقة أحب إلى الله من موعظة يعظ بها قوماً يتفرقون وقد نفعهم الله بها وهي أفضل من عبادة سنة».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد سبق إلى جنّات عدن أقوام ما

كانوا بأكثر النَّاس صلاة ولا صياماً ولا حجّاً ولا اعتماراً، لكنَّهم عقلوا عن الله مواعظه، فوجلت منه قلوبهم واطمأنت إليه نفوسهم وخشعت له جوارحهم، ففاقوا النَّاس بطيب المنزلة، وعلوِّ الدرجة عند النَّاس في الدُّنيا، وعند الله في الآخرة»^(١).

انطلاقاً من ذلك فقد عمدتُ إلى تأليف هذا الكتاب المحتوي على أهم المواعظ والعبر، ليكون لي وإخواني المؤمنين تذكرة وعبرة.

وإنِّي أنصح - القارئ العزيز - بمطالعة هذا الكتاب بين حين وآخر حتى يبقى قلبه متعلقاً بالآخرة ولقاء ربه، فقد ورد: «إنَّ القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فأحيوها بمواعظ الحكم».

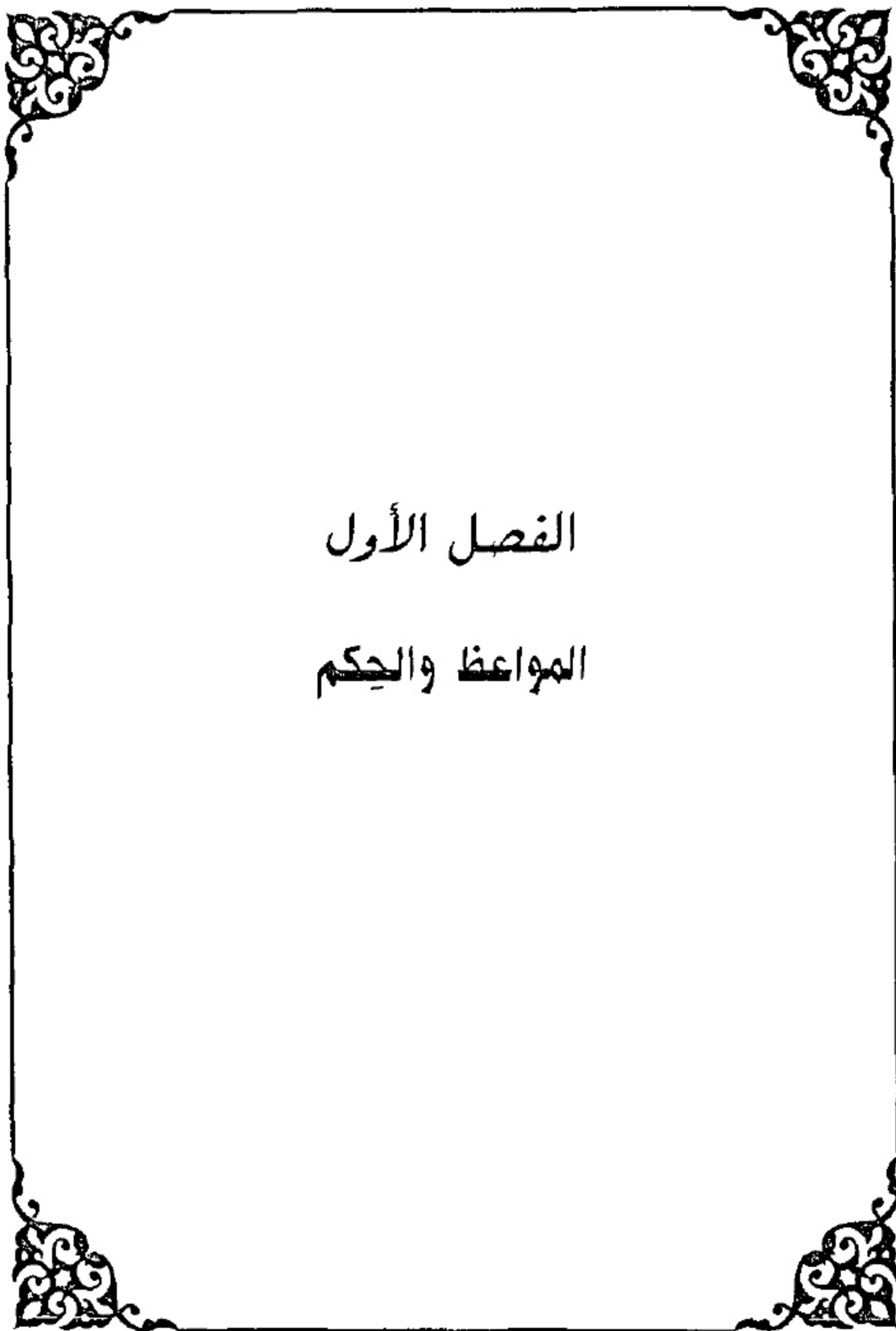
وقد جعلته هدية منِّي إلى النبي محمد والأئمة من بعده الذين هم سادتي وقادتي وأمتي في الدُّنيا والآخرة.

إنِّي على العهد القديم وحبهم
وإذا حُشرت بُعيد موتي في غدٍ
إنِّي أجنب حبهم وهو الذي
والله ولي التوفيق

ديني وكعبة مهجتي ومناري
حبي لهاتيك الوجوه شعاري
أعددته زادي لعقبى داري

حسين نجيب محمد
الموسوي العاملي

(١) روضة المتعطين: ج ١، ص ١٣.



الفصل الأول
المواعظ والحكم

المواعظ

أهمية الموعظة

الموعظة من أهم الأعمال العبادية، والطاعات السبحانية وكيف لا تكون كذلك؟ وهي من فعل الله تعالى، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿يُعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ [النور: ١١٧]... وها هو القرآن الكريم - كلام الله تعالى - قد أنزل إلينا ليكون موعظة وذكرى؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]...

كما إنها من أحوال النبي والأئمة عليهم السلام، فإن في أقوالهم وأفعالهم الكثير من المواعظ والحكم... وقرأ في كتاب «نهج البلاغة» لتجد أن الطابع العام فيه هو الوعظ والإرشاد... ففيه ٨٦ خطبة من مجموع ٢٤٠ خطبة، و٢٥ كتاب من مجموع ٨٠ كتاب، وكلمات قصار، وكلها تشتمل على معان الوعظ كالزهد والتقوى، والتحذير من الدنيا، والغرور بالنفس، وما أشبه.

والموعظة إحدى الأساليب الثلاثة للدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
[التحل: ١٢٥].

«والفرق بين الحكمة والموعظة الحسنة: هو أن الحكمة يُراد بها التعليم والإرشاد والنصيحة. أمّا الموعظة فيُراد بها التذكير وإلفات النظر إلى ما يُعرف ويُعلم ولكنه في غفلة أو تغافل أو تجاهل... فالحكمة يُراد بها التنبه، والموعظة يُراد بها الإيقاظ... والحكمة يُراد بها مكافحة الجهل، والموعظة يُراد بها مكافحة الغفلة والتغافل... فالحكمة فكرة وتعقل أمّا الموعظة فهي «المن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»... والحكمة تعلّم، والموعظة تذكّر... والحكمة تزيد الإنسان وجداناً ذهنياً، أمّا الموعظة فهي توقظ الذهن للاستفادة من الوجدان... والحكمة ترجمان العقل، والموعظة ترجمان الروح والأحاسيس والعواطف»^(١).

دور الموعظة

ما من إنسان إلا وهو بحاجة لسماع المواعظ والحكم... وذلك لأنّ متطلبات الحياة الاقتصادية والانغماس في الأعمال الدنيوية قد يُلهي الإنسان عن ذكر ربه، ويجعله في غفلة عن مصيره إلى قبره... فهنا تأتي الحاجة إلى الموعظة فهي:

حياة القلوب

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «المواعظ حياة القلوب».

(١) في رحاب نهج البلاغة: ص ١٤٨.

وعنه عليه السلام أنه قال لولده الإمام الحسن عليه السلام: «أحي قلبك بالموعظة».

وعنه عليه السلام: «ثمرة الوعظ الانتباه» و«بالمواعظ تنجلي الغفلة»^(١).

وكم من موعظة غيّرت مسيرة الحياة عند بعض الناس.

في (منهاج الكرامة) للعلامة الحلبي - أعلى الله مقامه - في الحديث عن توبة بشر الحافي أن توبته كانت على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حيث أنه اجتاز مرة على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ويدها قمامة النقل، فرمت بها في الدرب، فقال عليه السلام لها: يا جارية صاحب هذا الدار حرٌّ أم عبدٌ؟

فقالت: بل حرٌّ.

فقال عليه السلام: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه.

فلما دخلت قال مولاهما وهو على مائدة السكر: ما أبطأك؟

فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا.

فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده، واعتذر، وبكى لديه استحياءً من عمله، وفي رواية أنه لم يزل حافياً حتّى مات فلُقب بالحافي^(٢).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) روضات الجنات.

قال بعض الحكماء: «إِنَّ البذور تُلقى في الأرض فلا تنبت إلاَّ إذا حرث الحارث تربتها، وجعل عاليها سافلها، كذلك القلب لا تبلغ به الموعظة إلاَّ إذا دخلته، وتخلَّلت أجزائه وبلغت سويداء قلبه، ولا محراث للقلب غير الحكمة والموعظة الحسنة».

يقظة من الغفلة:

يحتاج الغافل المستغرق في اللهو والتفاخر والتكاثف بزينة الحياة الدُّنيا إلى موعظة توقظه من غفلته، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أغفل النَّاس من لم يتعظ بتغير الدُّنيا من حال إلى حال»^(١).

حكى أن هارون العباسي زخرف مجالسه، وبالغ فيها، وصنع طعاماً كثيراً، ثمَّ وجه إلى أبي العتاهية، فأتاه فقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدُّنيا، فقال له في الحال:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً

فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

فقال: أحسنت، ثمَّ ماذا؟ فقال:

يُسْعَى إِلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ

لَدَى الرِّوَّاحِ وَفِي البُكُورِ

فقال: حسن، ثمَّ ماذا؟ فقال:

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّتْ

فِي ضَيْقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ

(١) ميزان الحكمة: مادة «غفل».

فَهَنَّاكَ تَغْلَمُ مُوقِنَا
مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ
فبكى هارون، فقال له الفضل بن يحيى: بعث إليك الخليفة
لتُسْرَهُ فَأَحْزَنَتْهُ؟؟

فقال هارون: دعه فإنه رآنا في غفلةٍ وعمى فكرة أن يزيدنا.

في كل شيء موعظة

يمكن للإنسان أن يتعظ من كل شيء حوله ما دام قلبه سليماً
وعقله واعياً، فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «من كانت له فكرة فله
في كل شيء عبرة»^(١).

وكتب هارون العباسي إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام: عطني
وأوجز، فكتب إليه عليه السلام: «ما من شيء تراه عينيك إلا وفيه
موعظة»^(٢).

وقد ذمَّ الله تعالى الذين يعرضون عن المواعظ بقوله: ﴿وَكَايْنٍ
مِّنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
[يوسف: ١٠٥].

أقسام الموعظة:

تُقسَمُ المواعظ إلى قسمين:

(١) ميزان الحكمة: مادة «وعظ».

(٢) المصدر السابق.

١ - مواعظ قولية:

وهي ما ورد في القرآن الكريم وعلى لسان المعصومين عليهم السلام.
 فعن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن».

وروي أنه قيل للإمام علي عليه السلام: عظنا وأوجز، فقال عليه السلام:
 «الدُّنيا حلالها حساب وحرامها عقاب...»^(١).

٢ - مواعظ عملية:

وهي النظر في أحوال الموتى والمرضى وأصحاب العاهات وما أشبه، وهي أبلغ من المواعظ القولية وأشدَّ وقعاً في التأثير.

فعن الإمام علي عليه السلام: «أبلغ العظات النظر إلى مصارع الأموات والاعتبار بمصائر الآباء والأمهات».

ومن كلام له وهو على فراش الموت: «بالأمس أنا صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، ليعظكم هدوئي وخفوت إطراقي، وسكون أطرافي، فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع».

وعنه عليه السلام: «اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم»^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وقد قيل: «محلّة الأموات أبلغ العظّات فزوروا القبور واعتبروا بالنشور».

مجالس الوعظ:

من الضروري لكل إنسان ارتياد مجالس الوعظ أو مجالسة الواعظين والاستماع إليهم فإنّ في ذلك تأثير كبير على انشراح القلب والتوجه إلى الله تعالى.

وقد كان الصحابة إذا جلسوا بين يدي رسول الله ﷺ واستمعوا لكلامه عزفوا عن الدنيا واقتربوا من الآخرة.

ومن هنا جاء في الروايات الشريفة ممّا يلي:

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ارتعوا في رياض الجنّة، قيل: يا رسول الله وما رياض الجنّة؟ فقال ﷺ: «مجالس الذكر».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من جلس مجلساً يُحیی فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وفي وصية لقمان لولده: «اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عزّ وجلّ فاجلس معهم، فإنّك إن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً وإن كنت جاهلاً علّموك، ولعلّ الله يظلمهم برحمته فتعمّك معهم»^(١).

(١) ميزان الحكمة: مادة «جلس».

تأثير الموعظة :

كلّما كان القلب سليماً من الأمراض النفسانية كان تأثير الموعظة أكثر وأدوم... فمن النَّاس من يتأثر بالموعظة إذا حضر في مجلس الوعظ أو ذهب إلى المقبرة لتشييع الموتى... حتى إذا رجع إلى بيته نسي ما كان فيه... ومنهم من يتأثر أكثر من ذلك.

لذلك كان من الضروري المواظبة على استماع المواعظ أو قراءة الكتب الأخلاقية... وأهم ما ينفع في هذا المجال:

أ - أن نعتبر أنّ الموعظة موجّهة إلينا لا إلى غيرنا... فالبعض يقرّ ويدعن أنّ الموت حتم على رقاب العباد ولكنه يرى أنّ الموت يلاقي غيره ولا يلاقيه، كمن يذهب إلى الحرب والقتال ويرى أنّه سيعود سالماً وأنّ الميت غيره...

ب - أن نفتح قلوبنا للموعظة.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «من لم يجعل له من نفسه واعظاً، فإنّ مواعظ النَّاس لن تغني عنه شيئاً»^(١).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «ابن آدم! إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً»^(٢).

ج - أن نسعى للعمل بالموعظة.

(١) ميزان الحكمة: مادة «وعظ».

(٢) المصدر نفسه.

فمن النَّاس من إذا سمع الموعدة تألم - كحال الذي يتألم عندما تضع يدك على الجرح - واعترض وهرب، كبعض الذين كانوا مع الإمام علي عليه السلام فقد قال عليه السلام فيهم: «وأعظكم بالموعدة البالغة فتفرقون عني»^(١). فالعاقل هو من يطلب الانتفاع بالموعدة.

فمن وصايا الإمام علي عليه السلام لولده الحسن: «ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالآداب، والبهايم لا تتعظ إلا بالضرب»^(٢).

وعنه عليه السلام: «استصبحوا من شعلة واعظ متعظ واقبلوا نصيحة ناصح متيقظ، وقفوا عندما أفادكم من التعليم»^(٣).

تأثير الواعظ:

لا شك بأن لشخصية الواعظ دوراً أساسياً في تأثير الموعدة، فإنَّ النَّاس قد تأخذ العلم أو الحكمة من أيّ كان «الحكمة جوهرة يأخذها المؤمن أينما وجدها» بينما لا ينتفع بالموعدة إلا إذا خرجت من قلب التقي «فما خرج من القلب دخل إلى القلب وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان».

لذا نجد أنَّ كلمات الإمام علي عليه السلام - وقد مرَّ على صدورنا أكثر من ألف عام - ما زالت تؤثر في العقول والقلوب والألباب والعواطف والأحاسيس وسيبقى أثرها ما بقيت الإنسانية.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

وقد عُرف في تاريخ العلماء الشيخ «جعفر الشوشتري» بقوة بيانه وتأثير وعظه حتى قال فيه بعض العلماء: إن أثر الأنفاس القدسية للحاج الشيخ الشوشتري وفعل مواعظه كان من القوة بحيث ينخرط العلماء والمجتهدون والمستمعون - خلال مجلسه - في حالة من البكاء والنحيب، كما لو كانوا في مجلس عزاء، وفي أحد الأيام كان يقرأ الآية ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [بقر: ٥٩] فارتفعت أصوات الحاضرين بالصراخ والعيول، وكان الرسميون العثمانيون يحضرون مجالسه، فما أن يستهل الشيخ مجلسه بتلاوة القرآن حتى تأخذهم حالة من البكاء ويقولون: كأننا لم نسمع هذه الآيات إلا الساعة»^(١).

يُنقل عنه أنه التفت أحد الليالي إلى الناس وهو يتحدث عن القيامة والنار..

وقال: إني أشم رائحة نار وحريق في المسجد.

وإذا بمجاميع كبيرة من الناس تقوم وتذهب يمناً ويسرى ليروا مكان الحريق..

وإذا بالشيخ يلتفت ويقول: اقعديوا في مكانكم، إنه لم يحدث شيء فتعجبوا من حديثه ثم قال:

أيها الناس كيف تصدقون جعفر - يعني نفسه - عندما حدثكم عن أن هناك حريقاً.. ولا تصدقون قول الله بالعذاب والنار.. فأبكى الناس ونبّههم من غفلتهم.

(١) الأيام الحسينية: ص ١٨.

يقول الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله: «المواعظ البليغة هي وظيفة الأنبياء، ومن أجل وجوب القيام بها صار العلماء ورثة الأنبياء... تلك العظمت كالسحاب الماطر إذا أصاب الأرض الطيبة أنبت نباتاً حسناً، وإذا وقع على الخبيثة أخرجت شوكة أو ملحاً... كل هذا ممّا لا مرأى فيه، إنّما الداء العضال وعقدة الإشكال في الواعظين... فأين الواعظون المتعظون؟ وأين الصالحون المصلحون؟ والكلّ يعلم ويقول: «إنّ الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب وإذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان» و«أصول الفرائض يجمعها ثلاثة عناوين: يجب على الإنسان أن يعلم ثمّ يعمل ثمّ يُعلّم» وروح هذه الأصول الثلاثة الإخلاص والمعرفة، وعلى درجات الأخلاص يكون التأثير في المحلّ القابل والاستعداد الكامل... وصف المتقين أمير المؤمنين عليه السلام فما فرغ من خطبته حتى صعق «همّام» ولحق بإخوانه المتقين... ووعظ بعض العرفاء شاباً من تلاميذه فشهِق شهقة كانت روحه فيها فجاءت أمه تبكي ومعها أهله يطالبون الشيخ بديته فقال الشيخ: نفوس طهرت وطابت، ثمّ دُعيت فأجابت، خذوا ديتّه ممّن أخذه، ممّن دعا فلّباه وتجلّى له فاستهواه» نعم هكذا تضع المواعظ البليغة فيمن يعيها من سامعيها»^(١).

نصيحة للخطباء وطلاب العلوم الدينية،

يقول السيد صادق الشيرازي: «كان السيّد أحمد القمي الروحاني مجتهداً وواعظاً مؤثراً لأنّه كان متعظاً في نفسه، أدركته وحضرتُ

(١) المثل العليا في الإسلام: ص ٨٠.

مجلسه ليلة النصف من شعبان حيث زيارة الإمام الحسين عليه السلام وحضور الزوّار من كلّ المحافظات ومن مختلف الطبقات إلى كربلاء المقدّسة. وكان يرتقي المنبر في المدرسة الهندية وهي مدرسة علمية دينية، فتمتلىء المدرسة بالعلماء والمدرّسين والخطباء والطلبة، لأنّه كان واعظاً بحق.

حكى هذا العالم الواعظ أنّه حضر مجلساً خاصّاً عُقد في طهران وكان يحضره الخطباء المشهورون في إيران يومذاك، فقال الخطيب الذي دُعي ليصعد المنبر في ذلك المجلس لسائر الخطباء: إنّي مدعوّ لارتقاء المنبر في مجلس يحضره أناس من مختلف الطبقات وربّما يحضره أشخاص لم يحضروا مجلساً طيلة عمرهم أو لا يحضرون إلاّ مجلساً واحداً في السنة كيوم عاشوراء مثلاً، ثم طلب من الخطباء الآخرين أن يشيروا عليه في الموضوع الذي يتناسب طرحه في مجلس كهذا.

فاقترح بعضهم أن يتناول أصول الدّين، واقترح آخر أن يتحدث عن الأخلاق، واقترح ثالث أن يعلمهم الصلاة ويرشدهم لوجوبه وأهميته، فمن المفترض أن يوجد في مجلس عام كهذا أناس لا يصلّون، فعسى أن يهديه الله ويصبح من المصلين.

تكلّم الجميع وكلُّ أدلى بدلوه إلاّ السيّد أحمد القمي بقي ساكناً، وعندما انتهوا أجمعهم التفت الخطيب إلى السيّد أحمد القمي وطلب أن يشير عليه باقتراحه إلاّ أنّ السيّد امتنع من الكلام، وقال له: السادة أعظم أهل الفن موجودون وقد أشاروا عليك. قال الخطيب: ولكنني أريد أن أعرف رأيك. قال السيّد القمي: كلّ الذي

قالوه جيد، ثم إنك لا تريد أن ترتقي أكثر من منبر، ففي ما اقترحوه الكفاية إذا، وما الداعي للإضافة؟ ولكن الخطيب أصر على السيد طالباً رأيه، ولم يشتهر السيد بعدُ يومذاك خطيباً من الدرجة الأولى، لكن إجابته تكشف عن أنه كان كذلك؛ فقد قال له: في الواقع، ليس لديّ موضع خاص أقترحه عليك أكثر ممّا اقترحه عليك الأخوة الخطباء، فقد اقترح كلّ موضوعاً واستوعبه ذهنك وبحمد الله، ولكن أسألك أسئلة أولاً ثمّ أتقدم إليك باقتراحي، وكان بإمكانه أن يطرح اقتراحه دون الحاجة إلى هذه الأسئلة ولكن أراد أن يهيئه للموضوع ويجعل إجابته من باب المقدمات والإعداد النفسي.

فسأله عن المكان الذي يقام فيه المجلس ثمّ عن مساحة الأرض التي يقوم عليها، وكمية الحضور مثلاً، ثم طلب منه أن يصف له موقع المنبر والزاوية التي يوضع فيها. . وكان يريد بذلك أن ترسم صورة المجلس في ذهنه.

وهنا قال له: عندما تصعد المنبر وتبدأ بقراءة المقدمة وتفكر في ترتيب الموضوع الذي وقع عليه اختيارك، تصور وأنت في تلك الحالة أنّ رسول الله ﷺ جالس هناك أمامك آخذ لحيته بيده ويشكو لك غربة دينه، جسّد هذه الصورة في ذهنك ثم انظر وأنت في تلك الحالة ماذا ستقول وكيف ستتكلّم؟

نُقل عن ذلك الخطيب أنّه قال: عندما صعدت المنبر تراءى لي ذلك المنظر حقاً فقد امتلكني وهيمن عليّ شعور بحضور الرسول ﷺ وأنته يراني وينظر ما أقول وكيف أخدم دينه؛ ثم انتخبت موضوعاً وبدأت أتكلّم عنه، وكان لكلماتي تأثير معنوي عظيم في الناس، وأنا

أجزم إنَّه لم يكن ليحصل لولا تأثير تلك الالتفاتة المعنوية
والإحساس بمراقبة النبي ﷺ^(١).
من أهم المواعظ:

(١) مواعظ إسلامية: ص ١١٦.

من مواعظ الله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

* عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من يوم يمر إلا والباري عز وجل ينادي: عبدي! ما أنصفتني أذكرك وتنسى ذكري، وأدعوك إلى عبادتي وتذهب إلى غيري، وأرزقك من خزائني، وأمرك لتتصدق لي وجهي، فلا تطيعني، وأفتح عليك أبواب الرزق، وأستقرضك من مالي فتجبهني، وأذهب عنك البلاء، وأنت معتكف على فعل الخطايا.

يَا بَنَ آدَمَ! مَا يَكُونُ جَوَابُكَ لِي غَدًا إِذَا أَجَبْتَنِي»^(١).

* رُوي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْسِلُ مَلَكًا يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَنَادِي: «يَا أَبْنَاءَ الْعِشْرِينَ! جِدُّوا وَاجْتَهِدُوا، وَيَا أَبْنَاءَ الثَّلَاثِينَ! لَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَيَا أَبْنَاءَ الْأَرْبَعِينَ! مَا أَعْدَدْتُمْ لِلِقَاءِ رَبِّكُمْ، وَيَا أَبْنَاءَ الْخَمْسِينَ! أَتَاكُمْ التَّنْذِيرُ، وَيَا أَبْنَاءَ السُّتِينَ! زَرَعْنَا أَنْ حَصَادُهُ، وَيَا أَبْنَاءَ السَّبْعِينَ! نُودِيَ لَكُمْ فَأَجِيبُوا، وَيَا أَبْنَاءَ الثَّمَانِينَ! أَتَيْتُكُمْ السَّاعَةَ وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ.

(١) كلمة الله: ص ٣٤٥.

لَوْلَا عِبَادُ رُكَّعٍ، وَرَجَالُ خُشَّعٍ، وَصِيبَانُ رُضَّعٍ، وَأَنْعَامٌ رُتَّعٍ، لَصَبَّ
عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ صَبًّا^(١).

* في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه
في الألواح، وهي معظم التوراة، وعليها مدار كل شريعة.

وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله الملك الجبار،
العزیز القهار، لعبده ورسوله موسى بن عمران: أن سبحني وقدسني، لا
إله إلا أنا فاعبدني، ولا تشرك بي شيئاً، واشكر لي ولوالديك إليّ
المصير، أحبك حياة طيبة، ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك،
فأضيق عليك السماء بأقطارها والأرض برحبها، ولا تحلف باسمي
كاذباً، فإنني لا أظهر ولا أزكي من لا يُعظم اسمي، ولا تشهد بما لا
يعي سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك، فإنني أوقف أهل
الشهادات على شهادتهم يوم القيامة وأسألهم عنها، ولا تحسد الناس
على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فإن الحاسد عدو نعمتي ساخط
لقسمتي، ولا تزني، ولا تسرق فأحجب عنك وجهي وأغلق دون
دعوتك أبواب السماوات، ولا تذبح لغيري، فإنه لا يصعد إليّ من
قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمي، ولا تفجرن بحليلة جارك
فإنه أكبر مقتاً عندي، واحبب للناس ما تحب لنفسك واکره لهم ما
تكره لنفسك^(٢).

* روي أن موسى ﷺ ناجى الله تبارك وتعالى فقال له في
مناجاته: «يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيقسمو قلبك، وقاسي

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) قصص الأنبياء: ص ٣٨٧.

القلب مني بعيد، وأمت قلبك بالخشية، وكُن خلق الثياب، جديد القلب، تخفى على أهل الأرض وتُعرف في أهل السماء، جلس البيوت، مصباح الظلم، واقنت بين يدي قنوت الصابرين، وصحح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوّه، واستعن بي على ذلك فإنني نعم العون، ونعم المستعان، يا موسى إنّي أنا الله فوق العباد، والعباد دوني، وكل لي داخرون، فاتهم نفسك على نفسك، ولا تأمن ولدك على دينك إلا أن يكون ولدك مثلك يحبّ الصالحين.

يا موسى أنت عبدي وأنا إلهك، لا تستذلّ الحقير الفقير، ولا تغبط الغني بشيء يسير، وكن عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوته برحمتي طامعاً، واسمعني لذاذة التوراة بصوت خاشع حزين؛ اطمئن عند ذكري، وذكّر بي من يطمئن إليّ، واعبدني ولا تشرك بي شيئاً...

يا موسى كُن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وعقر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يدي في القيام، وناجني حين تناجيني بخشية...

يا موسى إن انقطع حبلك مني لم يتصل بحبل غيري، واعبدني وقم بين يدي مقام العبد الحقير، ذم نفسك فهي أولى بالذم، ولا تتناول بكتابي على بني إسرائيل...

ثم عليك بالصلاة الصلاة، فإنها مني بمكان عظيم، ولها عندي عهد وثيق...

يا موسى لا تنسني على كل حال، ولا تفرح بكثرة المال، فإن
نسياني يقسي القلب، ومع كثرة المال كثرة الذنوب...

يا موسى اجعلني حرك، وضع عندي كنزك من الصالحات،
وخفني ولا تخف غيري وإليّ المصير...

يا موسى ضع الكبر، ودع الفخر، واذكر أنك ساكن القبور،
فليمنعك ذلك من الشهوات...

يا موسى عجل التوبة، وأخر الذنب، وتأن في المكث بين يدي في
الصلاة، ولا ترج غيري، اتخذني جنة للشدائد وحصناً لملكات الأمور.

يا موسى نafs في الخير أهله، فإن الخير كاسمه، ودع الشر
لكل مفتون.

يا موسى اجعل لسانك من وراء قلبك تسلم وأكثر ذكري بالليل
والنهار تغنم، ولا تتبع الخطايا فتندم، فإن الخطايا موعدها النار.

يا موسى، الموت لا قيك لا محالة فتزود زاد من هو على أن
يتزود قادر...^(١).

* أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: «يَا عِيسَى! هَبْ لِي مِنْ
عَيْنِكَ الدُّمُوعَ، وَمِنْ قَلْبِكَ الخُشُوعَ، وَقُمْ عَلَى قُبُورِ الأَمْوَاتِ فَنادِهِمْ
بِالصَّوْتِ الرَّفِيعِ، لَعَلَّكَ تَأْخُذُ مَوْعِظَتَكَ مِنْهُمْ، وَقُلْ: إِنِّي لَأَحِقُّ فِي
الْأَحْقِينَ»^(٢).

(١) قصص الأنبياء: ص ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٩.

وأوحى إليه: «يَا عِيسَى! أَرْهَدْ فِي الْفَانِي الْمُنْقَطِعِ، وَطَأْ رُسُومَ مَنَازِلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَأَدْعُهُمْ وَنَاجِهِمْ... هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَتُحَدُّ مَوْعِظَتَكَ مِنْهُمْ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَلْحَقُهُمْ فِي اللَّاحِقِينَ»^(١).

جاء في زبور داود عليه السلام في السُّورَةِ الْعَاشِرَةِ: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْفُلُوا عَنِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَغْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ لِبَهْجَةِ الدُّنْيَا وَنَضَارَتِهَا... إِنَّ الْكَمَالَ كَمَالُ الْآخِرَةِ، وَأَمَّا كَمَالُ الدُّنْيَا فَمُتَّعِيرٌ وَزَائِلٌ».

* وأوحى الله إليه، قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا تَجْمَعُوا الْمَالَ مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ صَلَوَاتِهِمْ وَأَهْجُرُ أَبَاكَ عَلَى الْمَاصِي، وَأَخَاكَ عَلَى الْحَرَامِ وَأَتْلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبَأَ رَجُلَيْنِ، كَانَا عَلَى عَهْدِ إِدْرِيسَ، فَجَاءَتْ لَهُمَا تِجَارَةٌ وَقَدْ فَرِضَتْ عَلَيْهِمَا صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَقَالَ الْوَاحِدُ: أَبْدَأُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَبْدَأُ بِتِجَارَتِي، وَالْحَقُّ أَمْرُ اللَّهِ فَذَهَبَ هَذَا لِتِجَارَتِهِ وَهَذَا لِصَلَاتِهِ فَأَوْحِيَتْ إِلَى السَّحَابِ فَانْفَخَتْ وَأَطْلَقَتْ نَارًا وَأَحَاطَتْ، وَاشْتَعَلَ الرَّجُلُ بِالسَّحَابِ وَالظُّلْمَةُ، فَذَهَبَتْ تِجَارَتُهُ وَصَلَاتُهُ، وَكَتَبَ عَلَى بَابِهِ: أَنْظَرُوا مَاذَا تَصْنَعُ الدُّنْيَا وَالتَّكَاثُرُ بِصَاحِبِهِ؟^(٢).

* «دَاوُدُ! أَتْلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبَأَ رَجُلٍ دَانَتْ لَهُ أَقْطَارُ الْأَرْضِ حَتَّى اسْتَوَى، وَسَعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَأُحْمَدَ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ الْبَاطِلَ، وَعَمَّرَ الدُّنْيَا، وَحَصَّنَ الْحُصُونِ، وَحَبَسَ الْأَمْوَالَ فَبَيْنَمَا هُوَ فِي غَضَارَةِ دُنْيَاهُ، إِذْ أَوْحِيَتْ إِلَى زَبُورٍ يَأْكُلُ لَحْمَةً خَدِهِ، وَيَدْخُلُ

(١) المصدر السابق: ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٤٠.

لِيَلْدَغَ الْمَلِكَ فَدَخَلَ الزُّنْبُورُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سِتَّارُهُ وَوُزْرَاؤُهُ وَأَعْوَانُهُ، فَضْرَبَ خَدَّهُ فَتَوَرَّمَتْ وَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ أَعْيُنٌ دَمًا وَقَيْحًا، فِشْرَ عَلَيْهِ يَقَطُّعُ مِنْ لَحْمٍ وَجِهَةٍ، حَتَّى كَانَ كُلُّ مَنْ يَجْلِسُ عِنْدَهُ يَشْمُ مِنْهُ نَشْنَأً عَظِيمًا، حَتَّى دَفَنَ جُثَّةً بِلَا رَأْسٍ فَلَوْ كَانَ لِلْأَدَمِيِّينَ عِبْرَةٌ تَرَدُّعُهُمْ لَرَدَّعَتْهُمْ، وَلَكِنْ أَشْتَعَلُوا بِلَهْوِ الدُّنْيَا وَلَعِبِهِمْ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَلَا أُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ»^(١).

* في الحديث القدسي: «يَابْنَ آدَمَ! أَكْثَرُ مِنَ الزَّادِ إِلَى طَرِيقِ بَعِيدٍ، وَخَفِيفِ الْحِمْلِ فَالصِّرَاطُ دَقِيقٌ، وَأَخْلِصِ الْعَمَلَ فَإِنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ، وَأَخْرُ نَوْمَكَ إِلَى الْقُبُورِ، وَفَخْرَكَ إِلَى الْمِيزَانِ وَلذَاتِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَكُنْ لِي أَكُنْ لَكَ، وَتَقَرَّبْ إِلَيَّ بِالْإِسْتِهَانَةِ بِالدُّنْيَا تَبْعُدْ عَنِ النَّارِ»^(٢).

* حُكِيَ أَنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ عليه السلام دَخَلَ عَلَى الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْقَطِيفِيِّ فِي صُورَةِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ وَسَأَلَهُ عَنْ أِبْلَغِ آيَةٍ فِي الْمَوْعِظَةِ فَقَرَأَ الشَّيْخُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَمَّنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا سِئَلْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٠].

فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ: صَدَقْتَ يَا شَيْخَ ثُمَّ خَرَجَ. فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلُ بَيْتِهِ فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا دَاخِلًا وَلَا خَارِجًا»^(٣).

(١) المصدر السابق: ص ٤٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥٣.

(٣) روضات الجنات: ج ١، ص ٣٦.

موعظة جبرائيل (ع)

* جاء جبرائيل إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واجمع ما شئت فإنك تاركه، واعمل ما شئت فإنك مُجازى به، وأعلم أن شرف الإنسان قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس»^(١).

* أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فأخذه وأخرجه إلى البقيع، فأنتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه، فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب من وجهه وهو يقول: الحمد لله والله أكبر، فقال جبرائيل: عد بإذن الله، ثم انتهى إلى قبر آخر، فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل مسود الوجه وهو يقول: يا حسرتاه يا لشبوراه. ثم قال له جبرائيل: عد إلى ما كنت بإذن الله، ثم قال: يا محمد هكذا يُحشرون يوم القيامة، والمؤمنون يقولون هذا القول، وهؤلاء يقولون ما ترى^(٢).

(١) كنوز الحكمة: ص ١٦٦.

(٢) هدية المتقين: ص ٧٢٦.

موعظة النبي نوح (ع)

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عاش نوح ألفي وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يُبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، ومائتا سنة في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة، ونصب الماء، فمصر الأماص، وأسكن ولده البلدان، ثم إنَّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس.

قال: السَّلام عليك.

فردَّ عليه نوح السَّلام، فقال: ما حاجتك يا ملك الموت؟

قال: جئت لأقبض روحك.

قال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظل؟

فقال له: نعم.

فتحوَّل نوح، ثمَّ قال عليه السلام: يا ملك الموت فكأنَّ ما مرَّ بي من الدُّنيا مثل تحوُّلي من الشمس إلى الظل، فامض لما أمرت به.

قال: فقبض روحه عليه السلام»^(١).

موعظة النبي يوسف (ع) وزليخا

- نُقل أنّ النبي يوسف عليه السلام لبث في منزل الملك وزليخا سبع سنين وهو مطرق إلى الأرض لا يرفع طرفه إليها مخافة من ربه..
- فقلت له يوماً: ما أحسن عينيك؟
- قال: هما أول ساقط على خدي في قبري.
- قالت: ما أطيب ريحك!
- قال: لو شممت رائحتي بعد ثلاث من موتي لهربت مني.
- قالت: لم لا تقترب؟
- قال: أرجو بذلك القرب من ربي.
- قالت: فرشني الحرير، فقم واقض حاجتي.
- قال: أخشى أن يذهب من الجنة نصيبي.
- قالت: أسلمك إلى المعذنين.
- قال: يكفيني ربي^(١).

(١) التور المبين: ص ٢٠٣.

موعظة النبي زكريا ويحيى (ع)

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان من زهد يحيى بن زكريا عليه السلام أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحناف والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وملكوا فيها السلاسل وشدوها إلى سوارى المسجد، فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال: يا أماه أنسجي لي مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحناف والرهبان.

فقلت له أمه: حتى يأتي نبي الله أبوك وأوامره في ذلك.

فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى.

فقال له زكريا: يا بني، ما يدعوك إلى هذا وإنما أنت صبي صغير؟

فقال له: يا أبت، أما رأيت من هو أصغر مني ستاً قد ذاق الموت؟

قال: بلى، ثم قال لأمه: أنسجي له مدرعة من شعر وبرنسا من صوف ففعلت، فتدرع المدرعة على بدنه ووضع البرنس على

رأسه، ثم أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله عزَّ وجلَّ مع الأحرار حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى، فأوحى الله إليه: يا يحيى أتبكي ممَّا قد نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت إلى النَّار اطلاعة لتدرعت مدرعة من حديد فضلاً عن المسوح، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه وبدا للناظرين أضراسه، فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحرار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه فقال: ما شعرت بذلك.

فقال زكريا: يا بني ما يدعوك إلى هذا، إنما سألت ربِّي أن يهبك لي لتقرَّ بك عيني.

قال: أنت أمرتني بذلك يا أبت.

قال: ومتى ذلك يا بني.

قال: ألسن القائل إنَّ بين الجنَّة والنَّار لعقبة ولا يجوزها إلاَّ البكاؤون من خشية الله؟

قال: بلى، فجد واجتهد وشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته أمه فقالت: أتأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتين من لبود تواريان أضراسك وينشَّفان دموعك؟

فقال لها: شأنك فاتخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشَّفان دموعه، فبكى حتى ابتلَّتا من دموع عينيه، فحسر عن ذراعيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدر الدموع من بين أصابعه.

فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا ابْنِي وَهَذِهِ دُمُوعُ عَيْنَيْهِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يمينا وشمالا، فإن رأى يحيى عليه السلام لم يذكر جنّة ولا ناراً، فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل وأقبل يحيى عليه السلام وقد لفّ رأسه بعباءة وقعد في غمار الناس، فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى، فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرائيل عن الله تبارك وتعالى أنّ في جهنم جبلاً يُقال له السكران، في أصل ذلك الجبل واد يُقال له الغضبان لغضب الرّحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام، في ذلك الجبّ توابت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار، فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال: واغفلتاه من السكران.

ثمّ أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على أم يحيى فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى فإنّي قد تخوفت أن لا نراه إلاّ وقد ذاق الموت.

فقامت فخرجت في طلبه حتى مرّت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها: يا أم يحيى أين ترين؟

قالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرّت براعي غنم فقالت له: يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا.

فقال لها: لعلك تطلبين يحيى بن زكريا؟

قالت: نعم ذلك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه.
قال: إنني تركته الساعة على عقبة ثنية كذا وكذا ناقعاً قدميه في
الماء رافعاً بصره إلى السماء يقول: وعزتك يا مولاي لا ذقت بارد
الشراب حتى أنظر إلى منزلي منك.

وأقبلت أمه فلما رآته دنت منه فأخذت برأسه فوضعت بين يديها
وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل، فانطلق معها حتى أتى
المنزل فقالت له أم يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس
مدرعة الصوف فإنه ألين ففعل، وطبخ له عدس فأكل واستوفى،
فنام، فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن
زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري فاستيقظ.

فقال: يا رب أقلني عشرتي، إلهي فبعزتك لا أستظل بظل سوى
بيت المقدس، وقال لأمه، ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما
ستورداني المهالك فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به.

فقال لها زكريا: يا أم يحيى دعيه، فإنّ ولدي قد كُشف له عن
قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس
على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عزّ وجلّ مع الأحبار
حتى كان من أمره ما كان^(١).

(١) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٦٠.

موعظة النبي داود (ع)

* قيل: رأى النبي داود عليه السلام رجلاً في الدار فقال له: ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن؟
 فقال: أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن.
 فقال له: إذن فأنت ملك الموت؟ قال: نعم.
 قال: أفجئت داعياً أم ناعياً؟ قال: بل ناعياً.
 فقال داود عليه السلام: فهلاً أرسلت إليّ قبل ذلك وأذنتني لأستعدّ للموت؟
 فقال: كم أرسلت إليك فلم تتبّه.
 قال: ومن كانت رُسُلك التي أرسلت إليّ؟
 فقال: يا داود أين أبوك إيشا، وأين أمك، وأين أخوك، وأين جارك، وأين قهارمتك، أين فلان وفلان؟
 فقال: ماتوا كلهم.
 فقال: أما علمت أنهم رسلي إليك، وأن النوبة تبلغك^(١)

موعظة من عصر النبي سليمان (ع)

* قيل: لما شرعوا ببناء مسجد دمشق عُثروا في حائط المسجد على لوح حجري يحمل نقوشاً يونانية، فعرضوا هذه الكتابة على الكتاب وأهل الخبرة فلم يتمكنوا من قراءتها ثم بعثوا وراء «وهب بن منبه» فقام بترجمتها وقال: هذه الكتابة نُقِشت أيام سليمان بن داود عليه السلام، وهذه ترجمتها بالعربية:

«بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، يا بن آدم.. لو عاينت ما بقي من يسير أجلك لزهدت في ما بقي من طول أملك، وقصرت عن رغبتك وحيلك، وإنما تلقى ندمك إذا زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك، وانصرف عنك الحبيب، وودعك القريب، ثم صرت تُدعى فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوَّة قبل الفوت، وقيل أن يُؤخذ منك بالکظم، ويُحال بينك وبين العمل؛ كُتب زمن سليمان بن داود عليه السلام»^(١).

(١) تمة متهى الآمال: ص ١١٣.

من مواعظ السيّد المسيح (ع)

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان عيسى بن مريم عليه السلام يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا إلى الله، وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنكم لا تصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخداعة الفجّاعة، المغرور من اغترّب بها، المغبون من اطمأن إليها، الهالك من أحبّها وأرادها، فتوبوا إلى بارئكم، واتقوا ربّكم، واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، أين آباؤكم؟ أين أمهاتكم؟ أين إخوانكم؟ أين أخواتكم؟ أين أولادكم؟ دُعوا فأجابوا، واستودعوا الثرى، وجاوروا الموتى، وصاروا في الهلكى، وخرجوا عن الدنيا، وفارقوا الأحبة، واحتاجوا إلى ما قدّموا واستغنوا عمّا خلفوا، فكم تُوعظون؟ وكم تُزجرون؟ وأنتم لاهون ساهون، مثلكم في الدنيا مثل البهائم همّتكم بطونكم وفروجكم، أما تستحيون ممّن خلقكم؟ وقد أوعد من عصاه النار، لستم ممّن يقوي على النار، ووعد من أطاعه الجنة ومجاورته في الفردوس الأعلى، فتنافسوا فيه، وكونوا من أهله، وأنصفوا من أنفسكم، وتعظّفوا على ضعفائكم وأهل الحاجة منكم، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وكونوا عبيداً أبراراً، ولا تكونوا ملوكاً جبابرة، ولا من العتاة الفراعنة المتمردين على من قهرهم

بالموت، جبّار الجبابرة ربّ السّموات وربّ الأرضين، وإله الأولين والآخرين مالك يوم الدّين، شديد العقاب، أليم العذاب، لا ينجو منه ظالم، ولا يفوته شيء، ولا يعزب عنه شيء، ولا يتوارى منه شيء، أحصى كلُّ شيء علمه وأنزله منزله في جنّة أو نار.

ابن آدم الضعيف! أين تهرب ممّن يطلبك في سواد ليلك وبياض نهارك وفي كلِّ حال من حالاتك؟ قد أبلغ من وعظ، وأفلح من اتّعظ.

* رُوي أنّه عليه السلام كان إذا مرَّ بدار مات أهلها وخلف فيها غيرهم قال: «ويحاً لأربابك الذين ورثوك كيف لم يعتبروا بإخوانهم الماضين»^(١).

* ورُوي أيضاً أنّ عيسى بن مريم عليه السلام صعد جبلاً فرأى شيخاً يعبد الله عزّ وجلّ في حرّ الشّمس، فقال عيسى عليه السلام: ألا تبني لك بيتاً حتى تسكن فيه من الحرّ والبرد.

فقال: يا نبي الله إنني سمعت من الأنبياء عليهم السلام إنني لن أعيش أكثر من سبع مئة سنة فليس من عقلي أن أشتغل في البناء.

فقال عيسى عليه السلام: إنني لأخبرك بما يعجبك.

فقال: وما ذاك؟

قال: يكون في آخر الزمان قوم لا ينتهي عمرهم أكثر من مئة

سنة، وهم يبنون القصور والدور والبساتين ويؤملون أمل عمر ألف سنة.

فقال الشيخ: أفّ عليهم، ما أكثر غفلتهم والله لو أدركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة، ثمّ قال لعيسى عليه السلام: أدخل في هذا الكهف حتى ترى عجبا.

فدخل عيسى عليه السلام الكهف، فرأى سريراً من حجر وعليه ميت، وعلى رأسه لوح من حجر مكتوب فيه «أنا فلان بن فلان الملك أنا الذي عمّرت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وألف قصر، وتزوجت ألف بكر، وحاربت ألف جيش، ثمّ كان مصيري إلى ما ترون، فاعتبروا يا أولي الأبصار»^(١).

(١) عبر من التاريخ: ص ٢٠٧.

من مواعظ لقمان الحكيم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَفِرِ الصُّكُوتَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَتَّبِعْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «وكان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا له ولم يبق من جمعوا له، وإنما أنت عبدٌ مُستأجرٌ قد أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً، فأوف عملك واستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمت فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر

جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، اخرجها ولا تعمرها
فإنك لم تؤمر بعمارتها.

واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله (عز وجل) عن
أربع: شبابك فيما أبليتَه، وعمرك فيما أفنيته، ومالك فيما اكتسبته
وفيما أنفقته، فتأهب لذلك وأعد له جواباً.

ولا تأس على ما فاتك من الدنيا فإن قليل الدنيا لا يدوم
بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرَكَ، وجد في أمرِكَ،
واكشف الغطاء عن وجهك، وتعرض لمعروف ربك، وجدد التوبة
في قلبك، واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ويقضى قضاؤك
ويُحال بينك وبين ما تريد.

* عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «كان فيما وعظ لقمان
ابنه أن قال: «يا بني إن تك في شك من الموت فادفع عن نفسك
النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شك من البعث فادفع عن
نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك، فإنك إذا فكرت في هذا علمت أن
نفسك بيد غيرك، وإنما النوم بمنزلة الموت، وإنما اليقظة بعد النوم
بمنزلة البعث بعد الموت»^(١).

(١) سفينة البحار: مادة «وعظ».

من مواعظ النبي محمد (ص)

※ خطب النبي محمد ﷺ على ناقته العضباء فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «كأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الموت على غيرنا كُتب، وكأن الذي يُشيع من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجدائهم، ونأكل تراثهم فكأنّا مُخلّدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة، وأمنّا كلّ جائحة، ومن عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سمحت نفسه عن الدنيا»^(١).

※ قال ﷺ لرجلٍ وهو يوصيه: «أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت، وقدم مالك أمامك يسرك اللحاق به، واقتنع بما أوتيته يخفّ عليك الحساب، ولا تتشاغل عمّا فرض عليك بما قد ضمن لك فإنه ليس بفائتك ما قد قسم لك ولست بلاحق ما قد زوي عنك»^(٢).

※ عنه ﷺ أنه قال: «يا معشر المسلمين شَمِّروا، جدّوا، تاهّبوا فإنّ الرحيل قريب، وتزوّدوا فإنّ السفر بعيد، وخفّفوا أثقالكم فإنّ وراءكم عقبة كؤوداً لا يقطعها إلاّ المخفّون.

(١) حكم ووصايا: ص ٢٥.

(٢) سنية البحار: مادة «وعظ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أُمُورًا شَدِيدًا، وَأَهْوَالًا عَظِيمًا،
وَزَمَانًا صَعْبًا، يَتَمَلَّكَ فِيهِ الظُّلْمَةُ، وَيَتَصَدَّرُ فِيهِ الْفُسْقَةُ، وَيُضَامُ فِيهِ
الْأُمُورُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُضَطَّهَدُ فِيهِ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَأَعِدُّوا لَذَلِكَ
الْإِيمَانَ، وَعَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ، وَالْجَأُوا إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ،
وَأَكْرَهُوا عَلَيْهِ النَّفْسَ تَفْضُوا إِلَى النِّعَمِ الدَّائِمِ»^(١).

* قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: «بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَبْصَرَ
بِجَنَازَةٍ تُدْفَنُ فَبَادَرَ إِلَيْهَا مَسْرِعًا حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَغَ
ثَوْبِهِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: يَا أَخَوْتِي لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ،
احذَرُوا هَذَا وَاعْمَلُوا لَهُ»^(٢).

* عَنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: «وَفَدَّتْ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَتْ وَعِنْدَهُ الصَّلْصَالُ بْنُ الدَّلْهَمِ فَقُلْتُ: يَا
نَبِيَّ اللَّهِ عَظْمًا مَوْعِظَةً نَنْتَفِعُ بِهَا فَإِنَّا قَوْمٌ نَعْبِرُ فِي الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ: يَا قَيْسُ إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذِلًّا وَإِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتًا، وَإِنَّ مَعَ
الدُّنْيَا آخِرَةَ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًا، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيْبًا، وَإِنَّ لِكُلِّ
حَسَنَةٍ ثَوَابًا، وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَابًا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا، وَأَنْتَ لَا بَدَّ لَكَ يَا
قَيْسُ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ، فَإِنْ كَانَ
كَرِيمًا أَكْرَمَكَ، وَإِنْ كَانَ لَيْمًا أَسْلَمَكَ، ثُمَّ لَا يُحْشَرُ إِلَّا مَعَكَ وَلَا
تُبْعَثُ إِلَّا مَعَهُ، وَلَا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ، فَلَا تَجْعَلْهُ إِلَّا صَالِحًا، فَإِنَّهُ إِنْ
صَلَحَ أَنْتَ بِهِ وَإِنْ فَسَدَ لَا تَسْتَوْحِشُ إِلَّا مِنْهُ، وَهُوَ فَعْلَكَ.

فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ فِي أَبْيَاتٍ مِنْ

(١) سفينة البحار: مادة «وعظ».

(٢) هدية المتقين: ص ٦٧٧.

الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخره، فأمر النبي ﷺ من يأتيه بحسان قال: فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر، فاستتب لي القول قبل مجيء حسان، فقلت: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد فقلت:

تخيّر خليطاً من فعالك إنما

قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

فلا بدّ بعد الموت من أن تعده

ليوم يُنادى المرء فيه فيقبل

وإن كنت مشغولاً بشيءٍ فلا تكن

بغير الذي يرضى به الله تشغل

فلن يصحب الإنسان من بعد موته

ومن قبله إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله

يقيم قليلاً بينهم ثمّ يرحل^(١)

قصة شاب نباش ومجيئه إلى النبي (ص):

* روى عن عبد الرحمن بن غنم الدوسي قال: دخل معاذ بن جبل فقال: يا رسول الله ﷺ إنَّ بالباب شاباً طري الجسد، نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها، يريد الدخول عليك.

(١) عبر من التاريخ: ص ١٨٦.

فقال النبي ﷺ: أدخل عليَّ الشاب يا معاذ، فأدخله عليه، فسلم فرده ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟

قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزَّ وجلَّ ببعضها أدخلني نار جهنم، ولا أراني إلاً سيأخذني بها، ولا يغفر لي أبداً.

فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئاً؟

قال: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً.

قال: أقتلت النفس التي حرم الله؟

قال: لا.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي.

قال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله ذنوبك وإن كانت مثل الأراض السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال: فإنها أعظم من ذلك.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السموات ونجومها ومثل العرش والكرسي.

قال: فإنها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي ﷺ كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أو ربك.

فخرج الشاب لوجه وهو يقول: سبحان ربِّي ما من شيء أعظم من ربِّي، ربِّي أعظم يا نبي الله ﷺ من كل عظيم.

فقال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلاَّ الربُّ العظيم؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثمَّ سكت الشاب، فقال له

النبي ﷺ: ويحك يا شاب إلاَّ تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟

قال: بلى أخبرك إنِّي كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج

الأموات وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار،

فلما حُملت إلى قبرها ودُفنت وانصرف عنها أهلها، وجنَّ الليل أتيت

قبرها فنبشته، ثمَّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها،

وتركتها مجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً، فأتاني الشيطان،

فأقبل يُزيئها لي، ويقول: أما ترى بطنها وبياضها، أما ترى وركيها

فلم يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها

وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويلٌ لك

من ديَّان يوم الدين يوم يقفني وإيَّاك كما تركتني أقوم جنبه إلى

حسابي فويل لشبابك من النَّار فما أظنُّ إنِّي أشمُّ ريح الجنة أبداً يا

رسول الله ﷺ، فما ترى لي؟

فقال النبي ﷺ: تنحَّ عني يا فاسق إنِّي أخاف أن أحترق بنارك

فما أقربك من النَّار، ثمَّ لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه حتى أمعن من

بين يديه فذهب، فأتى المدينة فتزوَّد منها ثمَّ أتى بعض جبالها فتعبَّد

فيها ولبس مسحاً وغلَّ يديه جميعاً إلى عنقه، ونادى: يا رب هذا

عبدك بهلول بين يديك مغلول، يا رب أنت الذي تعرفني وزل منِّي

ما تعلم سيدي يا رب إنِّي أصبحت من النادمين وأتيت نبيك تائباً

فطرمني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانتك أن لا تخيب رجائي، سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ مَا فَعَلْتُ فِي حَاجَتِي، إِنْ كُنْتَ اسْتَجِبْتَ دَعَائِي وَغَفَرْتَ لِي خَطِيئَتِي، فَأَوْحِ إِلَيَّ نَبِيَّكَ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَجِبْ دَعَائِي وَلَمْ تَغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَأَرَدْتَ عِقُوبَتِي فَعَجِّلْ بِنَارِ تَحْرِقَنِي أَوْ عِقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا تَهْلِكُنِي وَتُخَلِّصُنِي مِنْ فُضِيحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥] يعني الزنا ﴿...أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا وهو نبش القبور وأخذوا الأكفان ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] يقول خافوا الله فجعلوا التوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] يقول الله تعالى أتاك عبدي يا محمد تائباً فطرده فآين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنبه غيري؟ ثم قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] يقول لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦] فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويبتسم فقال لأصحابه: من يدلني على هذا الشاب التائب؟

فقال معاذ: يا رسول الله ﷺ بلغنا أنه في موضع كذا وكذا فمضى رسول الله بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يده إلى

عنقه قد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء وهو يقول:
سَيِّدِي قَدْ أَحْسَنْتَ خَلْقِي وَأَحْسَنْتَ صُورَتِي، فَلَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَرِيدُ
بِي؟ أَفِي النَّارِ تَحْرُقْنِي أَوْ فِي جِوَارِكٍ تَسْكُنْنِي.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ، فَلَيْتَ شِعْرِي
مَاذَا يَكُونُ آخِرَ أَمْرِي إِلَى الْجَنَّةِ تَزْفِنِي أَمْ إِلَى النَّارِ تَسُوقْنِي؟

اللَّهُمَّ إِنَّ خَطِيئَتِي أَعْظَمُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ كَرْسِيكَ
الْوَاسِعِ وَعَرْشِكَ الْعَظِيمِ، فَلَيْتَ شِعْرِي تَغْفِرُ خَطِيئَتِي أَمْ تَفْضَحْنِي بِهَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فلم يزل يقول نحو هذا، وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه،
وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير، وهم يبكون لبكائه فدنا
منه رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه،
وقال: يا بهلول أبشر يا بهلول فإنك عتيق الله من النار، ثم قال ﷺ
لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثم تلا عليه ما
أنزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة^(١).

من مواعظ الإمام علي (ع)

* عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة إذا صلى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرّات حتّى يُسمع أهل المسجد: أيّها النّاس تجهّزوا رحمكم الله! فقد نُودي فيكم بالرحيل، فما التعرّج على الدُّنيا بعد نداءٍ فيها بالرحيل، تجهّزوا رحمكم الله! وانقلبوا بأفضل ما بحضرتكم من الزّاد وهو التقوى، واعلموا أنّ طريقكم إلى المعاد، وممرّكم على الصّراط، والهول الأعظم أمامكم، على طريقكم عقبة كؤودة ومنازل مخوفة مهولة لا بدّ لكم من الممر عليها والوقوف فيها؛ فإنّما برحمة من الله فنجاة من هولها وعظم خطرها وفضاعة منظرها وشدّة مختبرها، وإنّما بهلكة ليس بعد انجبار»^(١).

* عن عبد الله بن عباس: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته: «أيّها النّاس إنّ الأيام صحائف آجالكم، فضمّنها أحسن أعمالكم، فلو رأيتم قصير ما بقي من آجالكم لزهدتم في طويل ما تقدرون من آمالكم».

أيّها النّاس إنّ أمس أمل، واليوم عمل، وغداً أجل، فاعتبروا

(١) بهج الصباغة: ج ١١، ص ١٩٨.

بمن في القبور إلى يوم النشور، ممّن موهت لهم الأمثال الأعمال،
وأقحمتهم الآجال الأوجال»^(١).

✽ عنه عليه السلام أنه قال: «عباد الله، أوصيكم بالرّفص لهذه الدنيا التاركة
لكم وإن لم تُجِبُوا تَرَكَهَا، والمُبلية لأجسامكم وإن كنتم تُجِبُونَ تجديدها،
فإنما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكانت لهم قد قطعوه، وأموا علماً
فكانت لهم قد بلغوه.

وكم عسى المُجري إلى الغاية أن يجري إليها حتّى يبلغها! وما عسى
أن يكون بقاء من له يومٌ لا يعدوه، وطالبٌ حيثُ من الموتِ يحدوه،
ومزعج في الدنيا حتى يفارقها رغماً! فلا تنافسوا في عزّ الدنيا
وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرّائها
وبؤسها، فإنّ عزّها وفخرها إلى انقطاع، وإنّ زينتها ونعيمها إلى
زوالٍ، وضرّاءها وبؤسها إلى نفاذٍ، وكلُّ مدّةٍ فيها إلى انتهاء، وكلُّ
حيٍّ فيها إلى فناء.

أوليس لكم في آثار الأولين مُزدجر، وفي آبائكم الماضين تبصرة
ومعتبر، إن كنتم تعقلون! أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون،
وإلى الخلف الباقيين لا يبقون! أولستم ترون أهلَ الدنيا يُصبحون
ويُمسون على أحوالٍ شتى، فميّت يُبكي، وآخر يُعزّي، وصريعٌ مبتلى،
وعائدٌ يعود، وآخرٌ بنفسه يهود، وطالبٌ للدنيا والموت يُطلبه، وغافلٌ
وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي»^(٢).

(١) حكم ووصايا: ص ٣٢.

(٢) نهج البلاغة.

* روي أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبراً فقال: قبر من هذا؟

فقالوا: قبر «خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ» فوقف عليه، وقال: رحم الله «خَبَاباً» أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه آخرأ، آلا وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثمّ مشى فإذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال: «السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع، ويكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا وتجاوز عنا، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب، وقنع بالكفاف، ورضى عن الله تعالى، ثمّ قال: يا أهل القبور أمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الديار فقد سكنت، وأمّا الأموال فقد قُسمت، وهذا ما عندنا، فما عندكم؟ ثمّ التفت إلى أصحابه وقال: أمّا أنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى»^(١).

* كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغرْبته، إنّ القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربية، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوام، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، إنّ العبد المؤمن إذا دُفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممّن أحب أن تمشي ظهري، فإذا ولتكَ فستعلم كيف صنيعي بك، فيسع له مد البصر»^(٢).

(١) عبر من التاريخ: ص ٧٥.

(٢) هدية المتقين: ص ٧٠٩.

« رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «بلغ أمير المؤمنين موت رجل من أصحابه، ثم جاء خبر آخر أنه لم يمت، فكتب إليه: «بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أمَّا بعد، فإنه قد كان أتانا خبر ارتاع له أخوانك، ثم جاء تكذيب الخبر الأول، فأنعم ذلك سرورنا، وأنَّ السرور يوشك [علي] الانقطاع يبلغه عمَّا قليل تصديق الخبر الأول، فهل أنت كائن كرجل قد ذاق الموت وعاین ما بعده، يسأل الرجعة فأسعف بطلبته، فهو متأهب دائب ينقل بأسره من ماله إلى دار قرارة لا يرى أن له مالا غيره، واعلم أنَّ اللَّيْل والنَّهَار لا يزالان دائبين في قصر الأعمال وأنفاذ الأموال وطِيء الآجال.

هيئات هيئات قد صبحا عاداً وثمروداً وقرونأ بين ذلك كثيراً، فأصبحوا لا يبليهما، قد أمرا به، مستعدان لمن بقي بمثل ما أصابا فيه من مضي، واعلم إنَّما أنت نظير أخوانك وأشباهك كمثّل الجسد قد نزعت قوّته فلم يبق إلاَّ حشاشة نفسه ينتظر الداعيد فنعود بالله ممَّا نعظ به ثمَّ نقصر عنه»^(١).

« عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «فبادروا المعاد وسابقوا الآجال، فإنَّ الناس يُوشك أن ينقطع بهم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويُسدَّ عنهم باب التوبة فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم، وأنتم بنو سبيل علي سفير من دار ليست بداركم، وقد أودنتم منها بالارتحال، وأمرتم فيها بالزاد.

واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار، فارحموا نفوسكم فإنكم قد جرّتموها في مصائب الدنيا.

(١) معرفة المعاد: ج ١، ص ١٤٩.

أفرايتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعشرة تُدميه والرمضاء تحرقه؟ فكيف إذا كان بين طابقيين من نار، ضجيج حجر وقرين شيطان؟

أعلمتم أن مالكاً إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته»^(١).

* قيل: كان رجل مجنون في عهد الإمام علي عليه السلام يمشي أمام الجنائز وينادي: الرحيل الرحيل، ولا تكاد جنازة تخلو منه، فمرت جنازة بالإمام ولم يُر أمامها المجنون فسأل عنه فقيل له: هو هذا الميت. فقال عليه السلام: لا إله إلا الله ثم تمثل بهذا البيت:
ما زال يصرخ بالرحيل منادياً

حتى أناخ ببابه الجمال^(٢)

* عن أبي الحسن البصري قال: لما قدم علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام البصرة مرّ بي وأنا أتوضأ فقال: يا غلام أحسن وضوءك يحسن الله إليك. ثم مشى حتى دخل سوق البصرة فنظر إلى الناس يبيعون ويشترون فبكى بكاءً شديداً ثم قال: يا عبيد الدنيا وعمّال أهلها! إذا كنتم بالنهار تحلفون، وبالليل في فراشكم تنامون، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون، فمتى تجهزون الرّاد وتفكرون في المعاد؟!!

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنه لا بدّ لنا من المعاش فكيف

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨١.

(٢) موسوعة الإمام علي عليه السلام: ج (١)، ص ٤٤.

نصنع؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن طلب المعاش من حله لا يشغل عن عمل الآخرة، فإن قلت لا بد لنا من الاحتكار لم تكن معذوراً. فولى الرجل باكياً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أقبل عليّ أزدك بياناً.

فعاد الرجل إليه فقال له: أعلم يا عبد الله إن كل عامل في الدنيا للآخرة لا بد أن يوفى أجر عمله في الآخرة، وكل عامل دنيا للدنيا عماله في الآخرة نار جهنم، ثم تلا أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَى ﴿٢٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾﴾ [التازعات: ٢٧-٢٩] (١).

* عن الإمام الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالبصرة فقال بعدما حمد الله (عز وجل) وأثنى عليه وصلى على النبي وآله: «المدّة وإن طالّت قصيرة، والماضي للمقيم عبرة، والميت للحي عظة، وليس لأس مضي عودة، ولا المرء من غد على ثقة، إن الأوّل للأوسط رائد، والأوسط للآخر قائد، وكلّ لكلّ مفارق، وكلّ بكلّ لاحق... الحديث وفي آخره: ثمّ دامت عيناه عليه السلام وقرأ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَبِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُرُونَ مَا تَفَعَّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]» (٢).

* عن علي بن الحسين، عن أبيه عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ذات يوم جالس مع أصحابه يعبّثهم للحرب إذ أتاه

(١) كنوز الحكمة: ص ١٧١.

(٢) سفينة البحار: مادة «وعظ».

شيخ عليه سحنة السفر، فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقيل له: هو ذا، فسلم عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين! إنني أتيتك من ناحية الشام، وأنا شيخ كبير، قد سمعت فيك من الفضل ما لا أحصي، وإنني أظنك ستُغتال، فعلمني ممّا علمك الله؟

قال: نعم يا شيخ، من اعتدل يومه فهو مغبون، ومن كانت الدنيا همّه اشتدت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شراً من يومه فهو محروم، ومن لم يبال بما زوي عنه من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقصٍ فالموت خير له، يا شيخ! إرض للناس ما ترضى لنفسك، وآت إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك.

ثم أقبل على أصحابه، فقال: يا أيها الناس أما ترون إلى أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى، فبين صريع يتلوى وبين عائد ومعود، وآخر بنفسه يجود، وآخر لا يرجى وآخر مُسجى، وطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي يصير الباقي.

فقال له: زيد بن صوحان العبدي: يا أمير المؤمنين أي سلطان أغلب وأقوى قال عليه السلام: الهوى.

قال: فأي ذل أذل؟ قال: الحرص على الدنيا.

قال: فأي فقر أشد؟ قال: الكفر بالله بعد الإيمان.

قال: فأى دعوة أضل؟ قال: الداعي بما لا يكون.

قال: فأى عمل أفضل؟ قال: التقوى.

قال: فأَيُّ عمل أنجح؟ قال: طلب ما عند الله.

قال: فأَيُّ صاحب شرّ؟ قال: المزيّن لك معصية الله.

قال: فأَيُّ الخلق أشقى؟ قال: مَنْ باع دينه بدنياه غيره.

قال: فأَيُّ الخلق أقوى؟ قال: الحكيم.

قال: فأَيُّ الخلق أشحّ؟ قال: مَنْ أخذ المال من غير حله، فجعله في غير حقه.

قال: فأَيُّ الناس أكيس؟ قال: مَنْ أبصر رشده من غيّه.

قال: فَمَنْ أحلم الناس؟ قال: الذي لا يغضب.

قال: فأَيُّ الناس أثبت رأياً؟ قال: مَنْ لم يغرّه الناس من نفسه ولم تغرّه الدنيا بتشوّقها.

قال: فأَيُّ الناس أحمق؟ قال: المغترّ بالدنيا وهو يرى ما فيها من تقلّب أحوالها.

قال: فأَيُّ الناس أشدّ حسرة؟ قال: الذي حُرّم الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

قال: فأَيُّ الخلق أعمى؟ قال: الذي عمل لغير الله، يطلب بعمله الثواب من عند الله عزّ وجلّ.

قال: فأَيُّ القنوع أفضل؟ قال: القانع بما أعطاه الله تعالى.

قال: فأَيُّ المصائب أشدّ؟ قال: المصيبة في الدين.

قال: فأَيّ الأعمال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: أخوفهم لله، وأعملهم بالتقوى، وأزهدهم في الدنيا.

قال: فأَيّ الكلام أفضل عند الله عزّ وجلّ؟ قال: كثرة ذكره وتضرّعه إليه والدعاء.

قال: فأَيّ القَوْل أصدق؟ قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله.

قال: فأَيّ الأعمال أعظم عند الله عزّ وجلّ؟ قال: التسليم والورع.

قال: فأَيّ الناس أصدق؟ قال: مَنْ صدق في المواطن.

ثمّ أقبل عليّ عليه السلام على الشيخ، فقال: يا شيخ! إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً ضيق الدنيا عليهم نظراً لهم، زهدهم فيها وفي حطامها، فرغبوا في دار السلام التي دعاهم إليها؛ فصبروا على ضيق المعيشة، وصبروا على المكروه، واشتاقوا إلى ما عند الله من الكرامة، وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة، فلقوا الله عزّ وجلّ وهو عنهم راضٍ، وعلموا أنّ الموت سبيل مَنْ مضى وَمَنْ بقي، فتزوّدوا لآخرتهم غير الذهب والفضة، ولبسوا الخشن، وصبروا على الذلّ، وقدموا القوت الفضل، وأحبّوا في الله وأبغضوا في الله أولئك المصابيح وأهل النعيم في الآخرة. والسلام.

فقال الشيخ: فأين أذهب وأدع الجنة وأنا أراها وأرى أهلها معك؟! يا أمير المؤمنين.

جهزني بقوة أتقوى بها على عدوك، فأعطاه أمير المؤمنين سلاحاً

وحمله وكان في الحرب بين يدي أمير المؤمنين يضرب قدماً وأمير المؤمنين يعجب مما يصنع فلما اشتدت الحرب أقدم فرسه حتى قُتل .
 واتبعه رجل من أصحاب أمير المؤمنين فوجده صريعاً ووجد دابته ووجد سيفه في ذراعه فلما انقضت الحرب أتى أمير المؤمنين بدابته وسلاحه وصلى أمير المؤمنين عليه السلام عليه وقال: هذا والله السعيد حقاً فترحموا على أخيكم»^(١).

* رُوي أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يعظه: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويُرجىء التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أُعطي منها لم يشبع وإن مُنع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي، يحبُّ الصالحين ولا يعمل عملهم، ويُبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويُقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظلَّ نادماً وإن صحَّ أمن لاهياً، يُعجب بنفسه إذا عوفي، ويقنط إذا ابتلي، إن أصابه بلاء دعا مضطراً، وإن ناله رخاء أعرض معترّاً، تغلبه نفسه على ما يظنُّ ولا يغلبها ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يُقصر إذا عمل ويُبالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة، يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في المواظب ولا يتعظ، فهو بالقول مدلّ ومن العمل مُقلّ، ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرمّاً والغرم

مغنياً، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن ولنفسه مُداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يُرشد غيره ويُغوي نفسه، فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يُوفي، ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه».

قال السيد الرضي: «ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر»^(١).

* عن نوف البكالي قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو في رحبة مسجد الكوفة فقلت: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك السَّلام يا نوف ورحمة الله وبركاته، فقلتُ له: يا أمير المؤمنين عِظني فقال: «يا نوف أحسن يُحسن إليك».

فقلتُ: زدني يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف ارحم تُرحم.

فقلتُ: زدني يا أمير المؤمنين، قال: يا نوف قل خيراً تُذكر

بخير.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين، قال: اجتنب الغيبة فإنها أدام كلاب النار، ثم قال: قال عليه السلام: يا نوف كَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ حَلَالٍ وَهُوَ يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ، وَكَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ حَلَالٍ وَهُوَ يُبْغِضُنِي وَيُبْغِضُ الْأَئِمَّةَ مِنْ وَلَدِي، وَكَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ

(١) سفينة البحار: مادة «وعظ».

ولد من حلال وهو يحبُّ الزنا، وكذب مَنْ زعم أنه يعرف الله (عزَّ وجلَّ) وهو مجترٍ على معاصي الله كلَّ يومٍ وليلة، يا نوف اقبل وصيَّتي لا تكوننَّ نقيباً ولا عريفاً ولا عشَّاراً ولا بريداً، يا نوف صلِّ رحمك يزيد الله في عمرك وحسن خلقك يخفف الله في حسابك، يا نوف إنَّ سرَّك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين معيناً، يا نوف من أحببنا كان معنا يوم القيامة، ولو أنَّ رجلاً أحبَّ رجلاً لحشره الله معه، يا نوف إياك أن تتزيَّن للناس وتبارز الله بالمعاصي فيضحك الله يوم تلقاه، يا نوف احفظ عني ما أقول لك تنلَّ به خير الدنيا والآخرة»^(١).

* عن شريح القاضي قال: اشتريت داراً بثمانين ديناراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً، فبلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فبعث إليَّ مولاة قبر فأتيته فلما دخلت عليه قال:

يا شريح اشتريت داراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً ووزنت مالاً؟ فقلت: نعم.

قال: يا شريح اتق الله، فإنَّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بيتك حتَّى يخرجك من دارك شاخصاً ويسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها ووزنت مالاً من غير حلِّه، فإذا أنت قد خسرت الدارين جميعاً الدنيا والآخرة.

ثمَّ قال عليه السلام: لو كنتُ عندما اشتريت هذه الدار فكتبت لك

(١) سفينة البحار: مادة «نوف».

كتاباً على هذه النسخة إذا لم تشتريها بدرهمين قال: قلت: وما كنت يا أمير المؤمنين قال عليه السلام: كنت أكتب لك هذا الكتاب:

«بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ هذا ما اشترى عبد ذليل من مَيِّت أزعج بالرحيل، اشترى داراً في دار الغرور من جانب الفانين إلى عسكر الهالكين ويجمع هذه الدار حدوداً أربعة: الحدّ الأوّل منها ينتهي إلى دواعي الآفات، والحدّ الثاني منها ينتهي إلى دواعي العاهات، والحدّ الثالث منها ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحدّ الرابع منها ينتهي إلى الهوى المُردّي والشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار.

اشترى هذا المفتون بالأمل من هذا المُزعج بالأجل جميع هذه الدار بالخروج من عزّ القنوع والدخول في ذلّ الطلب، فما أدرك هذا المشتري من درك فعلي مبلي أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال إلى المال فأكثر وبني فشيء ونجد فزخرف وأدّخر بزعمه للمولد أشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض لفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون.

شهد على ذلك الفعل إذا خرج من أسر الهوى ونظر بعين الزوال لأهل الدنيا، وسمع منادي الزهد ينادي في عرصاتها، ما أبين الحقّ لذي عينين، إنّ الرحيل أحد اليومين، تزودوا من صالح الأعمال وقربوا الآمال بالأجال».

* عن أبي الدرداء قال: شهدتُ علي بن أبي طالب بشويحطات النجار، وقد اعتزل من مواليه، واختفى ممّن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته، وبعد عني مكانه، فقلت: لحق

بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان ممّا ناجى به الله تعالى أن قال:

«إلهي أفكر في عفوك، فتَهون عليص خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليتي».

ثم قال: «آه أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصياها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملائ إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال: «آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حتاً، ولا حركة. فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقفه لصلاة الفجر، فأتيته، فإذا هو كالخشب فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزرو. فقلت: إنّ الله وإنّا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقال فاطمة رضي الله عنها: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟
فأخبرتها الخبر.

فقال: هي والله - يا أبا الدرداء - الغشية التي تأخذه من خشية الله.

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر إليّ وأنا أبكي
فقال: ممّا بكاءك يا أبا الدرداء؟

فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعي بي إلى الحساب،
وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتي ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ،
فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحياء ورفضني أهل
الدنيا، لكنك أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية.

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^(١).

* روي: «أنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام أتاه رجل بالكوفة فقال
له: يا أمير المؤمنين إنني زيت فطهرني قال: ممّن أنت؟ قال: من
مزينة. قال: أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: بلى. قال: فاقراً، فقراً
فأجاد. فقال: أبك جنة؟ قال: لا. قال: فاذهب حتّى نسأل عنك
فذهب الرجل ثمّ رجع إليه بعد فقال: يا أمير المؤمنين إنني زيت
فطهرني. فقال: ألك زوجة؟ قال: بلى. قال: فمقيمة معك في
البلد؟ قال: نعم. فأمره أمير المؤمنين عليه السلام فذهب وقال: حتّى نسأل

(١) المنهج العبادي: ص ٨١.

عنك. فبعث إلى قومه فسأل عن خبره، فقالوا: يا أمير المؤمنين صحيح العقل، فرجع إليه الثالثة فقال له مثل مقالته.

فقال له: اذهب حتى نسأل عنك، فرجع إليه الرابعة، فلما أقر قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: احتفظ به، ثم غضب ثم قال: ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملأ: أفلا تاب في بيته؟ فوالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد، ثم أخرجه ونادى في الناس: «يا معشر الناس أخرجوا ليقام على هذا الرجل الحد ولا يعرف أحدكم صاحبه، فأخرجه إلى الجبانة فقال: يا أمير المؤمنين انظرنني أصلي ركعتين.

فصلي ركعتين ثم وضعه في حفرته، واستقبل الناس بوجهه فقال: يا معاشر المسلمين إن هذا حق من حقوق الله فمن كان لله في عنقه حقد فليصرف، ولا يقيم حدود الله من في عنقه لله حد.

فانصرف الناس وبقي هو والحسن والحسين عليهما السلام، فأخذ حجراً فكبر ثلاث تكبيرات ثم رماه بثلاثة أحجار في كل حجر ثلاث تكبيرات، ثم رماه الحسن مثل ما رماه أمير المؤمنين، ثم رماه الحسين فمات الرجل، فأخرجه أمير المؤمنين عليه السلام فأمر فحضر له وصلي عليه ودفنه، فقيل: يا أمير المؤمنين ألا تغسله؟ فقال: قد اغتسل بما هو طاهر إلى يوم القيامة. لقد صبر على أمر عظيم^(١).

* روي أنه بينما الإمام علي عليه السلام في ملأ من أصحابه وإذا برجل جاء وقال: «يا أمير المؤمنين إنني أوقبت على غلام فطهرني.

(١) نروع الكافي: ج ٧، ص ١٨٨.

فقال ﷺ: يا هذا امضِ إلى منزلك لعلَّ مراراً هاج بك.

فلَمَّا كان من غد عاد إليه فقال له: يا أمير المؤمنين إنِّي أوقبت على غلام فطهرني.

فقال له: يا هذا امضِ إلى منزلك لعلَّ مراراً هاج بك حتَّى فعل ذلك ثلاثاً بعد مرَّته الأولى، فلَمَّا كان في الرابعة قال له: يا هذا إنَّ رسول الله ﷺ حكم في مثلك بثلاثة أحكام فاختر أيهنَّ شئت. قال: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: ضربة بالسيف في عنقك بالغة ما بلغت، أو دهدهاه من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو إحراق بالنَّار.

فقال: يا أمير المؤمنين أيهنَّ أشدُّ عليَّ؟ قال: الإحراق بالنَّار. قال: فإنِّي قد اخترتها يا أمير المؤمنين. قال: فخذ لذلك أهبتك. قال: نعم.

فقام فصلى ركعتين، ثمَّ جلس في تشهده فقال: اللَّهُمَّ إنِّي قد أتيت من الذَّنْب ما قد علمته، وإنَّني تخوَّفت من ذلك فجئت إلى وصيِّ رسولك وابن عمِّ نبيِّك فسألته أن يطهرني، فخيَّرني بين ثلاثة أصناف من العذاب، اللَّهُمَّ فإنِّي قد اخترت أشدها، اللَّهُمَّ فإنِّي أسألك أن تجعل ذلك كفَّارة لذنوبي، وأن لا تحرقني بنارك في آخرتي.

ثمَّ قام وهو باك، ثمَّ جلس في الحفرة التي حفرها له أمير المؤمنين ﷺ وهو يرى النَّار تتأجج حوله.

فبكى أمير المؤمنين وبكى أصحابه جميعاً وقال له ﷺ: قم يا

هذا فقد أبكيت ملائكة السماء وملائكة الأرض فإن الله قد تاب عليك فقم ولا تعاودن شيئاً ما قد فعلت^(١).

* مِمَّا يُنْسَبُ لَهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ :

أَحْسَيْنُ إِنْني وَأَعِظُ وَمُؤَدِّبُ
فَأَفْهَمُ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَأَدِّبُ
وَأَحْفَظُ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ
يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْ لَا تَعْطِبُ
أَبْنِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُوفٌ بِهِ
فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا
وَتُقَى إِلَيْهِكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ إِلَهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ
وَالْمَالَ عَارِيَةً تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلْفُتِ نَاطِرٍ
سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا
وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
أَبْنِيَّ إِنَّ الذُّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ
فَمِمَّنِ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدِّبُ
فَاقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ جُهْدَكَ وَاتْلُهُ
فِيْمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيُنْصَبُ

بِشَفِّكَرٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَقَرُّبٍ
 إِنَّ الْمُتَقَرَّبَ عِنْدَهُ الْمُتَقَرَّبُ
 وَاعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصاً
 وَأَنْصِتْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعَظِيمَةٍ
 تَصِفُ الْعَذَابَ قَفِيفٌ وَدَمْعُكَ يُسَكَّبُ
 يَا مَنْ يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
 لَا تَجْعَلْنِي فِي الَّذِينَ تُعَذَّبُ
 إِنِّي أَبُوءُ بِعُثْرَتِي وَخَطِيئَتِي
 هَرَباً إِلَيْكَ وَلَيْسَ دُونَكَ مَهْرَبُ
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
 وَضَفُّ الْوَيْبِلَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُعْجَبِ
 فَاسْأَلْ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصاً
 دَارَ الْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
 وَاجْهَدْ لِعَلِّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
 وَتَسْأَلَ رَوْحَ مَسَاكِينٍ لَا تُخْرَبُ
 وَتَسْأَلَ عَيْشاً لَا انْقِطَاعَ لِوَقْتِهِ
 وَتَسْأَلَ مُلْكاً كَرَامَةً لَا تُسَلَّبُ
 بِإِدْرِ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
 خَوْفَ الْغَوَالِبِ أَنْ تَجِيءَ وَتُغْلَبُ
 وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَاغْمِضْ لَهُ
 وَتَجَنَّبِ الْأَمْرَ الَّذِي يُسْجَنَّبُ

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِصَدِيقِي وَكُنْ لَهُ
 كَأَبٍ عَمَلِي أَوْلَادِهِ يَسْتَحْسِبُ
 وَالضَّيْفَ أَكْرِمَ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ
 حَسْبِي يَعْجِدُكَ وَارِثًا يَسْتَنْسِبُ
 وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا أَخِيَّتَهُ
 حَفِظَ الْإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَضْرِبُ
 وَاطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
 وَدَعْ الْكُذُوبَ فَلَيْسَ بِمَنْ يُضْحَبُ
 وَاحْفَظْ صَدِيقَكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
 وَعَلَيْكَ بِالْمَرْءِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
 وَاقِلْ الْكُذُوبَ وَقُرْبَهُ وَجِوَارَهُ
 إِنَّ الْكُذُوبَ مُلْطِخٌ مَنْ يَضْحَبُ
 يَعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
 وَيُرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يُرْوَعُ الشَّعْلَبُ
 وَاحْذَرِ ذَوِي الْمَلَقِ اللَّثَامِ فَإِنَّهُمْ
 فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ بِمَنْ يَخْطُبُ
 يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَرْءِ مَا ظَمِعُوا بِهِ
 وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفُوا وَتَسْفِيْبُوا
 وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 وَالنُّصُوحُ أَرْحَمُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ (١)

من مواعظ الإمام الحسن (ع)

* روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للإمام الحسن عليه السلام: قُمْ
فاخطب لأسمع كلامك، فقام، وقال:

«الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في
ضميره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده، وصلى الله
على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلّم.

أما بعد: فإن القبور محلنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا.

إنّ علياً باب من دخله كان آمناً مؤمناً، ومن خرج عنه كان
كافراً».

فقام إليه فالتزمه، وقال له:

بأبي أنت وأمي ﴿ذَرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ [آل
عمران: ٣٤]^(١).

* عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي بن
أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف

(١) حكم ووصايا: ص ٥٥.

عليه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية، فقلت: يا مولاي، ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟ قلت: إننا لله وإننا إليه راجعون.

ثم التفت إليّ فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله ﷺ أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليّ وفاطمة، ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول، ثم رفعت الطست، وبكى صلوات الله عليه.

قال: فقلت له: عظني يا بن رسول الله، فقال:

نعم، استعدّ لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت الميتة، وإن كان العتاب فإنّ العتاب يسير.

واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّما تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، إذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، إن قلت صدق قولك، وإن صلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت عنك ثلثة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكنت عنه

ابتدائك، إن نزلت إحدى الملمات به ساءك، من لا يأتيك منه
البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.
وإن تنازعتما منقسماً أترك...»^(١).

(١) انتهى الآمال: ج ١، ص ٣٢٧.

من مواعظ الإمام الحسين (ع)

* جاء رجل إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال له: أنا رجل عاصي ولا أصبر على المعصية فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: «افعل خمسة أشياء وأذنّب ما شئت.

فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنّب ما شئت.

والثاني: أخرج من ولاية الله وأذنّب ما شئت.

والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله وأذنّب ما شئت.

والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك، وأذنّب ما شئت.

والخامس: إذا أدخلك مالك النار فلا تدخل في النار وأذنّب ما شئت»^(١).

* روي أنّ رجلاً قال لإمام الحسين عليه السلام: بنيت داراً أحبّ أن تدخلها وتدعو الناس، فدخلها ونظر إليها وقال: «أخربت دارك وعمّرت دار غيرك، غرّك من في الأرض ومقتك من في السماء»^(٢).

(١) هدية المتقين: ص ٧٤٢.

(٢) كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٧٧٥.

* رُوي أنّ الإمام الحسين عليه السلام نظر إلى القبور فقال: «ما أحسن ظواهرها، وإنّما الدواهي في بواطنها، فالله الله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا، فإنّ القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا ثم أنشد قائلاً:

يا من بدنياه اشتغل
وغرّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة
والقبر صندوق العمل^(١).

* عنه عليه السلام أنّه قال: «لولا ثلاثة ما وضع ابن آدم رأسه لشيء: الفقر، والمرض، والموت»^(٢).

* عنه عليه السلام: «... فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار كأنكم ببخات طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوّها إلى أسفلها، ومن أنسها إلى وحشتها، ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لا يُزار حميم ولا يُعاد سقيم ولا يجاب صريخ».

(١) المصدر نفسه: ص ٨٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٧٥.

من مواعظ الإمام زين العابدين (ع)

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين: «إنَّ الدُّنْيَا قد ارتحلت مدبرة، وأنَّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدُّنْيَا، إلاَّ أن تكونوا من الزاهدين في الدُّنْيَا الراغبين في الآخرة، ألا وأنَّ الزاهدين في الدُّنْيَا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً، وقرضوا من الدُّنْيَا تقريضاً، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النَّار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدُّنْيَا هانت عليه المصائب، ألا أنَّ الله عبداً كمن رأى أهل الجنة مخلدين وكمن رأى أهل النَّار في النَّار مُعذِّبين، شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أيَّاماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أمَّا اللَّيْل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربِّهم يسعون في فكاك رقابهم وأمَّا النَّهار فحلمااء علماء بررة أتقياء كأنَّهم القداح قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولط القوم أمر عظيم من ذكر النَّار وما فيها»^(١).

(١) الإمام زين العابدين: ص ١٥٦.

* عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، والله ما الدنيا والآخرة إلا ككفتي ميزان فأيهما رجح ذهب بالأخرى، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الواقعة: ١-٣] فإذا قامت القيامة خفضت بأعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة.

ثم أقبل على رجل من جلسائه وقال له: اتق الله واجمل في الطلب ولا تطلب ما لم يُخلق فإن من طلب ما لم يُخلق تقطعت نفسه حسرات ولم ينل ما طلب، ثم قال: وكيف يُنال ما لم يخلق؟

فقال الرجل: وكيف يُطلب ما لم يخلق؟

فقال: من طلب الغنى والأموال والسعة في الدنيا فإنما يطلب ذلك للراحة، والراحة لم تُخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا، إنما خلقت الراحة في الجنة ولأهل الجنة، والتعب والنصب خُلقا في الدنيا ولأهل الدنيا، وما أُعطي أحد منها حقه إلا أُعطي من الحرص مثليه، ومن أصاب من الدنيا أكثر كان فيها أشد فقراً لأنه يفتقر إلى الناس في حفظ أمواله ويفتقر إلى كل آلة من آلات الدنيا، فليس في غنى الدنيا راحة، ولكن الشيطان يوسوس إلى ابن آدم أن له في جمع ذلك المال راحة وإنما يسوقه إلى التعب في الدنيا والحساب عليه في الآخرة.

ثم قال عليه السلام: كلاً، ما تعب أولياء الله في الدنيا للدنيا، بل تعبوا في الدنيا للآخرة، ألا ومن اهتم لرزقه كُتب عليه خطيئة كذلك

قال المسيح عليه السلام للحواريين: إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها^(١).

* قال طاووس الفقيه: رأيت علي بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فإذا لم يرَ أحداً رمق السماء بطرفه وقال: «إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحاتٌ للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني، وتريني وجه جدي محمد عليه السلام، في عرصات القيامة».

ثم بكى وخاطب الله تعالى قائلاً: أمّا وعزّتكَ وَجَلَالِكَ مَا أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكٍ، ولا بنكالك جاهلٌ، ولا لعقوبتك متعرضٌ، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك سترك المرخي به عليّ، فأنا الآن من عذابك مَنْ يستنقذني، وبحبل مَنْ أعتصم إن قطعت حبلك عني، فواسأناه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفين جوزوا، وللمثقلين حطّوا أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أحطّ؟ ويلى كُلمًا طال عمري كُثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي.....

وانفجر بالبكاء وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى

فأين رجائي ثم أين محبتي

أتيت بأعمال قباح ردية

وما في الوري خلق جنى كجنايتي

(١) المصدر السابق: ص ١٦٠.

سبحانك تُعصِي كأنَّكَ لا تُرَى، وتحلم كأنَّكَ لم تُعص، تتودَّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنَّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم...

ثمَّ خرَّ إلى الأرض ساجداً فدنوت منه، ورفعت رأسه ووضعته في حجري فوقعت قطرات من دموعي على خده الشريف فاستوى جالساً، وقال بصوتٍ خافت: من هذا الذي أشغلني عن ذكر ربِّي؟...

فأجابه طاووس بخضوع وإجلالٍ: أنا طاووس، يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا؟ ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي، وأمُّك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله...

فقال ﷺ: هيهات، هيهات، يا طاووس دع عنك حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنَّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيِّداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والله لا ينفعك غداً إلاَّ تقدمة تقدّمها من عملٍ صالحٍ...»^(١).

* روى طاووس اليماني قال: مررت بالحجر فإذا بشخصٍ راكعٍ وساجد تأمّلته فإذا هو علي بن الحسين، فقلت في نفسي:

رجلٌ صالحٌ من أهل بيت النبوة، والله لأغتنمَنَّ دعاءه، فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته، فرفع بطن كفيهِ، وجعل يخاطب الله قائلاً:

«إلهي: سيدي، سيدي، هاتان يداي قد مددتهما إليك بالذنوب مملؤتين، وعيناي بالرجاء ممدودتين، وحق من دعاك بالندم تذلاً أن تجيبه بالكرم تفضلاً.

سيدي: من أهل الشقاء خلقتني فأطيل بكائي؟ أم من أهل السعادة خلقتني فأبشر رجائي؟

سيدي: أالضرب المقامع خلقت أعضائي؟ ألم لشرب الحميم خلقت أمعائي؟

سيدي: لو أن عبداً استطاع الهرب من مولاه لكنت أوّل الهاربين من مولاه لكنني أعلم أنني لا أفوتك.

سيدي: لو أن عذابي ممّا يزيد في ملكك لسألتك الصبر عليه، غير أنني أعلم أنه لا يزيد في ملكك طاعة المطيعين، ولا ينقص منه معصية العاصين.

سيدي: ما أنا وما خطري؟ هب لي بفضلك، وجللني بسترِكَ، واعف عن توبيخي بكرم وجهك.

إلهي: وسيدي، ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي، وارحمني مصروعاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي، وارحمني محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغرّبتني...».

ولمّا سمع طاووس هذه المناجاة الحزينة التي تفرع منها النفوس، وتضطرب منها القلوب لم يملك نفسه إن بكى فالتفت إليه الإمام قائلاً:

يا يمانى ما بيكيك؟ أوليس هذا مقام المذنبين؟...

وانبرى طاووس بخضوع وإكبار للإمام قائلاً:

«حقّ على الله أن لا يرذّبك...»^(١).

* عن الإمام الصادق عليه السلام... كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أوذّبك أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم، فيقرّهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلّما عملت كما أحصيت علينا كلّما قد عملنا ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيت إلا أحصاها، وتجد كلّما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلّما عملنا لديك حاضراً، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك فاعف عنّا تجده عفواً وبك رحيماً ولك عفوراً ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيناها إلا

أحصاها، فاذا ذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل ويأتي بها يوم القيامة وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: ﴿...وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، فقد ظلمنا أنفسنا فنحن قد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت فاعف عنا، فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوانا، وقد آتيناك سؤالاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وبيابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تخيبننا فإنك أولى بذلك منا... ثم يقبل عليهم فيقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة؟ فإنني ملك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جوادٍ عادلٍ محسنٍ متفضلٍ؟

فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا، وما أسأت.

فيقول لهم: قولوا: اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك.

فيقول: اللهم آمين رب العالمين اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء العفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم.

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر، وكان يقول: إن لله

تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كُلاً قد استوجب النار فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، وإني لأحب أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتني من النار.

وما استخدم خادماً فوق حول، كان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة إذا كان ليلة الفطر أعتق، واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم أعتق، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة يأتي بهم إلى عرفات فيسدّ بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعنق رقابهم وجوائز لهم من المال»^(١)

من مواعظ الإمام محمد الباقر (ع)

* رُوي أَنَّهُ عليه السلام قال لجابر الأنصاري: أصبحت والله يا جابر محزوناً مشغول القلب.

فقال جابر: جُعلت فداك ما حزنك وشغلك وشغل قلبك على هذه الدنيا؟

فقال عليه السلام: لا يا جابر ولكن حزن هم الآخرة.

يا جابر، من دخل قلبه خالص حقيقة الإيمان شغل عمّا في الدنيا من زينتها، إنّ زينة زهرة الدنيا إنّما هو لعب ولهو، وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان.

يا جابر، إنّ المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئنّ إلى زهرة الحياة الدنيا.

يا جابر، اعلم أنّ أبناء الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة، وأنّ أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون أهل العلم والفقه، وأهل فكرة واعتبار واختيار، لا يملّون من ذكر الله.

يا جابر، اعلم أنّ أهل التقوى هم الأغنياء أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة، إن نسيت الخير ذكرك، وإن عملت به

أعانوك. أخرُوا شهواتهم ولذاتهم خلفهم وقدموا طاعة ربهم أمامهم، ونظروا إلى سبيل الخير وإلى ولاية أحبباء الله فأحببهم، وتولّوهم وأتبعوهم فأنزل نفسك من الدنيا كمثل منزل نزلته ساعة ثم ارتحلت عنه، أو كمثل مال استفدته في منامك ففرحت به وسررت ثم انتبهت من رقدتك وليس في يدك شيء، وإنّي إنّما ضربت لك مثلاً لتعقل وتعمل به وفقك الله تعالى له، فاحفظ يا جابر ما استودعتك من دين الله وحكمته وانصح لنفسك، وانظر ما الله عندك في حياتك، فكذلك يكون لك العهد عنده في مرجعك، وانظر فإن تكن الدنيا عندك على غير ما وصفت لك فتحوّل عنها إلى دار المستعيب اليوم فلربّ حريص على أمر من أمور الدنيا قد ناله، فلمّا ناله كان عليه وبالاً وشقى به ولربّ كاره لأمرٍ من أمور الآخرة قد ناله فساد به^(١).

* روي أنّه حضره ذات يوم جماعة من الشيعة فوعظهم وحذّره وهم ساهون لاهون فأغاظه ذلك فأطرق ملياً ثمّ رفع رأسه إليهم فقال: «إنّ كلامي لو وقع طرفٌ منه في قلبٍ أحدكم لصار ميّتاً، ألا يا أشباحاً بلا أرواح ودُّبالاً بلا مصباح، خُشبٌ مُسنّدة وأصنام مريّدة، ألا تأخذون الذهب من الحجر؟ ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر؟ ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر؟ خذوا الكملة الطيبة ممّن قالها وإن لم يعمل بها فإنّ الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزّمر: ١٨]... إلى أن قال ﷺ:

كأنّك قد نسيت ليالي أوجاعك وخوفك، دعوتّه فاستجاب لك

فاستوجبَ بجميلِ صنيعه الشكرَ فنسيته فيمن ذكر وخالفته فيما أمر،
ويلك إنما أنت لصّ من لصوص الذنوب كلما عرضت لك شهوة أو
ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه فارتكبته، كأنك
لست بعين الله، أو كأن الله ليس لك بالمرصاد.

يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكل مطيتك وأوهى همّتك،
فلله أنت من طالبٍ ومطلوب، يا هارباً من النار ما أحت مطيتك
إليها وما أكسبك لما يوقعك فيها، انظروا إلى هذه القبور سطوراً
بأفناء الدور...

يا بن الأيام الثلاث، يومك الذي وُلدت فيه، ويومك الذي تنزل
فيه قبرك، ويومك الذي تخرج فيه إلى ربك، فيا له من يوم عظيم.

يا ذوي الهيئة المعجبة والهيم المُعظنة ما لي أرى أجسامكم
عامرة وقلوبكم دامرة، أما والله لو عاينتكم ما أنتم ملاقون وما أنتم
إليه صائرون لقلتم: ﴿يَلَيِّنَا نُرْدُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الأنعام: ٢٧]، وقال جلّ من قائل: ﴿بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ
وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] (١).

من مواضع الإمام الصادق (ع)

* عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، اشْتَكَى عَيْنَيْهِ، فَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَصِيحُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَجْزَعًا أَمْ وَجَعًا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَعَتْ وَجَعًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ مَلِكَ الْوَتِّ، إِذَا نَزَلَ لِقَبْضِ رُوحِ الْكَافِرِ، نَزَلَ مَعَهُ سَفُودٌ مِنْ نَارٍ، فَنَزَعَ رُوحَهُ بِهِ فَتَصِيحُ جَهَنَّمُ. فَاسْتَوَى عَلِيُّ عليه السلام، جَالِسًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَدَّ عَلِيُّ حَدِيثَكَ، فَقَدْ وَاللَّهِ، أَنْسَانِي وَجَعِي مَا قَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ يَصِيبُ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ! حَاكِمٌ جَائِرٌ، وَأَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، وَشَاهَدَ زُورًا»^(١).

* عن أبي بصير قال: «شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام الوسواس، فقال: يا أبا محمد اذكر تقطع أوصالك في قبرك، ورجوع أحبائك عنك إذا دفنوك في حفرتك، وخروج نبات الماء من منخريك، وأكل الدود لحملك، فإن ذلك يسلو عليك ما أنت فيه قال أبو بصير: فوالله ما ذكرته إلا سلا عني ما أنا فيه من هم الدنيا»^(٢).

(١) منازل الآخرة: ص ١٨.

(٢) الحدائق الفاخرة: ج ٣، ص ٣٤٩.

* عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: يا بن رسول الله خوَّفني فإنَّ قلبي قد قسا. قال: يا أبا محمَّد، استعدَّ للحياة الطويلة، فإنَّ جبرائيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو قاطبٌ، وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل، جئتني اليوم قاطباً. فقال: يا محمَّد، وضعت منافخ النَّار. فقال: وما منافخ النَّار يا جبرائيل؟ فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر بالنَّار فنُفخَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى ابيضَّت، ثمَّ نُفخَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى احمرَّت، ثمَّ نُفخَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى أسودت؛ فهي سوداءٌ مظلمة لو أنَّ قطرةً من الضريع قطرت في شراب أهل الدُّنيا، لَمات أهلها من نتنها، ولو أنَّ حلقةً واحدةً من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً، وُضعت على الدُّنيا لذابت الدُّنيا من حرِّها، ولو أنَّ سربالاً من سراويل أهل النَّار عُلق بين السَّماءِ واورض، لَمات أهل الدُّنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، وبكى جبرائيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إنَّ ربكما يقرئكما السَّلَام ويقول: قد أمنتكما أنْ تذنبا ذنباً أُعذَّبكما عليه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل مبتسماً بعد ذلك.

ثم قال: إنَّ أهل النَّار يُعظَّمون النَّار، وإنَّ أهل الجنَّة يُعظَّمون الجنَّة والنَّعيم، وإنَّ جهنَّم إذا دخلوها هَوُوا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد [وأعيدوا في دركها] فهذه حالهم، وهو قول الله، عزَّ وجلَّ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُرْفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [السج: ٢٢]، ثم تبدل

جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم. قال أبو عبد الله عليه السلام:
حسبك يا أبا محمد؟ قلت: حسبي حسبي^(١).

* قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة؟ قال عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. قال الرجل: كيف يتفكر؟ قال: يمرّ بالدار والخربة ويقول: أين بانوك؟ أين ساكنوك؟ ما لك لا تتكلمين؟»

* روي أنه جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له: بأبي أنت وأمي يابن رسول الله علمني موعظة، فقال له: «إن كان الله تبارك وتعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا؟ وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ وإن كان الثواب عن الله حقاً فالكسل لماذا؟ وإن كان الخلف من الله (عز وجل) حقاً فالبخل لماذا؟ وإن كان العقوبة من الله (عز وجل) النار فالمعصية لماذا؟ وإن كان الموت حقاً فالفرح لماذا؟ وإن كان العرض على الله حقاً فالمكر لماذا؟ وإن كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا؟ وإن كان الممر على الصراط حقاً فالعجب لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالحزن لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة إليها لماذا؟»^(٢).

* عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «طلبت الجنة فوجدتها في السخاء، وطلبت العافية فوجدتها في العزلة، وطلبت ثقل الميزان

(١) بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٤٠.

(٢) سفينة البحار: مادة «وعظ».

فوجدته في شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وطلبت السرعة في الدخول إلى الجنة فوجدتها في العمل لله تعالى، وطلبت حب الموت فوجدته في تقديم المال لوجه الله، وطلبت حلاوة العبادة فوجدتها في ترك المعصية، وطلبت رقة القلب فوجدتها في الجوع والعطش، وطلبت نور القلب فوجدته في التفكر والبكاء، وطلبت الجواز على الصراط فوجدته في الصدقة، وطلبت نور الوجه فوجدته في صلاة الليل، وطلبت فضل الجهاد فوجدته في الكسب للعيال، وطلبت حب الله فوجدته في بغض أهل المعاصي، وطلبت الرياسة فوجدتها في النصيحة لعباد الله، وطلبت فرغ القلب فوجدته في قلة المال، وطلبت عزائم الأمور فوجدتها في الصبر، وطلبت الشرف فوجدته في العلم، وطلبت العبادة فوجدتها في الورع، وطلبت الراحة فوجدتها في الزهد، وطلبت الرفعة فوجدتها في التواضع، وطلبت العز فوجدته في التصديق، وطلبت الذلة فوجدتها في الصوم، وطلبت الغنى فوجدته في القناعة، وطلبت الأانس فوجدته في قراءة القرآن، وطلبت صحبة الناس فوجدتها في حسن الخلق، وطلبت رضی الله فوجدته في برّ الوالدين^(١).

من مواعظ الإمام موسى الكاظم (ع)

* رُوي أنه عليه السلام حضر عند قبر، فقال:

«إنَّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يُزهد في أوله.

وإنَّ شيئاً هذا أوله لحقيق أن يُخاف آخره»^(١).

(١) تحف العقول: ص ٣٠٠.

من مواعظ الإمام علي الرضا (ع)

* روي أن المأمون كتب للإمام الرضا عليه السلام: عطني، فكتب له عليه السلام في الجواب.

إنك في دنيا لها مدّة
يُقبَل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطاً بها
يسلب منها أمل الأمل
تعجل الذنب بما تشتهي
وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي أهله بغتة
وما ذاك فعل الحازم العاقل^(١).

* ومما يُنسب للإمام عليه السلام:

ارغب لمولاي وكن راشداً
واعلم بأن العز في خدمته
واتل كتاب الله تُهد به
واتبع الشرع على سنّته

(١) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٣٦١.

لا تحترص فالحرص يزري الفتى
 ويُذهب الرونق من بهجته
 لسانك احفظه وُصن نطقه
 واحذر على نفسك من عشرته
 فالصمت زين ووقار وقد
 يؤتى على الإنسان من لفظته
 من جعل الخمر شفاء له
 فلا شفاه الله من علته
 لا تصحب النذل فتردى به
 لا خير في النذل ولا صحبته
 لا تطلب الإحسان من غادر
 يروغ كالشعلب في روغته
 وإن تزوجت فكن حاذقاً
 واسأل عن الغصن وعن منبته
 يا حافر حفرة أقصر فكم
 من حافر يُصرع في حفرتة
 يا ظالماً قد غرّه ظلمه
 أيّ عزيز دام في عزته
 الموت محتوم لكلّ الورى
 لا بدّ أن تجرع عن غصّته^(١).

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦٣.

من مواعظ الإمام علي الهادي (ع)

عندما جيء بالإمام عليه السلام في جوف الليل إلى المتوكل العباسي، وكان المتوكل يشرب الخمر فناول الكأس التي في يده للإمام عليه السلام فقال عليه السلام: والله ما خامر لحمي ودمي، فاعفني منه، فعفاه المتوكل، ولكنه ألحَّ على الإمام عليه السلام بإنشاد الشعر، فأنشده الإمام عليه السلام قائلاً:

باتوا على قُللِ الأجيال تحرسهم
غُلبَ الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍ عن معاقلهم
فأودعوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تُضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سألهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهنراً وما شربوا
ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادّخروا
فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة
وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
وهنا بكى المتوكل حتى بلّت دموعه لحيتته، وبكى الحاضرون
لبكائه، ثم أمر برفع الخمر من المجلس وردّ الإمام عليه السلام إلى داره
مكرماً^(١).

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ج ٢، ص ٤٧٢.

من مواعظ الإمام محمد الجواد (ع)

* قال له رجل: أوصني، فقال عليه السلام: وتقبل؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: توسّد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم أنك لا تخلو من عين الله فانظر كيف تكون»^(١).

* كتب إليه رجل: علّمني شيئاً إذا قلته كنت معكم في الدنيا والآخرة؟

فكتب إليه عليه السلام: «أكثر من تلاوة «إنا أنزلنا في ليلة القدر» ورطب شفّيتك بالاستغفار»^(٢)

(١) تحف العقول: ص ٤٥٥.

(٢) كلمة الإمام الجواد عليه السلام: ص ١٥٢.

من مواعظ الإمام الحسن العسكري (ع)

كتب الإمام العسكري عليه السلام إلى الشيخ علي بن الحسين الصدوق: «بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين.

أما بعد، أوصيك يا شيخي ومعتدي وفقهني، أبا الحسن علي بن الحسين القمي - وفَّقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته - بتقوى الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنه لا تُقبل الصلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. واجتناب الفواحش كلها، وعليك بصلاة الليل، فإن النبي صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال:

«يا علي، عليك بصلاة الليل (ثلاث مرَّات) ومن استخفَّ بصلاة الليل فليس منّا».

فاعمل بوصيتي، وأمر شيعتي حتى يعملوا عليه، وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي ﷺ قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج» لا تزال أمتي ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي ﷺ أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فاصبر يا شيخي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته وحسبي الله ونعم الوكيل المولى ونعم النصير^(١).

* رُوي أن رجلاً مرّ بالإمام العسكري ﷺ وهو واقف مع أتراه يبكي، فظنّ الرجل أن هذا الصغير يبكي لأنه لا يشارك أتراه باللعب، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟ فقال الإمام ﷺ: لا، ما للعب خلقنا، فقال الرجل: لماذا خلقنا؟ فقال ﷺ: للعلم والعبادة، فقال الرجل: من أين لك هذا؟ فقال ﷺ: من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] فقال الرجل: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك؟ فقال ﷺ: إليك عني إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم^(٢).

(١) تنمة منتهى الآمال: ص ٤٠٣.

(٢) حياة الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٣.

من مواعظ أبي ذر الغفاري

* قام أبو ذر - رحمه الله - عند الكعبة فقال: «أنا جندب بن سكن، فاكتنفته النَّاسُ فقال: لو أنَّ أحدكم أراد سفراً لاتخذ فيه من الزاد ما يصلحه، فسفر يوم القيامة أما ترون فيه ما يصلحكم، فقام إليه رجل فقال: أرشدنا، فقال:

صم يوماً شديداً الحرِّ للنشور، وحج حجَّة لعظام الأمور، وصلِّ ركعتين في سواد اللَّيْلِ لوحشة القبور.

كلمة خير تقولها، وكلمة شر تسكت عنها، أو صدقة على مسكين لعلَّك تنجو بها يا مسكين من يوم عسير.

اجعل الدُّنيا درهماً أنفقته على عيالك، ودرهماً قدمته لآخرتك، والثالث يضر ولا ينفع فلا ترده.

اجعل الدُّنيا كلمتين: كلمة في طلب الحلال، وكلمة للآخرة، والثالثة تضر ولا تنفع لا تردها، ثم قال: قتلني همَّ يوم لا أدركه».

* عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «بكى أبو ذرٍّ من خشية الله عزَّ وجلَّ حتَّى اشتكى بصره فقيل له: يا أبا ذرٍّ لو دعوت الله أن

من مواعظ أبي ذر الغفاري ١٠١

يشفي بصرك فقال: إنني عنه لمشغول وهو أكبر همّي، قالوا: وما يشغلك عنه؟ قال: العظيمنتان: الجنة والنار»^(١).

(١) انتهى الآمال: ج ١، ص ١٦٥.

قصة سلمان الفارسي

عن الأصبع بن نباتة أنه قال: كان سلمان الفارسي في عهد علي أمير المؤمنين عليه السلام والياً على المدائن، وكنت معه، وقد نصّبته عمر بن الخطاب، في فترة خلافته والياً على المدائن، وكان علي ذلك، حتى آل أمر الحكم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وعندما أصيب سلمان بالمرض الذي مات فيه، كنت أعوده كثيراً إلا أن مرضه كان قد اشتد، حتى تيقن سلمان بقرب موته، فالتفت إليّ في يوم وقال: يا أصبع، قد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليّ: يا سلمان أنه إذا قرب أجلك، حدّثك أحد الموتى، وأنا أريد الآن أن أعرف: هل قرب أجلي أو لا؟

فقال الأصبع: ماذا تأمر يا أخي سلمان؟ فقال: أحضر لي تابوتاً، وضع فيه ما يُوضع للميت، وأنمي فيه، وليحمله أربعة أشخاص إلى المقبرة، فقلت: حباً وكرامة، فأحضرت بعدها ما طلبه مني، وأحضرت أربعة أشخاص ليحملوه إلى المقبرة، ولما وضعوه على الأرض، قال: وجهوني إلى القبلة.

ثم قال بصوتٍ عالٍ: السلام عليكم يا أهل عرصة البلاء، السلام عليكم يا من خفيتم على أهل الدنيا، فلم يسمع جواباً، فقال

ثانية: السلام عليكم يا مَنْ ذقتم الموت، السلام عليكم يا مَنْ سكنتم التراب، السلام عليكم يا مَنْ رأيتم نتيجة أعمالكم الدنيوية، السلام عليكم يا مَنْ ثويتم بانتظار نفخة الصور، أقسم عليكم بالله الكبير والرسول الأكرم أن تجيبوني: أنا سلمان الفارسي، العبد المُعتق من قبل رسول الله ﷺ، وقد قال لي: يا سلمان، عندما يقترب أجلك، سيُكلّمك أحد الموتى، وأريد أن أعلم: هل قُرب أجلي أم لا؟

وما إن سكت، حتى هتف ميت من قبره: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا أهل البناء والبناء، يا أيها اللاهون بكسب الدنيا، قد سمعنا كلامك، وقد تهيئنا للإجابة، فاسأل ما شئت، شملك الله برحمته.

فقال سلمان: يا من تتكلّم بعد موتك، ويا مَنْ تتحسّر على ضياع الفرصة، هل أنت من أهل الجنة أو من أهل النار؟
فأجاب: يا سلمان، أنا من الذين أنعم الله عليهم، وأعطاهم الجنة برحمته.

فقال سلمان: يا عبد الله، صف لي الموت، وكيف وجدته، وماذا رأيت منه، وأي شيء واجهته بعده؟

فقال: إهدأ يا سلمان؛ والله إنّ تقطيعي بالسكين إرباً، أسهل عليّ من عذاب الموت، أعلم إنّي كنت في الدنيا من الذين ألهمهم الله حب الخير، ويعملون به، ويجيبون داعي الحق، وكنت أقرأ القرآن، وأسعى في الإحسان لوالديّ، وأجتنب الحرام والظلم،

وكنت منشغلاً ليلي ونهاري في طلب الرزق الحلال، وقد مرضت في ألدّ ساعات حياتي، ومكثت عدّة أيام على سرير المرض قبل أن أقضي نحبي، وبعدها ظهر لي شخص ضخم ذو وجه كريبه، فأشار إلى عينيّ فعميتا، وأشار إلى أذنيّ فصمّتا، وأشار إلى لساني فانعقد، فلم أعد أرى شيئاً أو أسمع، فشرع أهل بيتي بالبكاء، ووصل الخبر للأقارب، فسألت ذلك الشخص: مَنْ أنت حتى أشغلتني عن أهلي وأولادي وأموالي وشغلتني بنفسك؟ فقال: أنا ملك الموت؟ جئت لنقلك من الدُّنيا إلى منزل الآخرة، قد انتهى عمرك، وحلّ أجلك.

وفي ذلك الحين حضرني شخصان لم أرَ نظيراً لهما في الجمال، فجلس أحدهما إلى يميني والآخر إلى شمالي، فالتفتا إليّ، وقالوا: السَّلَامُ عليك ورحمة الله وبركاته، قد جئناك بقائمة أعمالك، خذها وانظر ما فيها، فقلت: ما هذه القائمة التي لا بُدَّ أن أراها؟ فقالوا: نحن ملكان كنّا معك في الدُّنيا وكتبنا ما كان لصالحك، وما كان يضرُّك. فنظرت إلى أعمالِي الحسنَة التي في يد (الرفيق) وفرحتُ لدى رؤيتي أعمالِي الصالحة وتبسّمت، ثم نظرت إلى أعمالِي السيئة في يد (العتيد) فتأسفتُ وبكيت، فقالا لي: أبشّر، فإنّك في خير.

فجاء عزرائيل إليّ وشرع بإخراج روحي من جسدي، وكان عندما ينزع روحي، كأني أقعُ من السَّماء على الأرض، فوصلت روحي إلى صدري، فأشار إليّ بحربةٍ لو استقرت في جبال الدُّنيا لذابت، وأخرج روحي من أنفي، وعندما ارتفع البكاء والعويل، وكنت أراهم وأسمع كلامهم. وعندما اشتدَّ بكاءهم لموتي، صاح

بهم ملك الموت غاضباً: ممّ تبكون أيّها النّاس؟ فوالله لم نظلمه حتى تشتكوا، ولم نُعاديهِ حتى تبكوا وتعولوا، ولكننا نحن وإياكم عباد الله، ولو أنّه أمركم بما أمرنا به تجاهكم لامثلتم الأمر تجاهنا، ونحن إذا امثلنا ما أمرنا به، والله لم نقبض روحه إلّا عندما انقضى أجله، فعاد إلى الرّبّ الكريم، ليحكم فيه بما يشاء، فهو قادر على ما يريد، فإنّ تصبروا فسُجازون بالخير، وإنّ جزعتم فقد أذنبتم. فما أكثر ما قد جئتُ إليكم، وأخذتُ منك الأولاد والأبناء والآباء والأمهات.

ثمّ ذهب عن سريري وأخذ معه روعي، وعندها أخذها ملك آخر، ولفّها في قطعة من حرير، ورفعها إلى الأعلى، ووضعها في محضر الله في رمشة عين، فسُئلتُ عن ذنوبي الصغيرة والكبيرة، وعن الصلاة والصيام، في شهر رمضان والحج، وقراءة القرآن والزكاة والصدقات، وسائر الأوقات والأيام، وطاعة الوالد والوالدة، وعن الدم المُرّاق بغير حقّ، وأكل مال اليتيم، وظلم العباد، وإحياء اللّيل بالعبادة والنّاس نياماً، ومن قبيل ذلك. ثمّ أرجعوها إلى الأرض بإذن الله.

فجاء شخص لتغسيلي فجرّدني من ثيابي، وشرع بالتغسيل، وكانت الروح تقول له: يا عبد الله، إغسله برفق، فوالله لم أخرج من كلّ عرق من عروق هذا الجسد إلّا تقطّع، ولم أخرج من عضو إلّا انشقّ، قسماً بالله! لو سمع الغاسل هذا الكلام لما غسّل بعدها ميّتاً، فأراق الماء وغسّلني ثلاثاً، وأبسني ثلاثة أكفان وحنّطني، وكان هذا آخر ما أخذته من الدُّنيا، ثمّ سحب الخاتم من كفي اليمنى وأعطاه لابني الأكبر وقال له: أجرك الله على أهلك.

وعندها شدّ كفني ولقنني الحقّة، ونادى أهلي وجيراني قائلاً:
تعالوا فودّعوه، فجاءوا وودّعوني، ثمّ وضعوني في تابوت من
الخشب، وكانت الروح، حينئذٍ بين وجهي والكفن حتى وضعوني على
الأرض لإقامة الصلاة عليّ، فصلّوا عليّ وحملوني نحو المقبرة، فلما
أرسلوني إلى القبر استولى عليّ دعرٌ كبيرٌ.

يا سلمان، يا عبد الله، أعلم أنهم عندما وضعوني في اللحد،
فكأنما ألقى من شاهق، ثم وضعوا أحجار اللحد، وأهالوا التراب
عليّ، وعندها عادت الروح إلى لساني وقلبي وأذني وعينيّ وما إن
سمعت أصوات رجوعهم، حتى تألمت وقلت: يا ليتني أرجع معهم،
فأجابني شخص من ناحية القبر: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ
وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المزمنون: ١٠٠] فقلت له: مَنْ أنت حتى
تتكلم معي؟ فقال: أنا منبه، ملك أمرني الله عزّ وجلّ بإيقاظ الموتى
من نومهم، ليكتبوا أعمالهم بأيديهم أمام الله تعالى، فسحبني
وأجلسني وقال: أكتب أعمالك، فقلت: لا أذكرها، فقال: ألم
تسمع قوله تعالى: ﴿أَخْصَنُوهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ١٦]، ثم قال: أنا
أقول لك، وأكتب أنت، فقلت: ومن أين لي الورق؟ فسحب جزءاً
من كفني وأعطاني إيّاه، وقال: هذه ورقتك، فقلت: وأين القلم؟
سبّابتك، فقلت: والدواة؟ فقال: لعابك، ثم قرأ عليّ ما فعلته في
الدُّنيا، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة، كما قال الله المتعال:
﴿...وَيَقُولُونَ بِنُؤْمَانِنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَخْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ثم
أخذها وضَمَّها، وعلقها في عنقي، فحسبت أنه قد علّق عليه جميع
جبال الدُّنيا، فقلت: يا منبه، لِمَ فعلت هذا معي؟ فقال: أمّا سمعت

قول الله حيث يقول: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، ستنادي بهذا الخطاب يوم القيامة، ويؤتى بك مع هذا الكتاب، فيفتحونه لك لتشهد على نفسك، ثم أدار وجهه وذهب.

وبعده جاء إليّ منكر ونكير على أعظم هيئة، وأرهب شكل. وكان في يده هراوة من حديد، لا يستطيع الجن والإنس تحريكها مجتمعين، ثم صاح بي صيحة لو سمعها أهل الأرض لماتوا فزعاً فقال لي: يا عبد الله، أخبرني من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وماذا صنعت؟ وماذا قلت في حياتك؟ فانعقد لساني من الخوف، وتحيرت ماذا أقول، وارتعدت فرائصي، وهنا أدركتني رحمة الله تعالى، واطمأن قلبي، وانحلت عقدة لساني فقلت له: يا عبد الله، لماذا تفرعني في حين أنني أعلم وأعتقد أن لا معبود سوى الله وأن محمداً ﷺ رسوله، وأن الله الواحد ربّي، وأن محمداً ﷺ نبيّ، وأن الإسلام ديني، والقرآن كتابي، والكعبة قبلتي، وعلياً إمامي، والمؤمنين إخوتي، وأشهد أن لا معبود سوى الله الواحد الذي لا شريك له، وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله، هذه مقالتي واعتقادي وسألني الله يوم القيامة بها، فقال لي: أبشر بالسلامة يا عبد الله، فقد نجوت، فتركتني وذهب.

ثم جاء نكير فصاح صيحةً أشدَّ هولاً، انكمشت لها أعضاء بدني كما تنكمش أصابع كفي، وقال: أعطني عملك يا عبد الله، فبقيت حائراً في جوابه، ولكن الله أبعد الخوف عني، وألهمني

عقيدتي وإيماني، وحسن يقيني وتوفيقي، فقلت له: إرأف بي يا عبد الله؛ لأنني خرجت من الدنيا في حين أني أشهد أن لا معبود سوى الله، وأنه واحد لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الجنة حق، والصراط حق، والميزان حق، وسؤال منكر ونكير حق، وأن الحياة بعد الموت حق، وأن الجنة وما قاله الله عن نعمها حق، وأن جهنم وما فيها من العذاب حق، وأن القيامة لا ريب فيها، وأن الله يحشر من في القبور. فقال نكير: أبشر يا عبد الله، بالنعمة الأبدية، والخير السرمدية، ثم أنامني نومة هائلة، وقال: نم كما ينام العريس على سريرها، وفتح فوق رأسي باباً إلى الجنة، وتحت رجلي باباً إلى النار، وقال: يا عبد الله، أنظر إلى الجنة والنعيم الذي ستصل إليه، وإلى النار والعذاب الذي نجوت منه، ثم أغلق الباب الذي كان تحت قدمي، وأبقى باب الجنة مفتوحاً، وكان يدخل قبوري نسيم الجنة ونعيمها، وأوسع قبوري إلى مدّ البصر وذهب.

هذا بيانٌ أمري والمخاوف التي رأيتها، وأشهد أن لا معبود سوى الله الذي لا شريك له، وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله، وأعترف أن شدة الموت ومرارته في فمي إلى يوم القيامة. فاجعل الله نصب عينك، واخش الموت والبرزخ. ثم انقطع كلامه وسكت.

وعندها قال سلمان: أنزلوني من التابوت إلى الأرض، واجعلوا لي متكأً، ففعلنا له ذلك، فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا مَنْ بقاء وقدرة كل شيء بيدك، وأن إياب كل شيء إليك، يا مَنْ يلجأ إليك، ولا تلتجىء إلى شيء، آمنت بك، واتبعت نبيك، وصدقت بكتابك، يا مَنْ لا يُخلف

الميعاد، قد رأيت ما وعدتني فارحميني، وأدخلني منزل كرمك، لأنني أشهد أن لا معبود إلا الله الواحد، وأنه واحد لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وعندها ودّع سلمان الحياة، والتحق بالرفيق الأعلى (رضي الله عنه).

وعندها حضر رجل قد أخفى جزءاً من وجهه، وكان راكباً على بغلٍ أبقع - أي خالط سواده بياضاً - فسلم علينا، وأجنبناه، ثم التفت إليّ وقال: يا أصبغ، جدّ في تجهيز سلمان، فانشغلنا بتجهيزه، وكان قد أعدّ معه كفناً وحنوطاً وقال: قد جئت بكل ما نحتاجُ إليه، فقمنا بسكب الماء، وأخذ يمر الماء على جسد سلمان، ثم كفّنه، وصلّي عليه وأدخله في قبره، وكان عليّ عليه السلام - وهو الرجل الذي دخل علينا - قد أدخل سلمان اللحد بيده، فأمسكُ بثوبه، وقلت: يا أمير المؤمنين، كيف جئت إلى المدائن، ومن الذي أخبرك بموت سلمان؟ فالتفت إليّ الإمام وقال: تعهد لي أن لا تُصرّح بهذا الأمر ما دُمّت حياً، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أموت قبلك، فقال لا يا أصبغ، إنك ستعمر طويلاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، خذ مني أيّ عهد أردته، فأنا مطيع لأوامرك، وإنّي لن أصرّح بهذا الأمر حتى يحكم الله في أمرك بما يشاء؛ فإنه قادرٌ على كل شيء، فقال الإمام: يا أصبغ، هذا ما عهدته إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد صلّيت في هذه الساعة في مسجد الكوفة، وذهبت إلى البيت، ونمت، فقال لي شخص في النوم: يا علي، قد مات سلمان، فنهضت وركبت بغلي، وجلبت ما يحتاجه الميت، وأتيتُ، فطوى الله لي الأرض، فوصلت إلى هنا، وقد أخبرني الرسول بهذا الأمر.

ثم أهال عليّ ﷺ الترابَ على قبر سلمانَ حتى ساوى الأرض، ثم غاب عن أنظارنا، ولا ندري هل ارتفع إلى السماء أم غاص في جوف الأرض؟ وقد وصل عليّ ﷺ إلى الكوفة حين كان المؤذن يؤذن لصلاة المغرب، وكان حاضراً بين المؤمنين.

وبهذا الشكل انتهت قصة وفاة سلمان الفارسي، رضوان الله عليه.

البهلول بن عمرو الكوفي

* عن الفضيل قال: دخلت الكوفة، وأنا أريد الحج إلى بيت الله الحرام، وإذا بهلول جالس بين قبرين قديمين. فقلت له: يا بهلول ما جلوسك ههنا؟ قال: يا فضيل أما ترى هذه الأعين السائلة والمعاسن البالية، والشعور المتمعطة والجلود المتمزقة، والجماجم الخاوية، والعظام النخرة لا يتقاربون بالأنساب، ولا يتواصلون تواصل الأحياب، وكيف يتواصل من قد طحنتهم كلاك البلاء، وأكل لحومهم الجنادل في الثرى، وخلت منهم المنازل والقرى، قد صارت يابسة بعد نظرتها، والعظام نخرة بعد قوتها، تجر عليهم الرياح بذبولها، وتعصب عليهم السماء بسيلها، ثم إنه بكى وجعل يقول:

تناديك أحداث وهنَّ صموت

وأربابها تحت التراب خفوت

فيا جامع الدنيا حريصاً لغيره

لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

قال الفضيل وإذا بهاتف يسمع كلامه، ولا يرى شخصه وهو

يقول:

ملّ الأحبّة زورتي فُجفيت
وسكنت في دار البلاء ونُسيت
وكذاك يُنسى كل من سكن الثرى
وتملّهُ الزوار حين يموت

قال الفضيل: فوقع بهلول مغشياً عليه. فتركته وانصرفت.

* روي عن عبد الله بن مرهان قال: حج الرشيد. فوافى الكوفة، وأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس. وخرج بهلول المجنون فيمن خرج وجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذا أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع، فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا هارون، فقال: من المتجريّ علينا، فقيل: هو البهلول، فرفع هارون السجاف بيده عن وجهه، وقال: لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول. فقال البهلول: يا أمير رونا بالإسناد عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت رسول الله ﷺ منصرفاً من عرفة يرمي جمرة العقبة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا قال: إليك إليك، وتواضعك يا أمير في سفرك هذا خير من تكبرك وتجبرك. قال: فبكى الرشيد حتى سقطت دموعه على الأرض، وقال: أحسنت يا بهلول زدنا.

* قيل: كان على قصبته فلما قالوا له: أجب الأمير عدّا على القصبة إلى أن بلغ إليه فسلم عليه الرشيد، فأجابه، فقال له الرشيد: كنت مشتاقاً إليك، قال: لكني لم أسمو إليك، قال: عظني يا بهلول، قال: وبما أعظك هذه قصورهم، وهذه قبورهم قال له الرشيد: زدني فقد أحسنت. فقال: أيما رجل آتاه الله مالاً وجمالاً

وسلطاناً فأنفق له ماله، وعفت جماله، وعدل له في سلطانه كتب في خالص ديوان الله تعالى من الأبرار، فقال الرشيد: أحسنت أحسنت يا بهلول كيف أنت مع الجائزة. قال: اردد الجائزة على من أخذتها منه. فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن يك عليك دين قضينا. قال: يا أمير هؤلاء أهلم العلم بالكوفة متوافرون أجمعت آرائهم على أن قضاء الدين بالدين لا يجوز قال: يا بهلول فنجري عليك بما يقوتك ويقيمك. فرفع البهلول طرفه إلى السماء، وقال يا أمير؛ أنا وأنت من عيال الله. فمحال أن يذكرك وينساني. فأسبل هارون السجاف، ومضى.

قيل وأنشأ البهلول يقول:

توكلت على الله
وما أرجو سوى الله
وما السرزق من الناس
بل السرزق من الله

من قصص التوابين

توبة قوم يونس (ع)

عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما ردّ الله العذاب إلا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبون ذلك، فهم أن يدعو عليهم وكان فيهم رجلان: عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا، والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول: لا تدع عليهم فإنّ الله يستجيب لك، ولا يحبّ هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم فدعا عليهم فأوحى الله إليهم: يأتيهم العذاب وفي سنة كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيها، فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب فقال العالم لهم: يا قوم اضرعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويردّ العذاب عنكم، فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة وفرّقوا بين النساء والأولاد، وبين الإبل وأولادها، وبين البقر وأولادها، وبين الغنم وأولادها، ثم أبكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجّوا وبكوا فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرق العذاب على الجبال وقد

كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس ينظر كيف أهلكهم الله فرأى
الزارعون يزرعون في أرضهم، قال لهم: ما فعل قوم يونس؟ فقالوا
له: - ولم يعرفوه - إن يونس دعا عليهم فاستجاب الله له ونزل
العذاب عليهم فاجتمعوا وبكوا فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم
وفرّق العذاب على الجبال، فهم إذا يطلبون يونس ليؤمنوا به^(١).

توبة شعوانة

كان بالبصرة امرأة تسمى «شعوانة» مشهورة بالتهتك والرقص والبغاء، وما كان مجلس فساد يُقام إلا وفيه شعوانة، كانت ذات يوم تسير هي وجواربها في أحد الأزقة وصادف أن مرّت عند باب دار أحد الزهاد في ذلك العصر، وتناهى إلى سمعها هناك صوت بكاء وعويل من داخل الدار.

أرسلت إحدى جواربها لتأتيها بخبر ما يجري، وأمرتها أن تعود إليها سريعاً، وقالت مع نفسها: إن في البصرة عزاءً ونحن لا ندري، ودخلت الجارية الدار ولم تعد، فأرسلت وراءها بجارية أخرى، ولكن الثانية لم تعد هي الأخرى، وأرسلت من بعدهما سائر الجواري ولم تعد إليها أية واحدة منهن، فغضبت وقالت: ما الخبر؟ أرسلت جميع الجواري ولم تعد واحدة منهن، لا بدّ وأنّ هنالك سر في هذه الدار، ثم قرّرت أن تدخل الدار بنفسها لتطلع على حقيقة الأمر.

دخلت الدار فوجدت رجلاً صالحاً على المنبر وناساً كثيرين من حول المنبر يبكون كان الواعظ يفسّر لهم الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا

رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ [الفرقان: ١٢] وأنهم إذا ألقوا فيها تربط أعناقهم بسلاسل من حديد:

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٣]. فيناديهم مالك: ويحكم سرعان ما تعالت أصواتكم!! لا زلتم في البداية، وهل رأيتم حرَّها؟ انَّ وراءكم عذاباً وآلاماً أكثر، فكيف ستفعلون؟

ما أن سمعت شعوانة تفسير هذه الآية حتى استشعرتها في أعماق قلبها وأخذت تبكي ونادت: وهل إذا تاب العبد تُقبل توبته مع كل الذُّنوب ويجعل له مكاناً عنده في الجنَّة؟ قال لها الشيخ: الله أرحم الراحمين، توبي يتوب الله عنك وإن كانت ذنوبك كذنوب شعوانة.

قالت: يا شيخ، أنا شعوانة، تبت إلى الله، ولن أعاود ارتكاب الذُّنوب قال لها: ما دمت قد تبت تاب الله عليك، وغفر لك ذنوبك.

كانت توبة شعوانة صادقة، فأنفقت كل ثروة حصلت عليها من عمل الفساد، واعتقت كل غلمانها وجواربيها، واتخذت لنفسها صومعة في الصحراء وانهمكت بالعبادة والرياضة إلى أن ذاب لحمها.

جاءت ذات يوم إلى الحمام لتغتسل ونظرت إلى بدنها فوجدت نفسها قد صارت ضعيفة وقد لصق جلدها بالعظم فتحسرت وقالت:

آه يا شعوانة هكذا صار حالك في الدنيا ولا أعلم ما سيكون شأنك
غداً في الآخرة.

فجأة سمعت صوتاً يُنادي: يا شعوانة لا تبعدي عنّا والزمي
بابنا لنرى ما سيكون عليه شأنك غداً في الآخرة، فكبر شأنها شيئاً
فشيئاً حتى غدت من الأولياء وصاروا يعقدون مجلساً تتحدث هي فيه
وتهطل دموعها.

توبة الفضيل بن عياض

قيل: إنَّ «الفضيل بن عياض» كان في بداية أمره من قَطَّاع الطريق الذين لا يتورعون عن ارتكاب أية كبيرة، وكان اسمه يثير الرعب في النفوس حتَّى أنَّ خليفة ذلك العصر «هارون الرشيد» كان يخشاه.

دخل فضيل المدينة ليلاً وتسلَّق الجدار، وعبر سطوح بعض الدور ليصل إلى دار فتاة، وهناك تناهى إلى سمعه صوت قراءة قرآن، فأنصت إليه، وإذا هو رجل يتلو الآية الشريفة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

فأثرت هذه الآية في نفسه وعاد ونزل من الجدار وتغيَّر حاله، وقال بنية خالصة وقلب نقي: يا إلهي لقد آن وقت الخشوع.

توبة الشباب

أقبل جماعة من الأوباش ذات يوم على الحاج «مؤمنى»، وكان من أصحاب المرحوم الشيخ محمد تقي المجلسي رضوان الله عليه، وقالوا له: سنأتى هذه الليلة إلى دارك. تحير الرجل في أمره؛ لأنهم إن جاءوا إلى داره يأتون معهم بآلات الطرب واللهو، ويمارسون الفسق والفجور، وإذا هو منعهم فسوف يناصرونه العداة ويجلبون له المتاعب على الدوام. فاضطر للاستجابة لطلبهم. وتوجه إلى المرحوم الشيخ المجلسي محتاراً، وذكر له المأزق الذي هو فيه.

فكر المرحوم المجلسي وقال: لا ضرر في مجيئهم فليأتوا، وسوف آتى أنا أيضاً، أعدّ الرجل المجلس وجاء الشيخ المجلسي قبل الأوباش.

ولما دخلوا وجدوا الشيخ المجلسي قد حضر ولن يتسنى لهم بوجوده أن يمارسوا الطرب واللهو كما يحلو لهم.

توهم أحدهم أنه يجب أن يقول شيئاً يغيظ به المجلسي حتى يغضب ويغادر المجلس وتكون لهم الحرية في اللعب واللهو؛ فبادر بالقول: أيها السيد ما العيب الذي يراه الناس في سلوكنا ويؤاخذونا عليه؟ قال الشيخ المجلسي: وما السلوك الحسن الذي يستحق المدح

فيكم؟ قال: حتى وإن كان فينا ألف عيب فنحن معروفون بالوفاء؛ إذا أكلنا الملح والطعام عند أحد لا ننسى ذلك طوال حياتنا.

قال الشيخ المجلسي: هذه خصلة حميدة ولكني لا أراها فيكم. قال الشخص: اسأل عنا من شئت، وانظر هل أكلنا الملح والطعام عند أحد ثم أسأنا إليه؟

قال المرحوم المجلسي: أشهد أنكم وإن كنتم تراعون لأحد حرمة فإنكم لا تراعون الله أية حرمة، تأكلون من نعمته وتعصونه.

أثرت كلمات الشيخ هذه في نفوسهم جميعاً فأخذهم الخجل ولم يتحدثوا بكلمة واحدة، ثم أنهم غادروا بعد برهة. وفي الصباح الباكر طرق الأوباش باب دار الشيخ المجلسي وقالوا: لقد نبهتنا البارحة من غفلتنا وجعلتنا نندم على أعمالنا، فأتمم فضلك علينا، وارشدنا إلى ما فيه صلاحنا.

ودأب الشيخ على إرشادهم إلى طريق التوبة وعمل الخير.

لقد سقط منك شيء ثمين؛

* كان أحد الشباب يركب دراجة ويسير بها بسرعة كبيرة، فصدم امرأة عجوزاً كانت تسير على حافة الطريق، وبدلاً من أن يطلب منها العفو، ضحك وتابع سيره.. فنادته امرأة قائلة:

أيها الشاب، لقد سقط منك شيء ثمين..

فعاد الشاب مسرعاً يبحث عما وقع منه، فقالت له المرأة:

لا تبحث، لقد سقطت منك أخلاقك وأدبك.

توبة مالك

كان عالماً زاهداً من أكابر عصره، وكان في مبدأ أمره يشرب الخمر، ويرتكب في سكره أنواع الفجور، ثم نقل من كلام نفسه أنه قال: كنت منهمكاً في شرب الخمر، ثم ولدت لي بنتٌ فشغفت بها؛ فلما دبَّت على الأرض ازداد في قلبي حبّها وألفتني وألفتها، وكنت إذا وضعتُ المسكر بين يدي جاءت إليّ وجاذبتني فاهرقته على ثوبي. فلما تمّت لها ستان ماتت فحزنت عليها. فلما كان ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملاً من الخمر ولم أصل فيها العشاء الآخرة، فرأيت في ما يرى النائم كأنّ القيامة قامت ونُفخ في الصور وبعثت القبور، وحُشرت الخلائق وأنا معهم، فسمعت حيناً من ورائي فالتفتُ، فإذا أنا بتنين كبير أعظم ما يكون، أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي؛ فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه، فردّ السلام فقلت: أيّها الشيخ أجرتني من هذا التنين أبارك الله. فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى منّي وما أقدر عليه ولكن مُر واسرع لعلّ الله يفتح لك ما يُنجيك منه.

فوليت هارباً على وجهي؛ فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت على أطباق النيران؛ فنظرت إلى هولها وكدت أهوى فيها من فرع التنين. فصاح بي صائح: ارجع فليست من أهلها. فاطمأنت إلى

قوله ورجعت. فرجع التين في طليبي. فأتيت الشيخ، فقلت: يا شيخ: سألتك أن تجيرني من هذا التين فما فعلت. فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين؛ فإن كان لك فيها وديعة فستنصرك. قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيها كوى وستور معلقة عليها من ذهب شهلاء بالياقوت مكوكبة بالدر، على كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت هارباً والتين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور، وافتحوا المصاريع، ففتحت فأشرف عليّ أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التين مني فتحيّرت في أمري فصاح بعض الأطفال: ويحكم اسرعوا كلكم فقد قرب منه عدوه؛ فأسرعوا فوجاً بعد فوج، وإذا بابنتي التي ماتت قد أشرفت عليّ معهم فلما رأني بكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور حتى مثلت بين يدي ومدت يدها اليسرى إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التين؛ فولى هارباً ثم أجلسني وقعدت في حجري وقالت يا أبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

فبكيت وقلت: يا ابنتي وأنتم تعرفون القرآن فقالت: نعم، نحن أعرف به منكم قلت: فأخبريني عن التين الذي أراد أن يهلكني. قالت: ذلك عملك السوء. قلت: وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكننا فيه إلى أن تقوم الساعة نتظركم تقدمون علينا نتشفع لكم.

قال مالك: فانتبهت من النوم فزعاً وأصبحت ففارقت المسكر وتبت إلى الله تعالى.

توبة سائق

قال أحدهم: حينما كنا نذهب من قم إلى طهران بواسطة الحافلة، ولم يكن الطريق بين هاتين المدينتين قد بُلُطَ حينها، توقف سائق الحافلة عند سفوح جبال مدينة «حسن آباد» الواقعة على هذا الطريق، واستأذن من الركاب بأن يصلي ركعتين في هذا البرّ على وجه السرعة. ومع أنّ الركاب لم يأذنوا له في بداية الأمر إلا أنّ موقفه الحازم جعلهم يستجيبون ويأذنون له بأداء الصلاة والعودة فوراً.

وحينما صليّ وعاد وجلس خلف مقود الحافلة أبدت أنا وأكثر الركاب رغبة في معرفة السبب الذي دفعه للصلاة في هذا المكان، وما هذه الصلاة التي تُؤدّى قبل الظهر وبهذا اللون من الإصرار على أدائها في هذا الموضع بالذات؟ فبادرته أنا بالقول: أرجو أن نخبرنا يا حضرة السائق ما هذه الصلاة التي أديتها هنا؟ ولماذا اخترت هذا الموضع من الطريق بالذات؟

قال: في هذا المكان أيقظني الله تعالى من نومة الغافلين، وأنا كلّما أمرّ من هنا أؤدي ركعتي صلاة الشكر لله تعالى.

قلت: وكيف أيقظك الله في هذا المكان من نومة الغافلين؟

لم يشأ في بداية الأمر أن يشرح لي القصة، ولكنه حينما لاحظ إصراري وسائر الركاب على معرفة أساس الموضوع، وخاصة حينما قلت له: لعلّ قضيتك تكون سبباً في إيقاظ الآخرين من نومة الغافلين.

قال: كنت قبل عدّة سنوات رجلاً مُتَحَلِّلاً، وغافلاً عن ذكر الله، وكثير الأذى للناس، ولا شيء يثير في نفسي ذكر الله، إلى أن مررت ذات يوم من هنا بسيارتي الخاصة وكنت وحدي، ونزلت لإراقة المائية في هذا المكان بعد أن أوقفت سيارتي إلى جانب الطريق، وكانت هناك مزرعة قد جمع محصولها من الحنطة.

لفت نظري هناك زنبور كبير نزل على حبة قمح وحملها بين أسنانه وتوجّه إلى ضُخور تقع عند سفح الجبل تقريباً. فاندفعت لا إرادياً إلى التفكير بصلة الزنبور - وهو من آكلات اللحوم - بحبة القمح، وحدثت أنه إنّما يريد لها لأمر آخر، ولهذا قررت متابعته، وسرت وراءه بسرعة ولاحظت أنه ذهب إلى مكان فيه عصفور ميت، وعصفورين آخرين صغيرين (خرجا من البيضة توأ)، وما أن سمعا أزيز الزنبور حتّى فتحا منقاريهما ووضع الزنبور حبة القمح في فم أحدهما، وذهب، ولم يمض طويلاً حتى عاد ثانية وكرر نفس العمل جلستُ هناك بعض الوقت وأنا ألاحظ الزنبور ذهب وعاد عدّة مرّات وهو يحمل القمح أو أشياء أخرى يطعم بها هذين العصفورين الصغيرين.

كانت كل هذه عبارة عن صيحات في مسامعي تؤكد وجود الباري عزّ شأنه، فأيقظتني من سبات الغفلة، فبكيت وذرفت دموعاً

غزيرة، وأخذت أطم على رأسي وأصيح لماذا أنا غاط في هذا السبات والغفلة عن الله الذي أرسل هذا الزنبور لإحياء هذين العصفورين الصغيرين «عميت عين لا تراك وتباً لقلب يخلو من محبتك».

جلست يومها إلى جانب العصفورين وبقيت أراقب حركة ذلك الزنبور، حيث شعرت هناك تماماً بوجود الله، وبقيت أبكي وأسجد منياً إلى الله تائباً إليه، حتى أثار قلبي وأدركت أنني أفقت من سبات الغفلة، ويجب عليّ العمل في سبيل التقرب إلى خالقي، ولا بدّ لي من اجتياز حجب الظلام والتحليق في آفاق الكمال الروحي.

ولهذا صليت في ذلك اليوم ركعتي صلاة الشكر لله تعالى على هذه النعمة وألزمت نفسي بصلاة ركعتي الشكر كلما مررت على هذا المكان.

محبة الله تعالى

قيل: إنَّ شيخاً كان يمشي في أحد الطرق، فرأى طفلاً جالساً يبكي، فسأله مِمَّ بكاؤك؟

فقال: إنَّ أمِّي أخرجتني من البيت، وكلَّما أستجير بالبيوت الأخرى لا يُفتح لي الباب.

فجلس الشيخ عند الطفل، وأخذ يوافق الطفل في البكاء، وقال: لو أنَّ طفلاً نهَرته أمُّه وطرده من البيت لا يُفتح له باب آخر، فمن ينهره الله - تعالى - عن بابه إلى أين يذهب؟ وكيف يفتح عليه باب آخر؟!

ثم قام الشيخ لكي يذهب في طريقه، فتعلَّق به الطفل، وطلب منه أن يشفعه لدى أمِّه، فوافق الشيخ على ذلك، وأخذ بيد الطفل إلى بيت أمِّه، وشفعه عندها، فبكت الأمُّ، وقالت: يا شيخ نعم الشفيع أنت، ولكن قد شفَّعه - أيضاً - قبل قانون (أولادنا أكبادنا)، ولكنَّه يا شيخ إنِّي كلَّما أمنعه عن اللعب لا ينزجر، فاعلم أيُّها الشيخ: لو خرج مرَّةً أخرى من دون إذني من البيت ليلعب قطعت عنه علاقة الأمومة والبنوَّة، فوافق الشيخ على ذلك.

فطلبت منه أن يكتب رسالة بهذا المعنى؛ كي لا يلعب بعد هذا مع الأطفال، وإلاّ فما هو ابن ولا أنا أمّه، فكتب الشيخ بذلك رسالة، وأعطاه إياها، فأخذت بيد الطفل، وأدخلته البيت.

فما مضت إلاّ سويعة وإذا رأى الشيخ أنّ الطفل قد خرج من البيت، وانشغل باللعب مع الأطفال، فغضبت الأمّ، وسدّت عليه الباب إلى أن انتهوا من اللعب، وذهب كلّ واحد منهم إلى بيته، وبقي وحده، فجاء إلى البيت، ولكن كلّما دقّ الباب لم تفتح عليه الباب، فالتجأ إلى بيوت الجيران واحداً واحداً، ولكنهم لم يفتحوا له أبوابهم، فاحتار في أمره.

ورجع مرّة أخرى إلى بيت أمّه، وكلّما دقّ الباب لم يُفتح له، فقال: يا أمّ إن لم يفتح عليّ باب الجيران كان لي وجه للرجوع إلى هذا الباب، ولكن لو لم يفتح عليّ هذا الباب ليس لي وجه للرجوع إلى باب آخر، وأخذ يبكي ويشنّ، وجعل وجهه على التراب إلى أن أخذه النوم وأمّه تراقب حاله من على السطح.

فحينما رأت الطفل قد نام بكمال الذلّ والانكسار في التراب رمت بنفسها، ورفعت رأس طفلها من على تراب الذلّ، وأخذت تمسح الغبار عن وجهه وهو نائم، ولمّا استيقظ الطفل، ونظر إلى وجه أمّه قال: يا أمّ لو تقطعي عني الماء والخبز فهو مقبول، ولو تفركي أذني فأنا مستحقّ لذلك، ولو تركتني في البكاء والحنين أتحمّل ذلك، ولكنّ الذي أطلبه منك أن لا ترسليني من باب بيتك إلى أبواب الآخرين، فلمّا رأى الشيخ هذه القصة شقّ قميصه، وقال: اتّضح لي من هذه القصة أمران:

- ١ - إنَّ العبد ليس له باب وطريق غير باب الله عزَّ وجلَّ.
- ٢ - إنَّ علاقة المحبَّة لا تنفصم بأيِّ شيء^(١).

(١) تزكية النفس: للحائري، ص ٢٦٢.

توحيد الله تعالى

* يحكي الشيخ محمد كريم عن أستاذه العالم الشيخ محمود الحكيم قال:

في عصر أحد الأيام جاء أستاذي إلى المدرسة، وقال: إنني أشعر بضيق في صدري، وأحتاج إلى شيء من الراحة، فقرّرنا الذهاب إلى تكية هفت نغان (وهي مكان يجتمع الناس فيه لقراءة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام ولتناول طعام العشاء).

ذهب الشيخ لتهيئة السفارة على أن أتبعه بعد ذلك مع بقية الطلاب، غير أنّ نزاعاً قد نشب بين بعض الطلاب، واضطرت للتدخل في تهدئته، فطال بنا الوقت حتى خيم علينا الظلام، فلم نخرج من المدرسة لما كان يلزم الخروج بالليل من الأخطار والمخاوف، لفقدان الأمن.

وفي صبيحة اليوم التالي، توجهت إلى أستاذي فرأيت في المسجد القريب من بيته حيران مضطرباً غارقاً في الفكر مشغول الحال والبال.

سلمت عليه، فردّ عليّ السلام ثم قال: لماذا لم تأتوا بالأمس؟

بيّنت له السبب، ثم سألته عن حاله يوم أمس وكيف قضى ليلته، لاسيّما وأنا أجد الاضطراب بادياً على محياه.

قال: لقد حدث لي حدث عظيم!

وأضاف: عندما تيقنت من عدم مجيئكم ولم أجد من أتحدث إليه لأنفس عن حالي وكربي، خرجت أسير وحيداً، ومن منتصف الطريق لمحت زاهداً جالساً على قارعة الطريق فناديته وكأنني وجدت فيه ضالتي:

يا زاهدا!

قال: نعم.

قلت له: ألا تقصّ لنا حكاية تسامر بها؟

قال لي: لا أعرف!

قلت له: فاقراً لنا قصيدة من الشعر؟

قال لي: لا أعرف!

هنالك قلت له: إذا كنت لا تعرف كل هذا، فما الذي كان عندك حتى علوت على الناس؟

قال لي: لقد علّمني شيخي أن أسلم كلما دخلت على أحد!

وما أن تفوّه بهذا الكلام حتى أحسست أنه أثلج صدري.

ثم قال لي الزاهد: شيخنا لا بأس عليك، تعال فاجلس هنا، وأشار إلى حصيرة كان جالساً عليه، جلست على الحصير.

فقال لي: قل: لا إله إلا الله.

وما إن لقّني كلمة التوحيد حتى كُشف عن بصري فصرت أرى كل شيء وكلما نظرت إلى ما حولي من الأعلى إلى الأسفل كنت أرى كلمة التوحيد منقوشة على كل شيء في السماء والأرض وعلى الأشجار والماء والجدار وكل شيء...

ولا أدري أي عالم كان ذلك العالم، لقد شاهدت عالماً ذا صفاء عجيب.

ثم قال لي: يا شيخ، والآن استلق، لتنام على الحصير فإنك قد أصبت بإعياء وتعب، فتغطيت بعباءتي، وجعلت أرمقه من تحت العباءة، لأرى ماذا يفعل!

شاهدته يذكر ذكراً من الأذكار، فيخرج نور من فمه، ويصعد إلى السماء، ثم سيطر عليّ النعاس، فأغفوت غفأة نهضت بعدها، فلم أجد لذلك الزاهد من أثر.

لقد علّمني الرجل: أنّ الزهد الحقيقي هو مصداق الحديث القدسي: «عبدني أطعني تكن مثلي أو مثلي، أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون»^(١).

(١) الأخلاق الآداب الإسلامية.

مواعد الشيخ التبريزي رحمه الله

هو الشيخ جواد بن شفيح الملكي التبريزي وكان من العلماء والفقهاء وعلى درجة عالية في التقوى والعرفان. له عدة مؤلفات، وهي: «أسرار الصلاة» و«المراقبات» و«السير إلى الله».

كان له درساً أخلاقياً عاماً في عصر كل جمعة في المدرسة الفيضية لطلاب العلوم الدينية وغيرهم من الكسبة والتجار، وكان له أيضاً درساً أخلاقياً خاصاً يعقده في صباح كل يوم بعد طلوع الشمس لخصوص تلاميذه السالكين، حيث يراقب تطوّر حالتهم الروحية يوماً فيوماً.

وكانت مجالسه الوعظية حارة جداً، يشواق لها الحاضرون وينشدون إليها وينتظرونها بفارغ الصبر، لما يجدون فيها من أثر بالغ على حياتهم الدينية. واستطاع «الملكي» خلال الخمسة عشر عاماً التي قضاها من سني عمره الأخير في «قم» أن يربي جيلاً من المؤمنين وثلة من العارفين.

يقول الخطيب الشهير السيد فاطمي نيا: «وكتب عن جمال السالكين آية الله الميرزا جواد التبريزي أنه كان عندما يقعد في

المجلس ويقول: يا أيها الناس إنَّ إحدى أسماء الله هي «الغفار» وبمجرد أن يقول ذلك ويُغمى على بعض الحاضرين، ويُنقلون إلى خارج المجلس».

من مواعظه: «فكر في نفسك وحضورك في يوم عظيم ومحضر عظيم لأمر عظيم، وظهور سلطان الله الذي لا يقدر قدره القادرون، ويعجز عن درك شدته العالمون، وحزنك في مثل هذا المقام الهائل، وافرض أهواله وأنكاله وعتابه وخطابه وحيائه وحسرتة وحرارته وفزعه وجوعه وعطشه وعرقه وخصمائه وزبانيته، ثم تفكر فيما أنت عليه في هذه الدنيا في عالم التكليف من لطفه وعزته وشرفه ونعمه، وتأمل في معاملة سلطان المعاد معك في هذا المقام، وتشريفك بخلع التكاليف الجميلة وإكرامه بدعوته لك إلى مناجاته ومجلس إنسه وقربه وجواره بهذه الكيفيات الجميلة، وتأمل في قوله: «أنا أفرح بتوبة عبدي من رجل ضلَّ مركبه وزاده في سفره، ويأس منه ونام مُسلماً نفسه للهلاك، ثم استيقظ ورأى مركوبه وزاده حاضراً عنده».

وفي قوله الكريم في الحديث القدسي: «لو علم المُدبرون عني كيف انتظاري لهم وشوقي إلي توبتهم لماتوا شوقاً إليّ ولتفرقت أوصالهم من أجل محبتي».

وقوله: «يا عيسى كم أطيل النظر وأحسن الطلب والقوم لا يرجعون».

وقوله: «عبدني بحقك عليّ إنني أحبك، فبحقِّي عليك أحبني».

وقوله بلسان الداعي: «أنا جليس من جالسني، أنا ذاكر من ذكرني، أنا غافر من استغفرتني، أنا مطيع من أطاعني» وأمثال ذلك.

ثم تأمل بماذا وبأي لذة ولأي كرامة ترضى بتبديل هذه التشريفات الفاخرة بمخازي يوم القيامة، وانظر إلى ما روي من ذلك في قول مالك بعد إلحاح ألف سنة: ﴿إِنَّكَ مَكُونٌ﴾ [الزخرف: ٧٧] وقول الجبار تعالى: ﴿أَخْسَأُ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وانظر في قيامك لصلاتك في الدنيا تحفُّك الملائكة من قدمك إلى عنان السماء، وينظر إليك الجبار بنظر اللطف، ويجيبك فيما تقوله من قليل وكثير، ويباهي بك ملائكته المقربين، ويقول في كل ما عمله في صلاتك من استقبالك إلى سلامك: أما ترون عبدي، أما ترون عبدي! ويعد لكل واحد من ذلك كرامة لك وقبوله جزاءه ورضا^(١).

(١) أسرار الصلاة: ص ١٨.

من مواعظ الشيخ الكفعمي

هو الشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي.

له كتب ومصنفات عديدة، أشهرها: «المصباح» و«البلد الأمين» و«محاسبة النفس».

قال السيد الخوانساري رحمته الله: وحكى لي بعض أفاضل الثقات من سادات جبل عامل عن بعض ثقات أهل تلك النواحي من عجيب ما اتفق لهم وهو أن حراثاً كان يكرّب الأرض بثورة فاتفق أن اتصل رأس جارته حين الكراب بصخرة عظيمة اقتلعها من الأرض فإذا تحتها جثمان قد رفع رأسه من التراب كالمتهجير الفرق المستوحش ينظر مرة عن يمينه وأخرى عن شماله ويسأل: هل قامت القيامة؟ ثم سقط على وجهه في موضعه.

فأغمى على الرائي ولما أفاق وجعل يبحث عن حقيقة الأمر رأى مكتوباً على وجه تلك الصخرة «هذا إبراهيم بن علي الكفعمي». وقد دُفن الشيخ في بلدة «جبشيت» العاملية.

من كلماته في الموعظة،

يا نفس، قد أشرفت على الهلاك وحلّ بك الارتباك، دان

فوتك، واقترب مَوْتك، عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور ولا تحسّين عواقب يوم النّشور، وقد قيل: «من تدبّر العواقب آمن من المعاطب» وكيف تبيعين ما يبقى أبد الأبدين بما لا يبقى إلاّ عدد سنين؟

أما تعلمين إنّ الموت ميعادك، والثّراب في القبر وسادك، والدُّود يأكل لحم خَدّيك، وإنسانُ عَيْنِكَ والفرع الأكبر بين يَدَيْكَ.

أما تعلمين أنّ الأموات يتمنون الرّجعة إلى هذه الدّار ليشغلوا ابتدارك تكفير الأوزار، ولو قدرُوا من يوم من عمرك أو ساعة من دهرك لا اشتروا ذلك بأغلى الأثمان ومَعادن العقيان، وأنت الآن في أمنيّتهم لا في منيّتهم وفي مقامتهم لا في قيامتهم.

أما تسحيين بتزيين ظاهرِك للعوالم وتبارزين الله في السرّ بالعظائم، وكيف تأمرين بالخير الدّاني والقاصي وأنت ملطّخة بالمعاصي تدعين إلى اللّين وأنت قاسية وتُذكّرين بالله وأنت له ناسية.

يا نفس ألا تنظرين إلى الذين مَضوا نظرة، أما لك بهم عبرة، كيف أصبح جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وخُلُفُوا فرادى في أضيق المضاجع، وصرعتهم المنايا في أعجب المصارع، وذهبت الشّهوات وبقيت التّبعات.

يا نفس حتّام إلى الحياة سُكونك وعمارتها إلى الدُّنيا ركونك، أما اعتبرت بمن مَضى من أسلافك ومن وارته الأرض من الإفك، ومن فُجِعَتْ به من إخوانك، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك.

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها
 محاسنهم فيها بوال دوائر
 خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم
 وساقتهم نحو المنايا المقادر
 وخلصوا عن الدنيا وما جمعوا لها
 وضممتهم تحت الثراب الحفائر
 وحلوا بدار لا تزاور بينهم
 وإنني لسكان القبور التزاور

يا نفس أراك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزينين لنقصان
 عمرك وصالح أعمالك، ولا ينفع مال زيد وعمر ينقص، ولهم يدوم
 ونعيم يخلص، حياتك أنفاس تعد وكلما مضى نفس منها انتقصت به
 جزءاً، فأعدي أيتها النفس اللوامة يوم الحسرة والندامة للسؤال جواباً
 وللجواب صواباً، واحذري ناراً قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها
 جديد وحلقها حديد، وإذا قيل لها هل امتلأت تقول هل من مزيد.

يا نفس استيقظي من غفلتك وانتبهي من رقدتك قبل أن يقال
 فلان عليل ومدنف ثقيل، فهل على الدواء من دليل؟ أم هل إلى
 طبيب من سبيل؟ ثم عرق جبينك وتتابع أنينك وأطبقت جفونك
 وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك وبكى إخوانك، ثم حل بك
 القضاء ونزعت نفسك من الأعضاء، ثم غسلت وكفنت ثم بعد ذلك
 دفنت، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتهنة بأعمالك فكوني من
 الله على وجل ولا تغترى بالأمل ونسيان الأجل، وأن تخرجي بغير
 زاد وتقدمي بغير مهاد فيعظم ندامتك يوم قيامتك وتكثر حسرتك يوم

كرتك، وتغصّي في ذلك المقام المهول بريقك وتصبّحي شماتة
عدوك ورحمة صديقك.

يا نفسُ إنّ الجنّازة عبّرة للبصير وفيها تنبيهٌ وتذكيرٌ^(١) وأهل
الغفلة لا تزيدهم مشاهدتها إلاّ قسوةً ولا تولّهم مُباشرتهم إلاّ صبوةً،
ومنهم من يضمّر التوبة وترك الحوبة، ومنهم من يغشى من الجزع
عليه وقد خضب من الدُموع خديه، عجبت لمن يبكي على فقد غيره
دموعاً ولا يبكي على نفسه، ولو عقل لبكى على نفسه وما فرط في
يومه وأمه.

ويبكي على الموتى أو يترك نفسه
وتزعم أنّ قد قلّ عنهم عزاءه
فلو كان ذا رأي وعقل وفطنة
لكان عليه لا عليهم بكائه

يا نفسُ في الحديث «أزهدُ الناس من لم ينس القبر والبلى
وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعدّ من أيّامه
غداً».

يا نفسُ من أكثر من ذكر قبره وعمل له وجده روضة من رياض
النّعيم، ومن غفل عن ذلك وجده حُفرة من حفر الجحيم.

يا نفسُ تعجّب الأرض لرجل يُمهد مضجعه للمنام ولا يمهدّه
بالعمل الصالح لطول يوم القيام.

يا نفسُ ما من أحد من العباد إلاّ ويناديه قبره: أنا بيت الوحدة

(١) «محلّة الاموات ابلغ العظّات فزوروا القبور واعتبروا بالتشور».

والانفراد، فإن كنتِ ذا ثواب كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت ذا عقاب فأنا عليك اليوم نعمة، أنا الذي من دخلني طائعاً خرج منه مسروراً، ومن دخلني عاصياً خرج مشبوراً، ثم يناديه الموتى من جيرانه أيها الوارد علينا بعد موت إخوانه أما كان لك فينا عبرةً أما كان في تقدمنا إياك فكرة.

ستندم عند الموت كل ندامة
 إذا ضمَّ أعضاك الثرى المتضايق
 فصرت طريحاً في ضريحك مفرداً
 ويهجرك الجار القريب الملاصق
 فذنبك إن أبغضته فمعانق
 ومالك إن أحببته فمفارق
 وإنك مأخوذ بما قد جنيته
 وإنك مطلوب بما أنت سارق

يا نفسُ تفكّري كيف تُساق الخلق من القبورُ يومَ البعث
 والنشور إلى موقف السّاهرة حُفاة، وإلى أرض المحشر عراة يسوقهم
 الله بالنّفخة الأولى وهي «الرّاجفة» ثمّ تتبعها بعد أربعين سنة بالنّفخة
 الثانية وهي «الرّادفة» وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذٍ «واجفة».

يا نفسُ ما لك خيرٌ يأتيك لیسيرٍ من الدُّنيا تفرحين ويفوتك
 الكثيرُ من دينك فلا تحزين.

أترضي بأن تفتني الحياة وتنقضي
 ودينك منقوصٌ ومالك وافرٌ

يا نفس الكيس الفتن الحذر من يهدم دنياه فيبني بها أخراه ولا
يهدم أخراه فيبني بها دنياه.

يا نفس كوني بهذه المناقشة والمحاسبة راضية ولهذه النصيحة
والموعظة واعية، ولا تنس ما ذكرت وتأمني ما حذرت، فإن غلبتك
عن قبول ذلك القسوة وقادك الهوى والصبوة فاستعيني على زوال
ذلك بدوام التهجد والقيام، فإن لم يزل فبالمواظبة على الصيام فإن
لم يزل فبصلة الأرحام، والتلطف بالأيتام، فإن لم يزل فانظري هل
تسمح عينك من الدمع بقطرة أو هل يأخذك على مصيبتك حزن
وحسرة، فإن سمحت عينك بالبكاء فقد بقي منك موضع للرجاء^(١).

(١) لاحظ «محاسبة النفس» من ص ٨٦ إلى ص ١٦٣.

من مواعظ الشيخ محمد تقي بهجت

هو آية الله الشيخ محمد تقي بهجت حفظه الله .

وهو من المراجع العظام ومن أهل الذكر والعرفان، وما زال في مدينة «قم» المقدسة يواصل تدريس البحوث العالية وتربية المجتمع على التقوى والأخلاق.

من مواعظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله سادة الأوصياء الطاهرين وعلى جميع العترة المعصومين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

هناك جماعة من الناس يطلبون الموعدة والنصيحة، فإن كان مقصودهم أن نتكلّم ويسمعون، ثم يتكرر منّا ومنهم ذلك [كلامنا واستماعهم] مرّة أخرى في وقت آخر، فإنّي عاجز عن ذلك، وهذا لا يخفى على المطلعين. أمّا إذا قالوا إنهم يريدون كلمة تكون أمّ الكلمات، وكافية لسعادة الدارين، فالله تعالى قادر على أن يكشف عنها، ويوصلها لكم من بيان العبد الفقير.

وعليه فنقول: إنَّ الغرض من الخلق هو العبودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وحقيقة العبودية ترك المعصية في الاعتقاد وهو عمل القلب، وفي عمل الجوارح. وترك المعصية لا يتحقق بنحو يصير ملكة للشخص إلا بإدامة المراقبة، وذكر الله تعالى في كلِّ حال وزمان ومكان، وفي الخلوات أو بين النَّاسِ. [ولا أقول سبحان الله والحمد لله... الخ لكن ذكر الله عند حلاله وحرامه].

إننا نحب إمام الزمان عَجَّلَ اللهُ تعالى له الفرج، لأنَّه أمير النحل، وجميع أمورنا تصل بواسطته، وقد نصبه النبي ﷺ لنا أميراً. ونحن نحب النبي ﷺ، لأنَّ الله جعله واسطة بيننا وبينه. ونحب الله تعالى، لأنَّه منبع جميع الخيرات، ووجود الممكنات فيضه. فإذا كنَّا نريد أنفسنا وكمالها، علينا أن نكون محبين لله تعالى، وإذا كنَّا محبين لله، فعلينا أن نكون محبين لوسائط الفيوضات من الأنبياء والأوصياء. وإلَّا، فإمَّا أننا لا نحب أنفسنا، أو لا نحب واهب العطايا، أو لا نحب وسائط الفيوضات. فكيمياء السعادة إذن ذكر الله، وهو يحرك العضلات نحو موجبات السعادة المطلقة. والتوسل بالوسائط استفاضة من منبع الخيرات بواسطة وسائلها المقررة. علينا الاهتداء بهدایاتهم والسير بقيادتهم لننال الفلاح.

إنكم لن تحتاجوا بعد للتوضيح أكثر. اضبطوا ما ذكر، وأثبتوه في قلوبكم، وهو يوضح نفسه بنفسه.

إن قلتم: لما لا تعمل أنت؟ نقول: إذا تقرر أن نقول بأننا

نعمل بكل ما نعلم به، فلربّما لم نكن لنتصدى لهذا المقام والبيان .
 لكن التكليف بذل النعمة لعلّها توصل للمقصود «ما أخذ الله على
 العباد أن يتعلّموا حتّى أخذ على العلماء أن يعلموا» .

ولا يخفى أنّ النصيحة العملية - لمن يتيسر له ذلك أرقى من
 النصائح القولية «كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم» .

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا جميعاً عمّا يسخطه .
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين،
 واللعن على أعدائهم أجمعين^(١) .

موعظة أخرى:

الحمد لله وحده، والصلاة على سيّد أنبيائه وعلى آله الطيبين،
 واللعن على أعدائهم أجمعين .

لقد طلب جماعة من المؤمنين والمؤمنات النصيحة، وطلبهم
 هذا يرد عليه إشكالات منها:

١ - إنّ النصيحة تكون في الجزئيات، والموعظة أعم من
 الكلّيات والجزئيات . ولا تكون النصيحة ممّن لا يملك المعرفة
 لمثله .

٢ - «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» .

(١) ومضات السرّ: ص ٨٤ .

- [من عمل بما علم] كُفي ما لم يعلم- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [الغنكبوت: ٦٩].

اعملوا بما تعلمون واحتاطوا فيما لا تعلمون إلى أن يتضح أمره. فإن لم يتضح فاعلموا أنكم قد أهملتم بعض ما تعلمون. وطلب المواعظة من غير العامل محل اعتراض. ومن المقطوع به أنكم قد سمعتم بعض المواعظ، وتعلمتموها ولم تعملوا بها، وإلاً لكتتم على بصيرة ووضوح من الأمر.

٣ - الجميع يعلمون أن عليهم أخذ الرسالة العملية، وقراءتها وفهمها، والعمل طبقها، وتشخيص الحلال والحرام بواسطتها. وكذلك الأمر بالنسبة للمدارك الشرعية إن كانوا من أهل الاستنباط. إذن لا يمكنهم القول: «إننا لا نعلم ما الذي يجب علينا فعله أو تركه».

٤ - انظروا إلى أعمال من لديكم اعتقاد حسن بهم، فما يأتون به عن اختيار فعليكم بإتيانه، وما يتركونه عن اختيار فعليكم بتركه. وهذا من أفضل السبل للوصول إلى المقاصد العالية «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم» والمواعظ العملية أرقى وأشد تأثيراً من المواعظ القولية.

٥ - من الأمور الواضحة أن قراءة القرآن في كل يوم، والأدعية المناسبة للأوقات والأمكنة، في التعقيبات وغيرها، وكثرة التردد إلى المساجد والمشاهد المشرفة، وزيارة العلماء والصلحاء ومجالستهم، يرضاه الله ورسوله ﷺ. كما يجب مراقبة ازدياد البصيرة والأنس بالعبادة والتلاوة والآيات يوماً بيوم.

وعلى العكس من ذلك، فإن كثرة مجالسة أهل الغفلة تزيد من قساوة القلب وظلمته، ومن النفور من العبادات والزيارات. ولذا نجد أن الأحوال الحسنة الحاصلة من العبادات والزيارات وأنحاء التلاوة، تتبدل بسبب مجالسة ضعفاء الإيمان إلى سوء الحال والنقصان. فمجالسة ضعفاء الإيمان إذن في غير صورة الاضطرار، أو من دون قصد هدايتهم. تسبب فقدان الملكات الحسنة للمرء، بل إنه يكتسب أخلاقهم الفاسدة:

«جالسوا من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقته، ويرغبكم في الآخرة عمله».

٦ - من الواضحات أن ترك المعصية في الاعتقاد والعمل يغني عن غيره. فغيره يحتاجه، بينما هو لا يحتاج إلى غيره، بل هو مولد للحسنات ودافع للسيئات:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويظن البعض أنهم قد اجتازوا مرحلة ترك المعصية، غافلين عن أن المعصية لا تختص بالكبائر المعروفة، بل الإصرار على الصغائر أيضاً كبيرة. والنظرة الحادة مثلاً إلى المطيع لإخافته إيذاء محرم، كما أن الابتسام للعاصي لتشجيعه إعانة على المعصية.

ومحاسن الأخلاق الشرعية ومفاسدها قد تمّ بيانها في الكتب والرسائل العملية.

وإن الابتعاد عن العلماء والصلحاء يمنح سارقي الدين الفرصة

لتضييع الإيمان وأهله بأهون السبل وأرخصها، وأبعدها عن الخير والبركة. وكل هذا مجرّب ومشاهد.

نسأل الله تعالى أن يجعل هديتنا في العيد (عيديتنا) في أعياد الإسلام الشريفة، التوفيق للعزم الراسخ الثابت الدائم على ترك المعصية، فإنّه مفتاح سعادة الدنيا والآخرة، إلى أن يصبح ترك المعصية ملكة. والمعصية بالنسبة لصاحب الملكة بمنزلة شرب السم للعطشان، أو أكل الميتة للجائع.

وبالطبع، فلو كان هذا الطريق صعباً إلى آخره، ولا ينتهي بالسهولة والرغبة، لما وقع مورداً للتكليف والترغيب والحث من قبل الخالق القادر الرَّحِيم.

وما توفيق إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين^(١).

الخطيب الواعظ

عن الشيخ علي دخيل حفظه الله قال: «سمعت الحجّة الشيخ محمد تقي الجواهري يقول: إنّ الحجّة الكبير السيّد نصر الله المستنبت قدم من زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وأقام بالمناسبة مأتماً لسيّد الشهداء عليه السلام، وكنت أحد الحاضرين، وصعد خطيب إيراني المنبر فقال: كانت أمنيّتي في الحياة أن أخطب في مجلس ليس فيه إلاّ أهل العلم، وقد خصلت على أمنيّتي الآن.

ثمّ قال: كل واحد منّا يصرف مبلغاً شهرياً من سهم الإمام عليه السلام، ولو قدر أن يخرج الإمام ويسأل كل واحد منّا: هل أدّى بمقدار ما أخذ؟ فكيف يكون الجواب؟

ولو قال عليه السلام: أنا أكتفي منكم بالنصف، فهل أدّيتم بنصف ما أخذتم؟ فكيف يكون الجواب؟

ولم تنازل عليه السلام فقال: أنا أكتفي منكم بالربع، فهل أدّيتم بما يساوي الربع ممّا أخذتم، فكيف يكون الجواب؟

يقول الشيخ الجواهري: كان يتكلّم بأسلوب رائع، وبيان عالٍ، وشرح جميل؛ ممّا جعلني أترك العشاء في تلك اللّيلة ولم أستطع

النوم متفكراً في ذلك بالنسبة إلى نفسي، وهي عندي إجابة مقبولة
لمثل هذه الأسئلة لو سألني عنها الإمام عليه السلام.

وجاء اليوم الثاني وأنا على تلك الحال من الامتناع من الأكل
والنوم، وهكذا حتى اهتديت للجواب، وهو إنني درست عدداً كبيراً
من طلاب العلم اللبنانيين، والكثير منهم اليوم علماء وقضاة^(١).

موعظة السيد علي بن طاووس رحمه الله

جاء في وصيته لولده السيد محمد: وأحدثك يا ولدي بجواب جرى لي مع من يُنسب إلى العلم فإنه حضر عندي يوماً وأنا جالس على تراب أرض بستان، فقال: كيف أنت؟

فقلت له: كيف يكون من على رأسه جنازة ميت، وعلى أكتافه جنازة ميّت، وعلى سائر جسمه أموات محيطون به، وفي رجليه جسد ميّت، وحوله أموات من سائر جهاته، وبعض جسده قد مات قبل ممات جسده.

فقال: كيف هذا؟ فما أرى عندك ميتاً؟!

فقلت له: أأست تعلم أنّ عمامتي من كتان، وقد كان حياً لَمَّا كان أخضر ثابتاً في الأرض فيبس ومات، وهذه صُدرتي من قطن حي أخضر فيبس أيضاً ومات، وهذه لالجتني قد كانت من حيوان فمات، وهذا حولي نبات قد كان أخضر فيبس ومات، وهذا البياض في شعر رأسي وجهي قد كان حياً بسواده فلَمَّا صار أبيضاً فقد مات، وكل جارحة لا أستعملها فيما خلقت له من الطاعات فقد صارت في حكم الأموات.

موعظة السيد علي بن طاووس رحمه الله ١٥١

فتعجب من هذه العظة وصحيح المقالات، فليكن علي خاطر
يا ولدي أمثال هذه العظات^(١).

(١) كشف المحجة: ص ١٥٣.

موعظة الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء قدس سره

ورد في حالات الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء وهو من أعلام القرن الهجري الثالث عشر وكان يعيش في مدينة النجف الأشرف:

في إحدى الليالي، وعندما نهض للتهجد، أيقظ ابنه الشاب وقال له: انهض لنذهب إلى الحرم المطهر ونصلي هناك، فاعتذر الشاب - الذي كان النهوض في تلك الساعة من الليل صعباً عليه - فقال: إنني لست مستعداً الآن فلا تنتظرنني! اذهبوا وسأتي فيما بعد.

فردّ الشيخ: كلا، أنا واقف منتظرٌ هنا، فانهض وتحضّر لنذهب معاً.

فاضطرّ الابن الشاب للنهوض والتوضؤ ثم ذهباً معاً.

وعندما وصلا إلى باب صحن الحرم المطهر شاهدا فقيراً وقد جلس يستجدي من الناس، فوقف ذلك العالم الكبير وتوجّه إلى ولده مخاطباً له بالقول: - لماذا جلس هذا الشخص هنا في هذه الساعة من الليل؟! -

فقال الابن: جلس للاستجداء من الناس.

فسأل الشيخ: وكم يمكن أن يحصل عليه من المارة؟

أجاب الشاب: لعلها بضعة دراهم.

فقال الشيخ: - إذن، ففكر في الأمر ملياً، لقد جاء هذا الرجل هنا في هذه الساعة من الليل وتخلّى عن راحته ونومه وجلس في هذه الزاوية فاتحاً يد التذلل للناس من أجل الحصول على مبلغ قليل محتمل؛ أليس لك - بمقدار رجاء هذا الشخص للحصول على ما يُريد - من الثقة بوعود الله تعالى للقائمين والمتهجدين في الأسحار وهو تعالى القائل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وينقل: - أنّ هذه الموعظة الصادرة من ذلك القلب الحي اليقظ قد هزت وأيقظت هذا الشاب بحيث أنّه لم يترك إلى وفاته صلاة الليل ولم يُحرم من سعادة قيام الليل؛ نعم ﴿...إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [٦٩-٧٠] [بِس: ٦٩-٧٠]

موعظة الميرزا محمد تقي الشيرازي

يحكى أنّ الميرزا محمد تقي الشيرازي اجتمع هو والسيد كاظم اليزدي، وكلاهما كان رئيساً دينياً فذكرا تقصيرهما في جنب الله تعالى، وبكيا، فقالا: ما الحيلة؟

فقال الميرزا الشيرازي: إنّ الميّت إذا مات يقول: ﴿...رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. ونحن بمنزلة من أذن له في الرجعة، فلنستأنف العمل^(١).

(١) حجر وطنين: ج ١، ص ١١١.

مواعد الشيخ محمد علي الخراساني رحمه الله

يقول الشيخ عبد الحسين الخراساني حفظه الله:

كان الوالد المعظم والواعظ المكرّم المرحوم الشيخ محمد علي الخراساني شديد الغضب لله تعالى، فلا تأخذه في نصيحة الآخرين وقول الحق لومة لائم واعتراض أحد، ذات مرّة كان على المنبر، إذ دخل مجلسه المرجع الكبير آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله، فالتفت إليه الشيخ قائلاً: «عصمك الله من الزلل».

ومرّة أخرى قال: «اللّهم اعصم هذا السيّد من الزلّات» ثم ذكر الحديث الشريف (إنّ زلّة العالم كإنكسار السفينة، تغرق وتغرق).

إنّه كان يعظ العلماء والمراجع ويركهم بالمسؤولية، لئلاّ يخطفهم غرور الرئاسة فينسوا ما كانوا عليه من قبل.

حتّى أنّ آية الله العظمى السيّد محمود الشاهرودي رحمه الله وكان مرجع تقليد كبير - يقول للشيخ:

«شيخنا لا تظنّ إنّي أنزعج بهذا الدُّعاء، فإنّ هذا الدُّعاء ممّا نهتمّ به، فادع لي بذلك».

وقد شاهده مرة دخل على آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره، فقال له: «من طلب الرئاسة هلك وأهلك».

وآية الله العظمى السيد حسين القمي رحمه الله . . وهو ممن كان دائماً يطلب من الشيخ الوالد بأن ينصحه ولا يبخل عليه بالموعظة، فقال له الشيخ ذات مرة «إذا قبلوا يدك، وتشمخ بأنفك».

وبشكل عام كان الشيخ محمد علي الخراساني رحمه الله يهتم بهداية الناس وتذكير والعلماء على السواء، ويكثر المواعظ والروايات والقصص التي تؤثر في تزكية النفوس وتهذيب السلوك وتعميق الأخلاق وتذكر بالآخرة، وكان المرحوم يتكلم بطريقة مؤثرة، لأنه كان يُخرج المعاني من قلبه الخاشع لله تعالى، فلم يتصنع في الألفاظ ويحاول إبراز العضلات العلمية لكسب الناس إلى نفسه، بل كانت أحاديثه المنبرية تنطلق على الفطرة.

عندما كان يسافر إلى سامراء ويرتقي النهر هناك كان آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي مرجع الشيعة المسلمين في العالم آنذاك، يعلن تعطيل درسه ويأمر العلماء وطلبة العلوم الدينية بالذهاب إلى مجلس هذا الخطيب الحسيني للاستفادة من مواعظه التربوية.

ومن تلك الإشارات التربوية المضيئة التي كان يقولها الشيخ الخراساني دائماً على المنبر:

- تعلموا العلم لله . . .

- نحن بعدُ جهّال . . .

- قرأنا وما عملنا ...

- تقرأ وتقرأ فإنه لا ينفعك ما لم تعمل ...

- بعد لم نصبح إنسانيين إنما نحن بصورة إنسان ...

لم ن نصف مع الرسول ولا مع الإمام عليه السلام ...

لا زلنا لم نعرف الله تعالى فلو كنا عرفناه لما عصيناه ...

لقد ذهب الطيبون، ومات البكاؤون فأحيوهم في حياتكم أيها

المؤمنون ...

إن لم تفيدوا الإسلام، فلا أقل لا تضرّوه ...

أيها الناس، متى تصيرون (أوادم)، ألا تعتبرون من هذه الدنيا

التي صنعت بآل محمد ما صنعت.

كل أحد أدري بحاله، فأنا أدري بحالي، وأنتم أدري بحال

أنفسكم، فلا تغترّ بما يُقال من المدح، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام

إذا مدحه أحد، قال: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي من

نفسي.

الخير عادة، يجب أن نعوّد أنفسنا عليه حتى يتحول فينا إلى

ملكة ...

وكان يقف أمام ضريح الإمام علي عليه السلام ويخاطب أمير

المؤمنين:

«سيدي، أرجوك أن تنظر إلى قلبي، وتنوره».

نحن غافلون، فقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام: ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه، أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك...

هذا... ولقد نقل المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي رحمته الله لتلميذه الشيخ عبد الحسين الخراساني قوله: «إنَّ والدك، كان إذا شرع في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، يغيّر بها أحوالنا ويؤثر في قلوبنا».

سلام على هؤلاء العباد الذين أضأوا الطريق لمن أراد العبودية الله تعالى، وهل نحن ممن يسلكون ذلك؟^(١).

(١) قصص وخواص: ص ٥٥٢.

موعظة السيد مهدي الشيرازي قدس سره

يقول الشيخ الحكيمي: وسمعتُ مراراً، أن سماحة آية الله ميرزا مهدي الشيرازي، كان حين تدرسه في سامراء وبحثه مع آية الله العظمى ابن عمه السيد ميرزا هادي الشيرازي في كل يوم، نقل هذه القصة من لسان آية الله العظمى ابن عمه السيد عبد الهادي الشيرازي قال:

سنين طوال كنا نبحث مع ميرزا مهدي ولكن بعد الدرس والبحث كان يتركني ويذهب إلى شأنه ولم يخبرني إلى أين يذهب، وكنتُ أرى شيئاً كالْبُقْشَة تحت عباءته، فعزمتُ على أن أعرف خبره أين يذهب السيد ميرزا مهدي.

فسايرته يوماً خلفه من حيث لا يعلم من بعيد أنظر إليه وإذا رأيتُهُ خرج من مدينته سامراء حتّى وصل إلى المقابر وفكّ الذي كان تحت عباءته ولبسه وإذا هي كفن ونام في أحد القبور المصنوعة، والحُفْر المَوجودة.

فدنوت منه فرأيتَه يبكي ويخاطب نفسه، سمعته يقول: يا مهدي ماذا أعددت وهيأت لهذه الحفرة المظلمة الموحشة وأنت وحيد فريد، لا ينفعك سوى عملك، ومن هذا الكلام وأمثاله.

ثم بكى وقال: ﴿...رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ثم قال: الآن نرجعك فتهياً لآخرتك من جديد، ثم قام ونزع كفته ولبس رداءه وذهب^(١).

(١) أذكيا العلماء: ص ٤٣١.

موعظة الشيخ عبد الله التستري رحمه الله

نقل أنه مرض ولده «حسين علي» مرضاً شديداً وكان يحبه كثيراً فذهب إلى المسجد لصلاة الجمعة وحواسه متفرقة فلما شرع في سورة «المنافقون» ووصل إلى هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] جعل يكررها.

فُسئِلَ بعد الصلاة عن سبب تكرارها، فأجاب: إنني لما وصلت إلى هذا الموضع من السورة تذكرت ولدي فجاهدت نفسي بتكرار الآية حتى فرضت أن ولدي قد مات وجنازته مقابل عيني^(١).

(١) أذكياهم العلماء: ص ٢٢٩.

شباب يخاف من عذاب النار

هذه قصة رائعة ينقلها التاريخ بإكبار عن العالم الرباني السيد «الميرداماد» رحمه الله:

فقد كان شاباً يافعاً يطلب العلم في إحدى المدارس الدينية في طهران، وفي إحدى الليالي وبينما كانت بنت شاه إيران في ذلك الوقت تسير في الشارع مع جواريتها وخدمها، إذ أمطرت السماء مطراً غزيراً، وهبت رياح عاتية قوية، فصارت كل واحدة من جوارى بنت الشاه تبحث عن ملجأ لنفسها، إلى أن أصبحت بنت الشاه وحيدة في الشارع في ذلك الجو المزعج المخيف.

ورأت باب المدرسة مفتوحاً فدخلت المدرسة وطرقت باب غرفة السيد الشاب، والذي كان يتدفأ بحرارة شيء من الجمر، ليدفع به البرد القارس.

وشرحت للسيد الشاب قصتها، فهي فتاة ضائعة تريد ملجأً يستضيفها ريثما يهدأ الجو وينشق نور الصباح.

فلم ير السيد بُدأً من الاستجابة لها، وأدخلها غرفته حيث جلست في زاوية، وجلس هو في زاوية أخرى.

وبعد أن ذهب قسط من الليل بدأ الشيطان يمارس دوره الخبيث في مثل هذه الأجواء.. كما ورد في الحديث: «ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما»، أصبح الشيطان يزين للسيد الشاب اغتنام الفرصة، وممارسة الشهوة الحرام، فالجو مُهيأً والباب مغلق، ولا تملك الفتاة أي وسيلة للدفاع والامتناع..

ولكنه وهو الشاب الصالح الواعي صار يفكر في وسيلة يتخلص بها من مخالب الشهوة، ومصيدة الشيطان.

وأخيراً توصل إلى طريقة قاسية تعينه على مقاومة شهواته، ومكافحة وساوس الشيطان.. وذلك بأن يضع إصبعه على الجمر حتى يشتغل بألم الحرق عن التفكير في الحرام، وهكذا استمرَّ يحرق أصابعه طوال الليل، ويكابد الألم، وهو يخاطب نفسه قائلاً: ذق النار ونحف نار الآخرة!!^(١).

(١) روضة المتعطين: ج ١، ص ٤٤.

يوم القيامة

يقول الشيخ الفقيه رحمه الله: «في سنة ١٣٤٦هـ حسبما أظن، كنت نائماً في مدرسة «الخليل»، المعروفة «بخان القطب» الواقعة في أول «النجف» فرأيت في عالم الرؤيا أن القيامة قد قامت، وأنَّ النَّاسَ مجموعون في صعيد واحد، وأنَّ الأرض التي اجتمع عليها النَّاسُ مستوية، فلا جبل، ولا واد، ولا منخفض، ولا شجر، ولا ماء، ولا كلاً، بل هي أرض سهلة مستوية، ليست تراباً ولا حجراً، ولا رملاً ولا مدرأ، بل شيء بين الرمل والتراب، ولا صلابة فيه ولا لين، لونه أشبه بلون الفضة الرمادية، أو أشبه بلون الألمينيوم.

وأول شيء خطر في بالي، أنَّ القيامة قامت، وأنا لم أمت بعد، مع أنني كنت أسمع من والدي أنَّ القيامة لا تقوم حتى يموت جميع الأحياء، وبعد أخذ وردّ بيني وبين نفسي، أقنعت نفسي بأنه لا معنى لهذا، فإنَّ القيامة قد قامت، وكوني متاً أو لم أمت وكون القيامة لا تقوم حتَّى يموت كل حي، بحث لا مجال له.

ثمَّ جعلت أتذكر أعمالي حتَّى تجسمت كلها أمامي، خيرها وشرها، فكنت أرتاح كثيراً للأوقات التي كنت أراني أصلي فيها، وأتألم كثيراً لأوقات الفراغ المأ لا أستطيع تصويره، فكان قلبي

ينهار، وأتمنى العودة لدار الدنيا، لأملأه بالصلاة، ثم أتحسر وأقول: ولكن... لا سبيل للعودة.

ومن الغريب أنني ما كنت أتألم لأوقات المعاصي بقدر تألمي لضیاع أوقات الفراغ، وبعد هذا، كأنني انتهيت من حساب نفسي، وأحسست بأنني فقير للشفاعة فعزمت على الاستشفاع بالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فنظرت إلى وسط المحشر فرأيت منابر عالية، ورأيت الأئمة عليهم السلام عليها، فأردت شق الناس لأصل، فقطعت نحو سبعة أمتار، ثم رأيت الناس ملتحمة، لا يمكن الدخول بينها، والمسافة بيني وبين الأئمة عليهم السلام بمقدار ما يمتد البصر فرجعت منتظراً خفة الازدحام.

ثم تحمّست ثانياً، وأقدمت، فلم أستطع إلاّ الدخول إلى مسافة أقل من سابقتها، فرجعت آملاً بخفة الازدحام، ثم خفت، فحاولت الدخول بين الناس، ولو مقدار خطوة، فلم أستطع من شدة الالتحام، فأخذني الخوف، وما راعني إلاّ ضجة أهل المحشر بأجمعهم، فعلمت أن الكتب ستطير، وسيأخذ كل كتابه، فعزمت على أن لا أتناول كتابي إلاّ بعد الشفاعة، فهبت زوبعة فيها أوراق صغيرة، فضجت الناس، وجمعت يدي إلى بدني، فما راعني إلاّ تعلق ورقة بقفا كفي الأيسر، فحاولت رفضها، فلصقت بدون مادة توجب التصاقها، فعلمت أن الأمر ليس اختيارياً ونظرت في الورقة، وإذا وجه منها أبيض، والآخر رمادي اللون، فتيقنت بأنه لا بدّ من المرور على النار.

ومن أغرب الأشياء أنني لم أعرف أحداً، ولم يخطر في بالي

أي مخلوق قريب أو بعيد، غير الإمام زين العابدين عليه السلام، وبينما أنا كذلك في أطراف المحشر، وأتمنى العودة للدنيا لأعمل وإذا بالحاجة آمنة زوجة المرحوم عم والذي الحاج حسن الفقيه، والريح تحرك رداءها، قالت لي:

أنت هنا وأبوك في ذاك المكان، فتنبّهت إلى والذي، وذهبت إليه، فوجدته يصلي جماعة، وخلفه خمس صفوف، كل صف مائة وخمسون رجلاً، فصلّى ركعتين وانصرف، فأقمت إلى جنبه، وهدأت نفسي، فسار وسرت معه؛ حتّى وصل إلى خربة وإذا بها الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والسيد حسن يوسف العاملي، فسلم عليهم، وجلس معهم قليلاً، ثم قام، فقالوا: إلى أين؟ فقال: أريد تجديد الوضوء، فسرت معه قليلاً.

ثم انتبّهت من نومي، فوجدت القمر مشرقاً، والجو جميلاً، خرت ساجداً، وشكرت الله سبحانه على أنني لم أزل في دار الدنيا، عازماً على العمل الصالح، ولقد كان لهذا الطيف الفضل الكبير في توجيهي للطاعات والعبادات منذ ذلك التاريخ، ولم يفارقني شبح هذا الطيف أمداً طويلاً، وإلى الآن تجاوزت الستين ولا أنسى خصوصيات هذا الطيف^(١).

(١) حجر وطنين: ج ١، ص ٢٠٠.

اليوم الأخير في الحياة

لقد أخفى الله تعالى أجل الإنسان كي لا ييأس من العمل... ولكن ماذا لو علم أحدنا أنَّ أجله قد دنا؟ لا شك أنه سيعزف عن الدنيا ويتوجه إلى عالم الآخرة... فلماذا لا نعمل كمن يعلم بدنو أجله؟!

* نقل عن الشيخ البهائي عليه السلام أنه كان قرب قبر «بابا ركن الدين» فالتفت إلى من حوله وقال: سمعتم ذلك الصوت؟ قالوا: لا، فصار يبكي ويتضرع وقال: إنِّي أُخبرت باستعداد الموت وبعد ستة أشهر تقريباً مات^(١).

* ينقل سماحة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس حوزة قم العلميّة: إنني حين كنت في كربلاء الحسين عليه السلام مشغلاً بدراسة العلوم الدينيّة وبعيداً عن الأهل والوطن، في ليلة من الليالي وحين كنت راقداً، كأنما سمعت في عالم الرؤيا هاتفاً يخاطبني: يا شيخ عبد الكريم انجز أعمالك ومشاريعك فإنك ستموت بعد ثلاثة أيّام، ولما استيقظت من نومي

(١) سفينة البحار: مادة «بهاء».

قُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّهَا رُؤْيَا وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ لَا يَكُونُ لَهَا تَعْبِيرٌ. فَلِذَلِكَ بَعْدَ مُضِيِّ يَوْمَيْنِ نَسِيتُ الْحَادِثَ بِكَامِلِهِ.

إِلَى أَنْ حَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ وَهُوَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَذَهَبْتُ مَعَ بَعْضِ أَصْدِقَائِي الطَّلَابِ إِلَى التَّنَزُّهِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ قَضَيْنَا نَهَارَنَا بِالتَّفَكُّهِ وَالْمُبَاحَثَةِ وَتَنَاوَلَ طَعَامَ الظُّهْرِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَمْتُ لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ.

مَا أَنْ اسْتَيْقَظْتُ حَتَّى أَحْسَسْتُ بِرَعِشَةٍ قَوِيَةٍ أَخَذَتْ تَهَزُّ جَمِيعَ جَوَانِبِي وَأَرْكَانِي. فَاضْطَرَّ الْأَصْدِقَاءُ عَلَيَّ أَثَرَهَا إِلَى تَدَثُّرِي وَإِلْقَاءِ الْغِطَاءِ عَلَيَّ. لَكِنَّهُمْ بَعْدَمَا يَثْوُوا مِنْ عَوْدِ صِحَّتِي وَشِفَائِي، طَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يَحْمِلُونِي إِلَى حَجْرَتِي الَّتِي أَسْكُنُ فِيهَا. وَهَنَّاكَ تَذَكَّرْتُ مَا كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي رُؤْيَايَ، فَتَيَقَّنْتُ مِنْ دُنُو أَجْلِي وَرَحِيلِي عَنِ الدُّنْيَا.

مَا هِيَ إِلَّا لِحِظَاتٍ، حَتَّى فَقدْتُ بَعْدَهَا وَعَيْيَ، فَلَمْ أَبْصِرْ شَيْءً وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتًا. ثُمَّ رَأَيْتُ شَخْصَيْنِ قَدِيمَا عَلَيَّ بِمَنْظَرِيهِمَا الْكَرِيهَيْنِ وَجَلَسَا مِنْ حَوْلِي، فَأَخَذَا يَتَصَفَّحَانِي بِنِظَرَاتِهِمَا السَّاخِطَةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: لَقَدْ حَانَ أَجْلُ هَذَا فَلِنَبَاشِرْ بِقَبْضِ رُوحِهِ.

حِينَذَاكَ تَوَجَّهْتُ بِقَلْبٍ مِنْكَسِرٍ خَاشِعٍ إِلَى إِمَامِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُلْتُ: يَا عَزِيزِي يَا حَسِينُ، بِمَا أَتُّنِي لَمْ أَكُنْ عَلَيَّ اسْتِعْدَادٌ لِسَفَرِ الْآخِرَةِ وَعُدَّتِي غَيْرَ مَعْدَّةٍ، فَاسْأَلْكَ بِحَقِّ أُمَّكَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةَ أَنْ تَشْفَعَ لِي عِنْدَ اللَّهِ بِتَأْخِيرِ أَجْلِي، كَيْ أُهَيِّئَ مَتَاعِي لِلرَّحِيلِ.

بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ جَاءَ شَخْصٌ ثَالِثٌ وَخَاطَبَ الْأَوَّلِينَ قَائِلًا: إِنَّ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ يَقُولُ، بِمَا أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْكَرِيمِ تَوَسَّلَ بِنَا وَنَحْنُ أَيْضًا طَلَبْنَا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُؤَخَّرَ أَجْلُهُ، فَلَا تَقْبِضَا رُوحَهُ الْآنَ لِقَبُولِ شِفَاعَتِنَا عِنْدَ

الله . فرأيتهما قد استجابا للنفر الثالث قائلين : سمعاً وطاعة، ثم قاموا جميعاً وذهبوا .

ما هي إلا لحظات حتى عادت علائم الصّحة عليّ، وفيها سمعت صوت بكاء الأحبة من حولي، يضجّون لفراقي ويتأوّهون . لذلك بفتح عينيّ وتحريك يديّ ورجليّ، أعلمتهم بتحسّن صحتي . ولما انقطعوا عن البكاء أشرتُ إلى قميّ، قاصداً طلب الماء منهم . حيث قمت بعدها من فراش الموت بفضل مواهب المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام (١) .

* يقول الحجّة آية الله الشيخ محمد تقي الجعفري قدّس سرّه عن أستاذه الشيخ مرتضى الطالقاني رحمته الله : في آخر يوم التقيت به وكان في أواخر شهر ذي الحجّة الحرام، حيث تبدأ بعدها العطلة الموسميّة المؤقتة لشهر محرّم، فحيّيته ثمّ جلست أمامه . فسألني : لم أتيت؟ أجبتة : أتيت حتىّ تباشر بالدرس .

قال : ارجع يا شيخ لقد انتهىّ الدرس . فتخيّلت أنّه يخبرني عن حلول عطلة محرّم الحرام .

قلت له : يا شيخني حتىّ حلول محرّم بقي يومان والدروس لم تنزل مستمرة .

أجابني : أنا أعلم بذلك أعلم، ولكنّي أقول لك قد انتهىّ الدرس . وسببه أنّ ما تراه أمامك هو الجسد، أمّا الروح فمغادر .

فازددت حيرةً وسائت صحتي حين فهمت منه أنّه ينعي نفسه،

فقلت له: إذن أوصني. تلا عليّ أولاً كلمة التهليل. لا إله إلا الله. ثم أخذ يترنّم بشعرٍ فارسي معناه: (كل ما تستطيع اعمل من أجل إصلاح نفسك. فإذا ما توقفت عن العمل فستضرب أسفاً على رأسك) ثم عاد ثانية وهللاً.

وهناك لم أتمالك نفسي فقفزت ومسكت يده وحاولت تقييلها لكنه منعي من ذلك. فقبلت جبهته ومحاسنه الشريفة، بحيث أحسست ببلل دموعه على وجهي، ثم ودّعته.

وفي ليلة رحيله أمر مجموعة من أصدقائه وطلاب المدرسة بالحضور في حجرته. حيث قضا أمسياتهم تلك بالتحدث والمباحثة العلمية وشيء من التفكّه والتبسم، وكلّ ما كانوا يحاولون التفرّق كان يمنعهم قائلاً: ما هي إلا هذه الليلة فلنغتنمها.

وبالفعل عند الصباح، أي في أوّل يوم من المحرم، حيث كان الطلاب في مدرستنا يقيمون مجلس العزاء الحسيني، ابتداء الخطيب حديثه بهذه الجملة: إنّ الله وإنّا إليه راجعون، إنّ الشيخ مرتضى الطالقاني ذهب إلى لقاء ربه، فاحضروا تشييع جثمانه.

فمع أنّ جميع الطلاب والعلماء كانوا يعرفونه ويشهدون بعدم إصابته بأيّ علّةٍ ومرض، لكنني حينذاك علمت معنى نعيه لنفسه قبيل رحيله. وما ذلك منه إلا لعرفانه الحقيقي للباري سبحانه وتعالى، والذي تجسّد في صفاء قلبه ونقاء روحه، بحيث صار يُخبر حتى عن الغيب^(١).

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ١١٨.

الكشف عن عذاب القبر

لم يكن اعتباراً من الشارع المقدّس حين حثّ على زيارة قبور المؤمنين. إذ أنّها مضافاً لصفاء القلب ونقاء الروح ولعلّ شفاء البدن من الأسقام واستجابة الدّعاء وغيرها التي ينالها المؤمن، فإنّه يتمكّن من التنبّه لبعض أسرار الغيب إذا شاء الله.

فطالما سمعنا عن أناسٍ مطهّرين تحدّثوا عن قضايا عجيبة لم تكن العيون الظاهرية تستبصرها. لكنّهم تفضّطوا لها ببصيرة القلب والضمير الناصع اللّذين نالوهما بصفاء قلوبهم ونقاء أرواحهم التفضّظن.

هذا علم الإسلام الثّقة المحدث الكبير الشيخ عباس القمّي قدّس سرّه لنسمع عنه وهو يحدّثنا عن نفسه وعن صفاء قلبه ونقاء روحه اللّذين نالهما عند زيارته لقبور المؤمنين.

فعندما كانت تضيق الدّنيا بمحنها عليه وتعضّر به النكبات بالأمها، لم يكُ يرى مفرّاً حينذاك للتخلّص من همومه هذه سوى الذهاب إلى مقبرة وادي النجف الكبيرة، كما أمر المعصومون عليهم السلام: «إِذَا ضَاقتْ بِكُمْ الصُّدُورُ فَعَلَيْكُمْ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ».

فينقل عنه قدّس سرّه: «إِنِّي ذات مرّة ولّمّا دخلت مقبرة النجف

عصراً وجلست جانباً لتلاوة القرآن وإهداء ثوابه إلى أرواح الموتى، سمعت صوت نسيج وصراخ عالٍ من الجانب الآخر من المقبرة، كان يشبه صوت الجمل حين يُدار على جلده الزيت المغلي لتضميد جراحه. فكأنّ الوادي وما فيه كان يرتجف ويأنّ لذلك الضجيج المفجع لذلك. ومن باب حب الاستطلاع أسرع نحو الصوت لأستخبر أمر هذا الجمل المسكين ومصيره.

لكنني وبكل غرابة لما وصلت شاهدت نعش ميّت ملقى على الأرض، ومن حوله أهله ومشيعوه يهيئون له قبره للدفن. ولذلك بهتُ حين علمت أنّ هذا الضجيج المؤلم هو للميّت لا للجمل.

لكن الذي زاد في استغرابي وتعجبي من أمر هذا الميّت المسكين، هو أنّني كنت أسمع صوته وضجيجه، وأدرك ما يُعاني من آلام ووحشة أصابته، إمّا بسبب فراقه عن الدنيا، أو كثرة تعلقه بها، أو لإسرافه باقتراف الذنوب والمعاصي عليها، لكنّ ذووه ومشيعوه لم ينتبهوا لواقع حال ميّتهم. إذ كان كلّ منهم مشغولاً بأمرٍ من أمور الميّت بكلّ هدوء وبرودة، دون أن ينتبهوا لصراخه الذي علا الكائنات.

ذلك والله العالم لكونهم لم تنكشف لهم الأسرار الغيبية، بسبب عدم صفاء قلوبهم ونقاء أرواحهم، كما هو حال ميّتهم المسكين^(١).

(١) خلق الأعلام: ج ٢، ص ١١٥.

القيام لله والتفكير بالموت

يقول السيد صادق الشيرازي حفظه الله في تفسير قوله تعالى:
 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْنِي وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا
 بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾
 [سَبَأ: ٤٦].

هذه الآية الكريمة من عجائب آيات الذكر الحكيم، فإن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ أن يقول لعبدة الأصنام والمشركين والنصارى واليهود وغيرهم: «إنما أعظكم بواحدة» أي لا أطلب منكم سوى الإصغاء إلى موعظة ونصيحة واحدة فقط.

لا شك أن مواعظ النبي ﷺ والقرآن كثيرة، بل إن القرآن معظمه مواعظ، كما لا شك أن كل ما أتى به الأنبياء عليهم السلام وما نزل عليهم يتلخص بالقرآن الكريم فهو عصارة الرسائل السماوية كلها، كما أن مواعظ النبي ﷺ تختزل مواعظ الأنبياء الذين سبقوه كافة، أي مواعظ مئة وثلاثة وعشرين ألفاً وتسعمائة وتسعين نبياً، ولكن الله سبحانه يطلب من نبيه أن يلخص المواعظ كلها بكلمة واحدة؛ يقول تعالى لنبيه الكريم: «قل إنما أعظكم بواحدة» و(إنما) - كما هو معلوم - تفيد الحصر، أي بموعظة واحدة وحسب.

فما هي الموعدة التي يأمر الله نبيه أن يقول لمخاطبيه إنه يعظهم بها وحسب؟ تقول الآية المباركة: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [سَبَأ: ٤٦] أي أن يكون مقامكم ونيتكم وتوجهكم وتفكيركم خالصاً لله، ولا يراد من القيام هنا القيام للصلاة أو أداء العبادات الأخرى، بل المقصود التفكير وإخلاص النية، وبتعبيرنا المعاصر نكران الذات والتجرد عنها وأن يكون الله تعالى هو الهدف والنية والوجهة، وليس الذات ومصالحها.

يقول الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفَرَادَىٰ﴾ [سَبَأ: ٤٦]. أي ليكن توجهكم إلى الله ونكرانكم للذات سواءً حال كون بعضكم مع بعض، أو بصورة انفرادية، كأن يجلس أحدكم وحده، في جوف الليل مثلاً، ويفكر ولولا قليلاً، ويتساءل مع نفسه: من أنا؟ أنا لا شيء وليس عندي شيء، وكل ما عندي فهو من الله، لم أكن أملكه يوماً وأم أكن أملك أي شيء، ثم ملكني الله كل ما أملك. وسأعود مع كل ما أملك إلى الله مرةً أخرى (إنَّا لله وإنا إليه راجعون).

لقد شهدت هذه القصة بنفسني وتركت أثرها فيّ حتى لكأنني أرى الحالة أمامي الآن!

كنا جالسين على مائدة للغداء أيام كنا في كربلاء، وكان يجلس شخص إلى يساري وآخر إلى يميني.

وضع الشخص الجالس عن يساري لقمة من الطعام في فمه - وكان خبزاً مع الكباب المشوي - وشرع يلوكها ويحضّر لقمته الثانية حيث لفّ مقداراً من الكباب في الخبز وهمّ برفعها إلى فمه عندها لاحظنا يده تسقط تلقائياً إلى الأرض ثم سقط هو أيضاً.

عندها هرع الجالسون ليعرفوا ما الذي حدث له، وأوه قد فارق الحياة أثر سكتة قلبية، وكانت اللقمة الأولى ما زال قسم منها في فمه، فأخرجها من بين أسنانه بعض الجالسين بصعوبة. وفارقنا الرجل وفارق الدنيا منذ ذلك اليوم وإلى يوم القيامة.

أنا لا أنسى هذا المشهد ما حييت، وكل من كان بمكاني قد لا ينساه أيضاً، ولكن عندما يأتي وقت المعصية ينسى الإنسان كل شيء!

الآية الكريمة تدعونا إلى التذكُّر والتفكير دائماً مثني أي مع بعض، وفرادى أي إذا خلونا بأنفسنا، خاصة إذا هدأت العيون. فليفكر كل منا مع نفسه ويقول: من أكون لكي أظلم أو أؤدي الناس أو أفعل المحرّمات؟ ثم إلى ماذا سيكون مصيري؟ وأين أبي وجدي وأقربائي وأصدقائي الذين عاشرتهم ثم مضوا؟ فهل سألقي أم سأرحل مثلما رحلوا؟ أكتب الموت والحساب لهم دوني أم كلنا ملاقي هذا المصير؟

هذا التفكير هو خلاصة مواعظ القرآن الكريم^(١).

* يقول الشيخ ملكي التبريزي: وقد رأيت بعض المستمعين حين مذاكرتي لأهوال الموت والموتى، اختلّ دماغه عن الفكر في أيّام قليلة، حتّى احتجت لعلاجه ممّا وقع به، فمنعته من حضور مجلس المذاكرة والفكر في الموت، وأمرته في الفكر في رحمة الله

(١) مواعظ إسلامية: ص ٤١.

وسعتها، وفي أخبار موت الصالحين ولذة ما يجد أولياء الله بالموت من الشوق إلى لقاء الله وكراماته حتى أفاق ممّا كان.

وبالجملّة لو تفكّر بهذا الترتيب في عواقب أحواله، وأفعاله فأقلّ ما يؤثر فيه إقلاعه عن الذنوب، وإنّما عدم التأثير في الأغلب من جهة أنّ الناس يتغافلون عن ذكر الموت والقبر والبلاء، وإنّ عرضهم عارض فذكّرتهم الموت يشتغلون عن ذكره فراراً من تنعّص العيش.

ولكنّ الأكابر كانوا يتعاهدون قبورهم وينامون فيها ويخاطبون أنفسهم بما يخاطب به الأشقياء، ليتأثروا بذلك تأثراً يمنعهم عن الوقوع فيه بغير عدّة، وكان دأب بعضهم أنّه أعدّ لنفسه قبراً يأتيه وينام فيه، ثمّ يقول: ﴿...رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا...﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] ثمّ يخاطب نفسه، ويقول: يا فلان قم أرجعك ربك، فاعمل صالحاً من قبل أن يأتيك يوم تؤمّل فيه الرجوع ولا تظفر به، ثمّ يبالح ويجهتد في العبادة، وبلغني أنّ العلامة «الأشرفي المازندراني»، كان يحرق ناراً كثيرة ويأمر من يشده بحبل ويجره إلى النار ويذيق نفسه بعض ألمها، وحكي عمّن رأى في البيت المقدّس من العباد أنّهم كانوا يمرّون بالسلاسل من أكتافهم ويخرجونها من ظهرهم ويشدونّها بإسطوانة البيت ويشغلون العبادة.

وبالجملّة، يلزم في تأثير الفكر المبالغة فيه، مثلاً يفرض في نفسه جميع سكرات الموت والقبر والبلاء، وينظر إلى طراوة صورته في حاله، ثمّ ينظر بعين الخيال في قبره كيف يوقعه القبر في قبح المنظر، يسيل أحداقه ويتخلخل لحمه وييلى شعره فإنّه يبصر من قبح

المنية منظرًا يرتاع المرء منه ويرتاع الناظر، ثم يتذكر مفاجآت الموت، وإن استقله بعد ذكر مفاجآت الأمراض وتعاقبه للموت، فكم من إنسان بات حياً صحيحاً وأصبح ميتاً، وكم من إنسان بات صحيحاً وأصبح بعد صحته مريضاً، وبعد سلامته نقيصاً، يعالج كرباً ويقاسي تعباً في حشجة السياق، وتتابع الفراق وتردد الأنين، والذهول عن البنات والبنين، والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل، وهول هائل قد اعتقل منه اللسان، وتردد منه البيان وذاق وضعاً مكروهاً وفارق الدنيا مسلوباً لا يملكون له نفعاً، ولا لما حلَّ به دفعاً، وليعلم الإنسان أنَّ النَّاسَ سَيَّارَةٌ قَدْ حَدَا بِهِمُ الْحَادِي، وَحَدَا بِخَرَابِ الدُّنْيَا حَادٌ، وَنَادَاهُمْ لِلْمَوْتِ مَنَادٌ^(١).

ويقول في موضع آخر: «أما الأول - أي الغفلة - فعلاجه الوعظ والتذكير، وتذكُّر أسباب الخوف من العذاب في الدنيا والآخرة، وينفع كثيراً قراءة آيات العذاب، وتكرارها والتفكير فيها، وتصويرها واقعة على النفس في كلِّ يوم وليلة مرَّتين أو مرَّات، ولكن يكثر تكرارها ساعة أو ساعتين لا محالة فيؤثر أثراً كاملاً، وفي ملازمة الخائفين، ومشاهدة حالاتهم أيضاً لفوز عظيم، وسماع أحوالهم أيضاً بدل منه»^(٢).

(١) أسرار الصلاة: ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٣٥.

الله أقرب إلينا من حبل الوريد

من أهم الأمور الشعور بحضور الله تعالى في كل شيء قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

* ينقل عن السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله أنه كان راقداً في فراشه في أواخر حياته فدخل عليه رجل وطلب منه وصية فقال: المراقبة المراقبة.

* كان أحد الكسبة القرويين في العراق قد بلغ درجة عظيمة من التقوى، ولما سُئل عن سرّ بلوغه هذه الدرجة أجاب: يعود الفضل في ذلك إلى عالم في قريتنا.

وتفصيل القصة كالتالي:

سأل الكاسب سؤالاً من العالم يكشف عن مستواه؛ سأله أين

الله؟ ولو سُئل أحدنا لقال في جوابه: إنَّه موجود في كل مكان ولا يخلو منه مكان، ولكن العالم الذي كان يعرف هداية الناس، سأله ما شغلك؟ قال: صفار.

كان الصَّفَّارون في تلك الأيام أكثر ما يستعملون المطرقة والمقص، فإذا ما ثقت الأوعية النحاسية أو انخرقت كالقدور والأواني جيء بها إلى الصَّفَّار، فيقص قطعة من الصفر بمقدار فتحة الثقب ثم يلحم طرفها، بمحيط الفتحة.

وكان يتفق أحياناً أنَّ الصَّفَّار عنده قطعة أصغر من الفتحة بقليل، فكان يستكثر أن يقص قطعة بحجم الفتحة بل يستعمل القطعة الصغيرة وإن كانت أقل من الفتحة ثم يسد الثقب المتبقي بالطرق على القطعة وأطرافها لكي تتمدد وتتصل بأطراف الفتحة، حتى إذا طلاها لا يكاد يبين الخلل وتبدو القطعة متصلة بالكامل. ولكن اللحام كان يفتح بسرعة مع تكرر تعرّضه لنار؛ بسبب رقة أطراف القطعة الملتحمة وكونها أصغر من المطلوب.

ولما قال الرجل إنَّه صفار، قال العالم في جواب سؤاله (أين الله؟): إذا وضعت قطعة أصغر من المطلوب لسد ثغرة في قدر وما أشبه، فستبقى فتحة صغيرة، أليس كذلك؟ قال: بلى. قال: رأيت تلك الفتحة الصغيرة في الوعاء، التي قد تفكر بتلاشيها عن طريق التمدد الحاصل من الطرق المتكرر والطلاء، فهناك يوجد الله وهو يراك ويراقب عملك.

وهكذا أصبحت هذه المسألة سبباً لمحاسبة الرجل نفسه يومياً،

وربّما أكثر من مرّة في اليوم الواحد، لأنّه كان يرى الله مشرفاً عليه في عمله دوماً وبتلك المراقبة الدقيقة^(١).

(١) مواعظ إسلامية: ص ١٤.

الخوف من الله تعالى

المؤمن هو الذي يخاف من عذاب الله تعالى.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «صلى أمير المؤمنين بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم، فبكى وأبكاهم من خوف الله ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله، وأنهم ليصبحون ويمسون شعثاً، غبراً خمصاً، بين أعينهم كركب البعير، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ويرأون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون.

وفي بعض الروايات: كأن زفير النار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم، مادوا كما تميد الشجرة كأنما القوم باتوا غافلين.

(١) أسرار الصلاة: ص ٢١٣.

قال: فما رئي بعد ذلك ضاحكاً، حتى قبض ﷺ (١).

* روي أنه بينما رسول الله ﷺ مستظلّ بظل شجرة في يوم شديد الحرّ، إذ جاء رجل فترع ثيابه، ثمّ جعل يتمرّغ في الرمضاء، يكوي ظهره مرّة وبطنه مرّة، وجبهته مرّة، ويقول: يا نفس ذوقني، فما أعظم عند الله ممّا صنعت بك، ورسول الله ينظر إليه ما يصنع، ثمّ إنّ الرجل لبس ثيابه، ثمّ أقبل فأوماً إليه النبي ﷺ بيده، ودعاه فقال له: يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه، فما حملك على ما صنعت، فقال الرجل: حملني على ذلك مخافة الله، فقلت لنفسي يا نفس ذوقني فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك، فقال النبي ﷺ: لقد خفت ربك حقّ مخافته، وإنّ ربك ليباهي بك أهل السّماء، ثمّ قال لأصحابه: يا معشر من حضر، ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم، فدنوا منه فدعا لهم وقال لهم: اللّهم اجعل أمرنا على الهدى، واجعل التقوى زادنا، والجنّة مآبنا (٢).

* يقول الشيخ التبريزي: «قد ورد في الأخبار: «إنّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله» فليخلط الوعّاظ في وعظهم من ذكر أسباب كليهما.

ولكن من جهة أنّ الغالب من العامّة الأمن من مكر الله وسخطه، فليكثر من أسباب الخوف، ولا يلتفت لشكوى المستمعين

(١) المصدر السابق: ص ٢١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٦.

من كثرة التخويف، وليلاحظ هو بنفسه أحوالهم، لا يدرون ما الخوف والقنوط والرجاء والأمن، وشكواهم إنما هو ممّا يجدونه من ألم أول درجة الخوف، فيحسبونه قنوطاً، وإلاً فكيف لا يرى فيهم أثر الخوف، وكيف تجاوزوا الخوف، وبلغوا القنوط ولم يباشروا به، أو جاز لهم الطفرة.

فإنّ من لم يخف قط خوفاً يمنعه من المعصية، كيف يدّعي شدة الخوف، وتجاوزته عن حد الاعتدال إلى القنوط، بل ليس قنوطهم ومنهم إلاّ من جهة انتفاء الموضوع في قلوبهم، فإنّ القنوط تجاوز الخوف عن حدّ الاعتدال، وهو يستدعي أن يعتقد مخوفاً، ويتذكّر شدته وبأسه، ثمّ يغلب ألم احتراقه في القلب، بحيث ييأس من النجاة منه.

وأين لأهل الدنيا والمشغوفين بحبّها، والمنهمكين في شهواتها، والمشغولين على الطلب بحطامها من اعتقاد صادق؟ وإن وُجد فأين هم من ذكر الآخرة وشدة عذابها، فضلاً عن غيبة ألم الخوف بحيث يتجاوز إلى حدّ القنوط.

بل إن وجد فيهم يأس من رحمة الله، فهو من جهة عدم صدق اعتقادهم بالله، وشدة سخطه، كما أنّ الأمن عبارة عن تجاوز الرجاء عن حدّ الاعتدال، وهو يستدعي أن يعتقد في الله تعالى عناية ورحمة واسعة، ويغلب رجاءه بحيث ينسب احتمال التخلّف عنه، فينقلب الرجاء إلى الأمن.

وأين لعشاق الدنيا هذا الاعتقاد الصادق، ثمّ أين في قلوبهم محلّ لذكر الله ورحمته، فضلاً عن غيبة ذلك حتّى ينسى جانب

الخلاف، فينقلب إلى الأمن، بل أمنهم أيضاً مثل بأسهم منشأة عدم صدق عقائدهم بالله، ورحمته، وفضله وهيبته، فالسبب في شكواهم ليس إلا من جهة أن مذاكرة أسباب الخوف تؤلم القلب، ولو في الجملة، والألم مكروه بالذات، والإنسان مجبول بالفرار منه، والنفس والشيطان يريدان دفع ألم الخوف، لكيلا ينغص عليه عيشه وشغله بالدنيا، فيدلسان عليه الأمر، فيرى أن خوفه تجاوز عن الحد.

ونعم ما كان يقول في جواب هذه الشكوى أحد المعاصرين (ره) كان يقول: لا تخف فإنك لا تخاف قطعاً^(١).

(١) المصدر السابق: ص ٢٦٤.

قصة السيد هاشم الحطاب وحقوق الناس

قيل: إنَّ حاجاً إيرانياً كان ذاهباً للحج، ومرَّ بالنجف الأشرف، لأنَّ طريق الحاج كان ولم يزل يمرُّ عليها، فسأل عن أوثق النَّاس، فأرشدوه إلى رجل يعتمد عليه الثقات الأبرار والعلماء الأخيار، فأودعه (صفتاً) كان قد جمع به مجوهرات نفيسة، ثمَّ جعل يكرر الذهاب إليه منذ أودعه إيَّاه، ويسأله عنه حتَّى يوم خروجه من النجف، وكان الودعي قد ملَّه.

فلما ذهبت القافلة، قال: والله لأفتحن الصفت، وأنظر ما فيه، ففعل، فوجده مملوءاً بالمجوهرات الثمينة، فغلبته شهوة حب المال، واستكثره على هذا الإنسان فعزم أن لا يرده إليه.

ولما رجع الحاج طلبه منه، فأنكره الودعي إنكاراً شديداً، فذهب إلى الحرم الشريف، وتعلَّق بالضريح المقدَّس، واستغاث بالله تعالى، وتوسَّل بأمر المؤمنين عليه السلام، فرأى الأمير عليه السلام في الطيف بعدما أغضى، فذكر قصته فقال: اذهب إلى ولدي السيّد «هاشم الحطاب» وكان السيّد المذكور من العلماء الأبرار الوعاظ، فسأل الحاج عن السيّد فقيل: هو غائب في الحطب، فانتظره في باب النجف، وكانت مسورة يومئذٍ، فلما جاء أرشدوه إليه، فاستحقَّره لرداءة بزته وضعة

هيئته، ولم يتكلم معه بشيء ثم رجع إلى حرم الأمير عليه السلام وجعل يدعو الله سبحانه ويستغيث به، فرأى في الليلة الثانية نفس الرؤيا وفي اليوم الثاني جرى له ما جرى في اليوم الأول، ثم عاد للدعاء والابتهاال إلى الله تعالى فرأى نفس الرؤيا فلما جاء السيد قام إليه وقال: أمانتي، فبدره السيد قائلاً: أنت الحاج فلان؟ فأجابه: نعم. قال: فقال السيد: أنا من أول أمس أنتظرِكَ، لأنَّ جدِّي أمرني بذلك، فقال التاجر: وأنا كان من أمري كذا وكذا.

فذهب السيد إلى الصحن الشريف عصرًا، وصعد المنبر على عادته، ثمَّ قال: لا أعظ هذا النَّهار، ولكنني سأقصَّ عليكم قصة كتمتها منذ ثلاثين سنة، ولولا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أمرني بإظهارها لما أظهرتها، ثمَّ حدَّث: أنَّه عندما كان يذهب إلى الحطب، كان يمر ببقال في باب النجف، وهو فلان، وجملة من الحاضرين يعرفون أنَّه توفي منذ ثلاثين سنة، وأنني قد أخذت منه يوماً تمرًا، فبقي له عندي ما يساوي أقل أجزاء العملة في ذلك الوقت وكان يُسمَّى «فولاً» فجثته في اليوم الثاني فسألت عنه، فقبل لي: مات. فذهلت عن طلبه، ومضت أيام، فرأيت فيما يرى النَّائم أنَّ القيامة قد قامت، والصراط قد نُصب، فاجتزت عليه، فسُئلت أولاً عن الولاية ثمَّ عن الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، وغيرها وكنت كلِّما اجتزت مرحلة يُؤمر بي بالوقوف في غيرها، واسئل عن أمر من هذه الأمور. إلى أن انتهيت إلى موضع العرض على الجليل جلَّ وعلا، وهو الموضع الأخير، الذي يُسئل فيه العبد عن حقوق الآدميين فأمر بي فوقفت وأنا في أعظم دهشة وأضيق حال، وجعلت أستغيث بأني لست مطلوباً لأحد، لأنَّ السؤال هناك عن حقوق

العباد، وإذ بصاحبي البقال أقبل، وهو قطعة من النار، تسوقه الجلاوزة، وهو يناديني: أد إليّ حقي، قلت: وما حقك؟ قال: (الفول) قلت: وعدتني الإبراء. قال: نعم، ولم أفعل، فتحيرت، ثم لشدة ضيقي، قلت له: خذ قطعة من لحمي بدلاً منه، ودعني أجوز على الصراط، فقال: لا، ولكن دعني أبرّد أصبعي بمسها في فخذك، فاستسهلت الأمر، وقدمت إليه فخذتي، فوضع إصبعه عليه، فأحسست أنني التهبت بأجمعي، وقد انتبهت من رقدتي، ورأيت الأثر في فخذتي، وما زلت أداويه منذ ذلك التاريخ وهذه آثاره، ثم كشف عن فخذه، ثم قال: فليتق الله صاحب الصفت، وليؤد الأمانة إلى صاحبها، وإلاً فضحته، فقام الودعي من ساعته ودفع الصفت لصاحبه^(١).

(١) حجر وطنين: ج ٢، ص ١٨٨.

حقوق الناس ومنع الزواج

قيل: ممّا وقع في عهد السيّد «مهدي بحر العلوم»: أنّ جماعة من أهل إيران جاءوا إلى النجف الأشرف قبل سفرهم إلى الحجّ وأمّنوا عند سماحة السيّد مبلغاً، فأبى السيّد أن يستلمه وقال: إنّ الأمين الذي جعلته لاستلام الحقوق والأمانات هو سماحة العلامة السيّد حسين فسلموا إليه وبعد رجوعكم من الحجّ يسلمه إليكم.

فجاءوا إلى السيّد حسين وقالوا: سيّدنا هذا مبلغ زائد من مؤونتنا جعلناها لزيارة العتبات بعد رجوعنا من الحجّ ولشرائنا الهدايا، إلى السيّد بحر العلوم فأمرنا أن نسلمه إليك، وكانت المبالغ صرراً فيها من الذهب، فاستلمه السيّد حسين بأمر السيّد بحر العلوم وذهب الزوّار إلى حجّهم.

فلمّا رجعوا من أداء فريضة الحجّ إلى النجف الأشرف وراجعوا آية الله بحر العلوم ليقبضوا الأمانات قال لهم بحر العلوم:

إنّ السيّد حسين رحمه الله توفي ولم يقل لنا أين وضع أمانتكم.

فقال الزوّار للسيّد: فما ترى من أمرنا وحلّ مشكلتنا؟.

قال العلامة بحر العلوم: نذهب إلى بيته ونسأل أخته أين وضعه. فذهبوا إلى بيت السيد حسين، وسأل السيد أخته المخدرة: أين وضع السيد أمانات الحجّاج؟.

فقلت: لا أعلم وأرجو من الله أن ينتقم من السيد حسين.

فقال بحر العلوم لها: لِمَ هذا الكلام أيتها المخدرة؟.

قالت مثل الكلام الأوّل وزادت. فقال آية الله بحر العلوم لها: ولأبي سبب أيتها العلوية فإنّ السيد حسين كان أميناً وتقيّاً، عالماً متقيّاً فقلت: يا مولاي إنّ كلّ هذا صحيح ولكنّ الذي يدعوني إلى هذا الكلام أنّه ظلمني.

قال لها بحر العلوم: بأيّ شيء هذا الظلم؟ قالت: إنّ السيد حسين أذهب شبابي، كلّما جاءوا لخطبتي كان السيد حسين يمتنع من تزويجي وكان يريدني في البيت تحت يده، ولخدمته حتّى مضى شبابي، والآن أصبحت بهذا العمر ما يقرب خمسين سنة وأنا بنت ولم أر من الحياة شيئاً، فأرجو أن ينتقم الله منه.

فتأثر السيد من قولها أيضاً وقال لها: الآن تقبلين بالزواج إذا جاء كفؤ كريم لخدمتك؟ قالت: كلاً بعد مضى شبابي وأنا في هذا العمر خمسون سنة من يأتي.

فقال السيد: بعهدتي أنا أزوّجك. فقلت: كلاً لا يوجد لي كفؤ.

فقال السيد: بضمانتي أزوّجك حتّى ترضي عن أخيك السيد حسين، لأنّه كان معاصرنا وأميننا.

فقال العلوية: إذا أردت رضائي عن السيد حسين فعليك أن تزوجني أنت السيد مهدي بحر العلوم فقط، وغيرك فلا.

فقال لها السيد: أنا في هذا العمر مشرف على السبعين لا يليق بي الزواج.

فقال العلوية: وأنا لا أرضى عن أخي السيد حسين.

فأخيراً قال السيد: لا بأس أتزوجك سرّاً. فقالت العلوية: لا أريد زواجاً مخفياً بل أريد إعلام الناس، فقال: إني السيد مهدي بحر العلوم أريد الزواج من العلوية أخت المرحوم السيد حسين أميننا وتلميذنا.

فقال: وتدعو جميع الناس إلى الوليمة وأكل الطعام ثلاثة أيام حتى يعرفوا بأن بقائي إلى هذا اليوم حتى أتزوج ببحر العلوم لا عبثاً، هذا هو كفو كريم.

فقبل السيد كل الشروط من العلوية وأعلن في الناس، وصار كما أرادت.

ثم إن السيد رأى في المنام السيد حسين في حالة جميلة وحسنة والبشاشة واضحة على وجهه وهو يقول له: شكر الله مساعيك يا مولاي بخلاصي من هذه العلوية، فإني كنت إلى الآن تحت السؤال لعدم تزويجها، وتوقيفها في البيت، فالحمد لله على هذه النعمة، والله الشكر على هذه النسبة معكم.

فقال له السيد بحر العلوم: يا سيد أين أمانات الحجّاج؟.

فقال السيّد حسين: مولاي في الدرّج الثّاني من البيت اقلع الحجر تراه مدفوناً، فجاء السيّد وقال للعلويّة: اقلعي حجر الدرّج الثّاني، وأخرجني أمانات الزوّار.

يقول الحكيمي: فهذه نعمة الموعظة بمن له كريمة أو أخت في البيت يوقفها عن الزّواج^(١).

(١) أدكياء العلماء: ص ٤٥٠.

موعظة السيد اليزدي في حساب يوم القيامة

يقول الشيخ الحكيمي: وممّا حدّثنا بعض مشايخ أهل النجف وأخبارهم ومتدّينهم، أنّ ممّا صادف في عصر السيّد «محمد كاظم الطباطبائي» بعدما أتمّ له المرجعيّة العامّة وزعامة المسلمين الدينية، فأخذت تترى عليه الوجوه الشرعيّة من كلّ شرقٍ وغربٍ من بلاد المسلمين، حتّى في ذلك الزّمان سُميت إحدى السنين بالسنة الذهبية لأنّ نقودهم كانت ذهباً، فكان السيّد يصرفه على كلّ من الفقراء والمساكين ومستحقّينهم، ولقد دخل في بعض الطلبة شيءٌ من حبّ الدُّنيا وزينتها وأرادوا أكثر من حقّهم من سماحة السيّد، وكان السيّد يقسم عليهم بالعدالة، ولكن أولئك كأنّهم لم يرضوا، فعلمهم السيّد من ذكائه الخارق درساً عملياً وذكّرهم بهذه العمليّة الآخرة وحسابها وذلك بهذه الكيفيّة:

قال لهم: أنتم المخاطبين إنّ عددكم ستة أشخاص فأحبّ أن نكون في هذا الأسبوع كلّ يوم في ضيافة واحدٍ منكم، مثلاً يوم الأوّل السبت نحن جميعاً في ضيافة الشيخ محمد، يوم الأحد في ضيافة الشيخ علي ويوم الاثنين في ضيافة الشيخ حسن، ويوم الثلاثاء في ضيافة الشيخ حسين، ويوم الأربعاء في ضيافة الشيخ محسن، وفي يوم الخميس في ضيافة الشيخ أحمد خادم المدرسة، ويوم

الجمعة كلّمكم في ضيافتي في الحَمّام قبل الظّهر بغسل الجمعة،
فقبلوا جميعاً لأنّه أمر أستاذهم.

فاليوم الأوّل صنع الشيخ محمّد ما هو مقسوم من الطعام ظهراً
ودعا إليه أستاذه والجماعة معاً، وكان الطعام أنواعاً لشرف السيّد،
كلّ من الرّز وإدام ولبن وتمر وخضرة وخبز وملح ولوازمه.

وفي اليوم الثاني على هذا العنوان وأكثر دعاهم الشيخ عليّ
وزاد من الرز نوعين والإدام أربعة ولوازمه شرفاً لأستاذه السيّد
الطباطبائي، وكذلك في اليوم الثالث ضيّفهم الشيخ حسن على هذا
العنوان وأكثر وزاد فيه الدّجاج.

وفي اليوم الرابع ضيّفهم أيضاً الشيخ حسين وزاد أيضاً السمك
ولوازمه، وفي اليوم الخامس ضيّفهم الشيخ محسن على نفس العنوان
وزاد على أولئك شيئاً وذلك لاحترام سيّدهم وأستاذهم الطباطبائي،
حتّى اليوم السادس ضيّفهم وأكرمهم خادم المدرسة وهو الشيخ أحمد
ولكن كلّ من ضيّف السيّد كان بما تيسّر له وأكثر ولا يعلم السّر في
ذلك وكان يزيد في أنواع الأطعمة والأشربة من اللّبن والشربة
والشّاي والقهوة، ولكن الشيخ أحمد خادم المدرسة ضيّفهم في
المدرسة على ما قيل في غرفته المحقّرة ولم يتيسّر له أن يهييء لهم
إلاّ أكله اليوميّ العادي وهو عبارة عن شيء من اللّبن الحامض مع
خبز يابس أو ملح وخبز يابس في قصعة كبيرة وقليل من الثّمر
الزّهدي وهو أرخص تمر في ذلك اليوم، فجاؤوا جميعاً وأكلوا
وتهنّوا وتعجبوا من هذا الزّهد إلاّ سماحة السيّد الطباطبائي أستاذهم.
فصار يوم الجمعة وكلّهم ذهبوا إلى الحَمّام لأداء غسل الجمعة،

فقال السيّد لصاحب الحمّام: دع الحمّام لنا هذا اليوم خاصّة واحم الماء أكثر من باقي الأيام بقليل، فصنع ذلك صاحب الحمّام ولا يعلم ما هو الخبر والسّر في ذلك، فلما همّوا بالنزول إلى الخزينة شرط عليهم السيّد أنّ كل واحد يعد ما نصب من الضيافة من يوم السبت إلى يوم الخميس فنزلوا وأخذوا بالتعداد، فقال السيّد للشيخ محمّد: الآن عد لما صنعت لنا في يوم السبت في ضيافتك وأنت في الماء واحداً ثم أخرج من الماء، فأخذ يعدّ الشيخ محمّد بأنّي صنعتُ يوم السبت لكم من الرّز، والإدام واللّبن، والتّم، والملح، ولوازمه ولكن أخذ يتنّفّس ويحمرّ وجهه مرّة وتحترق رجله أخرى، فلم يتمكّن سوى تعداد أربعة وخمسة والسادسة وهو يتأوّه من حرارة الماء وأشرف على التعب وخرج.

فقال السيّد الطباطبائي للثاني: اذكر أنت لنا ماذا صنعت في يوم الأحد من الأكل؟ فأخذ يعدّ ممّا صنع لهم من الطعام حتّى وصل إلى الخامسة والسادسة فخرج وهو يتأوّه من حرارة الماء وينزجر كالسابق.

وكذلك الشخص الثالث وهو الشيخ حسن على هذا المنوال لم يتمكّن على أكثر من السّادس والسابع، وهكذا الشيخ حسين لم يقاوم أكثر من جماعته والشيخ محسن كذلك مثلهم، فخرجوا جميعاً وهم يتأوّهون من شدّة حرارة الماء. ووصلت النّوبة للشيخ أحمد، فعندما دخل الماء وسأله سماحة السيّد أن يعدّ ما صنع لهم؟ فقال بثلاث كلمات وخرج ولم ينزجر ولم يصبه الحرّ، قال: ضيّفتكم يوم الخميس على لبنٍ حامضٍ وخبزٍ وتمرٍ زهدي وخرج سالماً وغانماً.

فالتفت إليهم السيد وكان على شرف الخزينة واقفاً قال: الآن علمتم من الذي نجا من حرارة هذا الماء الحار ولم يصبه شدة الحر ولم يتأوه؟ قالوا: بلى قد نجا منا الشيخ أحمد الذي لم يملك شيئاً حتى يكثر إعداده ولم يصبه الحر كما أصابنا وخرج متوتساً مُبتهجاً.

فأعاد عليهم السيد قال: هذا مثلكم يوم القيامة، وكل من كان ماله وصرفه أكثر فحسابه أكثر وموقفه أطول، فلا تغرّنكم الدنيا ولا مالها ولا زينتها ولا عنوانها ولا رجالها. إنّما قال أمير المؤمنين عليه السلام مولى الزهاد والمتقين: «إنّما الدنيا تغرّ وتضرّ وتفرّ» فجميعهم أخذوا هذه الموعظة من سماحة أستاذهم الطباطبائي اليزدي رضوان الله عليه وعلموا ذكاه وفظانته.

فلا عجب ولا غرو على مثل هذا السيد والسند الخبير المعتمد آية الله العظمى الذي هو من تلامذة أهل البيت المعصومين عليهم السلام أن يجري هذه العملية على يده لأنّي الحكيمي سمعت أستاذي آية الله الشيخ محمد جواد آل مظفر الذي كنت أدرس عنده في كربلاء المقدّسة في مدرسة البقعة قال لي يوماً في ترك الدنيا ودمها: نقل لي هذا الحديث الشريف أنّ علياً عليه السلام وسلمان وأبا ذر ومقداداً وعماراً سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، وقالوا: يا رسول الله كثيراً ما تُحدّثنا عن الآخرة وحرارتها وموقفنا بين يدي الله فلو علمتنا كيف هو وشدتها؟ فقال له صلى الله عليه وآله: يا علي خذ هذا الحجر وضعه في الشمس ثم أعطاهم أربعة دنانير كل واحد دينار فلما صار الغد جاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله: فقال صلى الله عليه وآله: يا علي اقلع حذاءك وارق الحجر فسأله الرسول: يا علي أين دينار أمس، قال علي عليه السلام:

أنفقت لوجه الله يا رسول الله، ثم قال ﷺ: يا سلمان اقلع حذاءك وارق الحجر فسأله ﷺ: يا سلمان أين دينار الأمس، أجاب أنفقت نصفه، وأديت بنصفه الآخر ديني ولكن رفع رجله مرة ووضعها مرة.

فسأل الرسول ﷺ أبا ذر قال له: يا أبا ذر اترك حذاءك وارق الحجر فسأله أين دينار الأمس؟ أجاب بأبي أنت وأمي جعلته أثلاثاً: ثلثاً لي وثلثاً لعيالي وثلثاً لأغنامي، ولكن رفع رجله عن الحجر ثلاث مرّات ووضعها.

فسأل ﷺ مقداداً أو عماراً أن يقلع حذاءه ويرى الحجر، فقال له: يا مقداد أين الدينار الذي أعطيتك الأمس؟ فأجاب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله يا رسول الله جعلته أربعاً: ربعاً لي، وربعاً لديني أديته، وربعاً لعيالي عندي، ولكن رفع رجله عن الحجر أربع مرّات ووضعها من شدة حرارة الحجر المصهر عليه الشمس.

فعند ذلك قال لهم ﷺ: هذا هو مثالكم وكل واحد يوم القيامة أمام محكمة الله، فمن كان هناك نعمة وصرفها أكثر كان هناك جوابه أكثر وموقفه أطول، فالذي نجا فيكم علي ﷺ، فقط كلمة واحدة قال: أنفقت لوجه الله، لهذا فليعمل العاملون ويقتدي بالأئمة المقتدون^(١).

(١) أذكيا العلماء: ص ٣٩٦.

الظاهر والباطن

عن الشيخ الفقيه عن الشيخ أحمد قال: في عصر ناصر الدين شاه، كان سيّافه فلان، وكان العادة أنهم إذا حكموا على شخص بالقتل، يسقون السيّاف خمرأ، ثم يُقدّمون له المجرم، فيضرب عنقه، فإذا فعل ذلك، حمل الرأس بيده، وحمل شخص آخر طبقاً، واجتاز في الأسواق على التجار يطلب منهم جائزة على عمله، ويسير خلفه موكب عظيم من الأطفال والجهال والسفهاء، وكان إذا التقى بشخص مجتاز بالسوق يضع الرأس بين يديه ويطلب الجائزة، وبالطبع أنه لا يستطيع أحد رده، فبينما هو يعمل عمله هذا التقى برجل من رجال الدين، وعليه عمّة ضخمة، وعباءة فضفاضة، وكامل البزة التي يرتديها رجال الدين، فوقف أمامه، ووضع رأس القتيل بين يديه، وقال له بلغته الفارسية باحترام: شيخنا، أنا ظاهري وباطني سواء، هذا عملي وباطني مثله، فهل أنت باطنك مثل ظاهرك أو لا؟ ثم مضى عنه، ولم يطلب جائزة منه.

ذكر الشيخ أحمد هذه القصة ونهض ومشى^(١).

(١) حجر وطنين: ج ٢، ص ١٨٤.

ميت يعود إلى الحياة

عن الشيخ الفقيه رحمه الله قال: «في سنة ١٣٦٤هـ - مرض «جبر عبيد» مرضاً شديداً حتى يأس منه أهله وذووه، ثم انقطع عن الأكل نحواً من سبعة عشر يوماً، وبعدها ظهر لأهله أنه مات، فاشتروا الكفن ونقلوه إلى المغتسل وشرعوا في تغسيله، وهياؤوا أمر نقله للنجف تحت رعاية شيخ العشيرة، وبينما كان شيخ العشيرة ومن يحيط به في المضيف، والمضيف بعيد عن المحل الذي يُغسَل فيه الموتى، سمعوا صيحة عظيمة، فأرسلوا شخصاً يكتشف الخبر فعاد وأخبرهم بحياة جبر.

يقول جبر: شعرت بأنَّ جسمي محمول، وبأنني أسير خلف هذا الجسم، كان يحملني اثنان أو جماعة - والترديد مني - فاعترضهم جماعة هناك، فقالوا: ما أمرناكم أن تأتونا بجبر عبيد، وإنَّما أمرناكم أن تأتوننا بامرأة جبر - وهو شخص آخر مجاور له - وكانت زوجته هذه بكامل الصحة تعمل في نقل كراديس الحصاد، فأجابهم حاملو جبر عبيد: إنَّنا جئنا به، وبعد يومين أو ثلاثة - الترديد مني - نجيتكم بزوجة جبر.

قال جبر: عندما جيء بي أجلست جاثياً على ركبتني على نحو

لا أستطيع حراكاً، فكأنني وتد في الأرض، ولا يتحرك مني إلا رأسي فإنه يمكنني تحريكه حركة يسيرة جداً، ورأيت النار محيطة بي من جميع الجهات، ورأيت الأمام علي بن أبي طالب حاضراً، فجعلت استغيث به، فقال: يا بني... نحن نشفع في غير حقوق الآدميين. يقول السيد جبر: فجعل الأشخاص الذين ماتوا ولهم على جبر حقوق يحضرون ويطالبون بحقوقهم، وجعل علي عليه السلام يبذل لهم يسترضيهم، فيسمحون له، وكان ثمة امرأة واحدة لم تنزل في دار الحياة كان قد سرق من أسلافها، الذين انحصر إرثهم بها وتدا من حديد (سكة)، فجيء بالسكة وهي محماة بالنار، فاستغاث بأمر المؤمنين عليهم السلام، فقال: صاحبة السكة غير حاضرة وليس لنا طريق للتخلص، وأخيراً وضعت السكة على فخذه، فصاح تلك الصيحة العظيمة، التي سمعت من مكان بعيد، فجاء الناس يهرعون، فوجدوه يقدر على رفع رأسه دون سائر بدنه، فحمل إلى منزله وأعطى ما يناسب من الغذاء، وبعدها أصبح يتكلم. وصار يشرح مشاهداته للناس.

وأما زوجة جبر الثاني فإنها في اليوم الثالث وجدت ميتة على فراشها.

ثم أنه كشف عن فخذه، وأراهم موضع الكي، وقال: إنه إذا أصاب الماء هذا الموضع، فكأنما يشوي بأعظم النيران، وإذا وضعت عليه النار لا يتأثر، وسألت الحاج جعفر فقال: صحيح، ولكنني ضعيف الاعتقاد بأهل البادية، وكنت عازماً على الاجتماع بجبر عبید لاستقي الحقيقة منه، ولم يتيسر لي ذلك.

وحدثني بأمره أيضاً السادة: خدام أبي الرايات، ومنهم السيد كاظم وولده، وهو صديق الحاج عزيز العجل والسيد محسن ابن السيد حسن آل السيد طاهر.

وهذه القصص، وأشباهها، وإن كانت تطمع السذج بالشفاعة، ولكنها تبعث الرعب في قلوبهم وقلوب غيرهم، ويدلك على ذلك أن الأهوال التي رآها جبر نفسه جعلته بعد ذلك يعتزل أهله وشعيرته، ويعيش في مقام أبي الرايات ويترك الدنيا ويشغل بالعبادة، ولم يركن للشفاعة^(١).

(١) حبر وطين: ج ٢، ص ١٨٦.

موعظة لهارون الرشيد

روى أنّ بعض الوعّاظ دخل يوماً على هارون الرشيد فقال له هارون: عطني.

فقال له: يا أمير المؤمنين أترك لو منعت شربة من ماء عند عطشك، بم كنت تشربها؟
قال: بنصف ملكي.

قال: يا أمير المؤمنين أراها لو حُبست عنك عند خروجها بم كنت تشربها؟ قال: بالنصف الباقي.
قال: فلا يغرّنك ملك قيمته شربة ماء.

كل القصور هي خانات

كان إبراهيم بن أدهم ملكاً، وكان ذات يوم جالساً مع وزرائه في قصره الملكي الضخم، فسمع ضوضاء، على باب القصر، ورأى أن فقيراً يريد الدخول لقضاء حاجته والحرس يمنعونه.

وقال الفقير: أليس هذا: «خانا» (وهو المكان المشاع الذي ينزل فيه المسافرون لقضاء حوائجهم فيه لفترة قصيرة) فلما سمع الملك كلام الفقير احتاج غضباً لتناول الفقير عليه وعلى قصره، فأمر بإحضاره، ولما أحضر بين يدي الملك قال: لماذا كنت تريد الدخول؟

قال: حتى أقضي حاجتي فيه وأستريح ساعة.

فقال: فلماذا سميت القصر: «خانا»؟

فقال: أيها الملك هل أنت حصلت على القصر بنفسك أم كان قبلك لغيرك؟

قال إبراهيم: بل كان لجدي، ثم لأبي، ثم الآن لي.

فقال الفقير: وبعدهك لمن يكون؟

قال: لولدي.

قال الفقير: وهل «الخان» غير هذا؟ أليس «الخان» هو البيت الذي ينزل فيه إنسان ثم يرحل ثم ينزل فيه آخر ويرحل. نزلنا ههنا ثم ارتحلنا
كذا الدنيا نزولاً وارتحالاً
فتنبه إبراهيم، وعزم على ترك الملك ثم تسلل ليلاً من القصر، ولبس المسوح وذهب إلى البرية وصار من الزهاد المعروفين^(١).

(١) طرائف الحكم: ص ١٠٥.

ماذا ينتفع الفقراء من قصور الملوك؟

أشرف المأمون يوماً على قصره، فرأى رجلاً يكتب بفحمة، على حائط قصره، فقال المأمون لبعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل، فانظر ما كتب واثني به.

فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً، وقبض عليه، وقال: ما كتبت؟

فإذا هو قد كتب هذا البيت:

يا قصر جُمع فيك الشؤم واللوم
متى يعشش في أركانك البوم؟

فقال له الخادم: أجب أمير المؤمنين.

فقال الرجل: سألتك بالله لا تذهب بي إليه.

فقال الخادم: لا بدّ من ذلك، ثم ذهب به.

فلما مثل بين يدي المأمون، وعلم بما كتب، قال له المأمون:
ويلك! ما حملك على هذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّه لا يخفى عليك ما حوى قصرك هذا، من خزائن الأموال، والحليّ والحُلل، والطعام والشراب،

والفرش والأواني، والأمتعة والجواري، والخدم وغير ذلك، ممّا يقصر عنه وصفي، ويعجز عنه فهمي. وإنّي قد مررت عليه الآن، وأنا في غاية من الجوع والفاقة، فوقفت مفكراً في أمري، وقلت في نفسي: هذا القصر عامر عالٍ، وأنا جائع، ولا فائدة لي فيه، فلو كان خراباً ومررت به، لم أعدم رخامة، أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمانه، أو ما علم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ

نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غير أنه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها
فقال المأمون: يا غلام، أعطه ألف درهم. ثم قال: هي لك في كل سنة، ما دام قصرنا عامراً بأهله، مسروراً بدولته.

الملك يتعظ من المجنون

روي أنّ بعض الملوك قصد التفرّج على المجانين، فلما دخل عليهم رأى فيهم شاباً حسن الهيئة نظيف الصورة يُرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمائل الفطنة، فدنا منه وسأله مسائل فأجابه عن جميعها بأحسن جواب، فتعجب منه عجباً شديداً، ثم أنّ المجنون قال للملك: قد سألتني عن أشياء فأجبتك وإنّي سأسألك سؤالاً واحداً.

قال: وما هو؟

قال: متى يجد النائم لذّة النوم؟

ففكر الملك ساعة ثم قال: يجد لذّة النوم حال نومه.

فقال المجنون: حالة النوم ليس له إحساس.

فقال الملك: قبل الدخول في النوم.

فقال المجنون: كيف توجد لذته قبل وجوده؟

فقال الملك: بعد النوم.

فقال المجنون: توجد لذته وقد انقضى.

فتحير الملك وزاد إعجابه وقال لعمرى إنَّ هذا لا يحصل من عقلاء فأولى أن يكون نديمي في مثل هذا اليوم، وأمر أن ينصب له تخت بإزاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكأس وشرب، ثم ناول المجنون، فقال: أيُّها الملك أنت شربت هذا لتصير مثلي فأنا أشربه لأصير مثل من؟

فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته.

* حكى عن النعمان بن المنذر أنَّه خرج يوماً للصيد ومعه عدي بن زيد، فمرَّ بآرام وهي القبور فقال عدي: أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام قال: لا فقال: إنَّها تقول:

أيُّها الـركب المـخبون

على الأرض تمرون

فكما كنتم فكنا

وكما نحن تكونون

قال: إعد، فأعاد، فرجع كئيباً وترك صيده^(١).

الملاّ السبزواري

نقل عن العالم الكبير «الشيخ عبد النبي النوري» الذي كان من تلامذة الحكيم الإلهي «الملاّ هادي السبزواري» قوله: في أحد الأيام من السنة الأخيرة من عمر «الملاّ السبزواري» أتى شخص إلى مجلسه وأخبر أنه وجد شخصاً في المقبرة نصف جسده في القبر والنصف الآخر خارج القبر وهو ينظر إلى السماء دائماً، ومهما أزعجه الأطفال لا يهتم لهم.

فقال «الملاّ» أريد أن ألتقيه بنفسي، وعندما رآه تعجب كثيراً واقترب منه، فلم يعتن ذلك به، فقال له الملاّ: من أنت وماذا تفعل؟ فإنّي لا أراك مجنوناً، وتصرفك هذا غير عقلاني.

فأجابه ذلك الشخص قائلاً: إنّي شخص جاهل لا أعلم شيئاً، استيقنت من شيئين وصدقتهما:

الأول: استيقنت من أنّ خالقي وخالق هذا العالم ذو شأن عظيم ولا يجوز التقصير في معرفته والعبودية له.

الثاني: استيقنت من أنّي سوف لن أبقى في هذا العالم وسأذهب إلى عالم آخر، ولا أدري ما هو حالي في ذلك العالم.

فيا حضرة «الملاّ» ها قد أصبحت يائساً ومضطرباً لما علمت،
حتّى اعتبرني الناس مجنوناً، وأنت تعتبر نفسك عالم المسلمين
وعندك كل هذا العلم، فلماذا لا تتألم ولا تخاف ولا تفكر؟

هذه الموعظة كانت بمثابة رصاصة استقرت في قلب الملاّ فعاد
بعد أن صُدم واضطرب وقضى ما بقي من عمره في التفكير الدائم
في السفر إلى الآخرة وتحصيل زاد هذا الطريق الخطر، وبقي على
ذلك حتى غادر الدنيا^(١).

(١) القصص العجيبه: ص ١٢٣.

الحرص، لماذا؟

نقل عن مسلمة أنه قال: ذهبت إلى دار «عمر بن عبد العزيز» وصليت الصبح فيه وحيداً، وبعد الفراغ، أتت أمة صغيرة ومعها قبضة من التمر، حملت قدراً منه وقالت: يا مسلمة لو أكل رجل هذه التمرات وشرب بعدها الماء فهل يكفيك ذلك؟

قلت: لا أدري.

فأخذت قسماً آخر منه وقالت وهذا؟

قلت: نعم هذا يكفيك، وحتى أقل منه، ولو أكل هذا وبقي حتى الليل لا خوف عليه إن لم يأكل أي طعام غيره.

قالت: إذن فلم يذهب الإنسان بنفسه إلى النار؟

أي أنه إذا كانت قبضة تمر وقليل من الماء يكفيانه قوت يومه، فلم يحرص في طلب مال الدنيا ولا يمتنع عن المحرمات الإلهية ويلقي بنفسه في جهنم؟

قال مسلمة: لم تؤثر فيّ موعظة كهذه أبداً.

* قال الشاعر:

المرءُ يجمعُ والزمانُ يفرِّقُ
ويظلُّ يرقعُ والخطوبُ تمزِّقُ
وإذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا
ورأيتَ دمعَ نوائجٍ يترقرقُ
سكتَ الذي تبعَ العروسَ مُبهتاً
ورأيتَ من تبعَ الجنازةَ ينطقُ^(١).

(١) أروع ما قبل من الوصايا: ص ١٥٦.

قالوا في الإسكندر

لَمَّا مات الإسكندر وضعوه في تابوت من ذهب وحملوه إلى الإسكندرية فاجتمعت الحكماء.

فقال ميلاطوس الحكيم: خرجنا إلى الدنيا كارهين وأقمنا فيها غافلين، وفارقناها كارهين.

وقال بيلموس: هذا يوم أقبل من شره ما كان مدبراً، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً.

وقال زبتون الأصغر: يا عظيم الشأن ما كنت إلاً سحاباً اضمحل لما أضل، فلا نخشى له أثراً، ولا نعرف له خيراً.

وقال أفلاطون الثاني: جمعت ما تفرّق، وتولّيت ما تولى، فلزمتك أوزاره وعادت على غيرك أثماره.

وقال فوطس: ألا تعجبون ممّن لم يعظنا اختياراً فوعظنا اضطراراً.

وقال مستطور: كنّا بالأمس نقدر على النظر دون القول، واليوم نقدر على القول دون النظر.

وقال ثاون: انظرو إلى حلم النائم كيف انقضى، وإلى ظل الغمام كيف انجلى.

وقال أميرس: كم أمات لثلا يموت، ولم يدفع الموت بالموت.

وقال حكيم: طوى الأرض العريضة فلم يقنع حتى طوي في ذراعين منها.

وقال حكيم: ما سافر الإسكندر سفراً بلا أعوان ولا عدّة إلا هنا.

وقال حكيم: ما أرغبنا فيما فارقت، وما أغفلنا فيما عاينت.

وقال آخر: لم يؤدبنا بكلامه أدبنا بسكوته.

وقال آخر: من ير هذا فليعلم أن الديون هكذا قضاؤها.

وقال آخر: كان النظر بالأمس راحة وموتاً واليوم سقم وموت.

وقال آخر: الآن تضطرب الأقاليم لأن من سكنها قد سكن^(١).

اليقظة من الغفلة

وفي كتاب المستطرف عن عبد الله بن المعلم قال: خرجنا من المدينة حجاجاً فإذا أنا برجل من بني هاشم قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة، فجمعتني وإياه الطريق فأنست به وقلت له: هل لك أن تعادلني فإنَّ معي فضلاً من راحلتي، فجزاني خيراً، وقال: لو أردت هذا لكان سهلاً.

ثمَّ أنس إليَّ فجعل يحدثني، فقال: أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة، وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوماً خادماً لي أن يحشو لي فراشاً من حرير ومخدة بورد نثير ففعل، فإني لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم، فقممت إليه فأوجعته ضرباً، ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة، فأتاني آتٍ في منامي في صورة فظيعة فهزّني وقال: أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك، ثم أنشأ يقول:

يا خد إنك إن توسد ليّناً

وسدت بعد اليوم صم الجنادل

فامهد لنفسك صالحاً تسعد به

فلتندمن غداً إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوباً، وخرجت من ساعتى هارباً إلى ربّي كما
تراني، ثم أنشأ يقول:

من كان يعلم أنّ الموت يدركه
والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وأنه بين جنات مزخرفة
يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج
ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً
لم يدر أنّ المنايا سوف تزعجه^(١).

❖ ولبعضهم:

رأيت بني الدنيا كوفدين كلّما
ترحل وفد حظّ في إثره وفد
وكل يبحث السير عنها ونحوها
فيمضي بذا نعش ويأتي بذا مهد

(١) دار السلام: ج ١، ص ٣٦٧.

شقيق البلخي وهارون

يذكر: أن هارون العباسي طلب من (شقيق البلخي) أن ينصحه ويعظه.

فقال شقيق: إن الله خلق محلاً يُقال له «جحيم» وجعلك واقفاً حوله، وأعطاك في الدنيا ثلاثة أشياء:

١ - بيت المال.

٢ - السيف.

٣ - السوط.

وقال لك: أبعد الخلق عن النار بهذه الثلاثة، من خالف الحق أدبه بالسوط، ومن قتل نفساً بغير حق اقتصر منه بالسيف، ومن احتاج إلى مال وافتقر اجعل له من بيت المال نصيباً ومعاشاً، ولو خالفت أوامر الله تكون أول من يدخل النار.

قال هارون: زدني.

قال شقيق: أنت بمثابة نبع ماء وعمالك من الوزراء وغيرهم، بمثابة الأنهار التي تتفرع من هذا النبع، فلو كان النبع كدرأ كان الأنهار كلها كدرأ^(١).

(١) تحف العقول: ص ٢٠٨.

شقيق البلخي وهارون ٢١٧

«وقال شقيق: «إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما يكون قلبه أوثق».

معاملة الأم

قال أحدهم: رَفَعْتُ صوتي في يوم من الأيام على والدتي لنزق الصبي، فقبعت بزاوية تبكي وتقول: كأنك نسيت أيام طفولتك حتى عاملتني بكل هذه القسوة.

تصدت عجوز لابنها عندما رأت

شراسة نمر في ضخامة فيل

فقال لو اذكرت ضعفك في الصبي

وانت بحضني مغرق بعويل

لما كنت تجفوني بذا اليوم حينما

قويت وغال الموت أغلب جيلي^(١)

الزاد إلى عالم الآخرة

قام أحد الخطباء فقال للنَّاس: إننا مللنا من الوعظ والإرشاد، وفي هذه اللَّيلة عندي قصة جميلة أحب أن أنقلها لكم، ثم قال: ركب أحد التجار في سفينة في البحر، فانكسرت، وغرق من فيها، وكان التاجر من جملةهم، فألقى ثيابه، وتعلَّق بشيء حتى تقاذفته الأمواج إلى جزيرة، وهو عارٍ جائع خائف، فجلس على الشاطئ مفكراً، فبينما هو كذلك، وإذا بخيل قد أقبلت وعليهم أربعون فارساً، ومعهم جواد خالي السرج، فلما وصلوا إليه سلّموا عليه، قدموا له اللباس، وأمروه بالركوب، فركب وساروا به حتَّى بلغ قصرأ أدخلوه إليه، وألبسوه التاج، وسلّموا له المُلْك، وقالوا: لك كل ما تشتهيه، فتنعم أيّاماً ثلاثة، ثم استصفي واحداً من حاشيته، وسأله عن شأنهم، فقال:

نحن أمراء البلاد، ولا نتفق على تملك واحد منّا؛ لأننا متساوون في الشرف، فاتفقنا على تدبير المملكة، وفي كل سنة، نحضر إلى هذه الجزيرة، ونتجوّل فيها، فأول إنسان نراه نجعله ملكاً علينا.

قال الرجل: وما يصنع الملك عندكم؟

قال له: ما يشتهي من الأمر والنهي، والعزل والنصب، والتدبير والأكل والشرب والنكاح، وسائر الشهوات، إذا كان لا يضر بحال المملكة، وعلينا الإطاعة، كل ذلك إلى سنة، فإذا انتهت تلك السنة، أخذناه ورميناه في جزيرة كذا.

قال: وما في تلك الجزيرة؟

قال: الوحوش والسباع والهوام، فجعل الرجل يفكر بمصيره، فاقترح عليهم أن يهتئوا البنائين والعمّال، وأن ينقلوا مواد البناء إلى تلك الجزيرة، ويحولوها إلى مدينة كأحسن ما يكون من المدن ففعلوا، وفي سنة واحدة قبل انتهاء المدة، أقبلوا به ووضعوه فيها، فوجد نفسه قد انتقل من مدينة لأحسن منها، ومن حياة لأفضل منها.

ثم رجعوا إلى أنفسهم، وفكّروا في شأنه، ووجدوا منه عدلاً وعقلاً، فطلبوا منه العودة إليهم واستمراره في الملك إلى أن يوافيه الأجل.

ثم وعظ الناس فقال: اعلموا أيها الإخوان: أن كل من يولد في هذه الحياة يولد عارياً، ولا يملك شيئاً، ثم يُهيأ له السرير والفراش الوثير، وتُقدّم له الخدمات؛ ولكنه بعد أن ينتهي أجله، يُنقل إلى المقابر الموحشة، فمن قدّم العمل الصالح وجده وتنعم فيه، وأنتم إذا فعلتم لأنفسكم كما فعلتُ أنا لنفسي، كانت عاقبتكم بعد الموت إلى خير، وإن قضيتم حياتكم هذه في الشهوات، كان مصيركم مصير من ملك عليكم قبلي.

ما كُتِبَ على القبور

* تُوفِّي رجلٌ من كندة فُكِّتَبَ على قبره هذه الأبياتُ:

يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا
أَنَّ الْجِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
لَوْ تَنْزِلُونَ بِشِعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ
أَنَّ الْمُفَرِّطَ فِي التَّزْوُدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَغِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ
تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمُفَرِّقُ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ
حَيْثُ الْمُخَدَّمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ

* ماتت فتاة بعد أيام قليلة من زواجها فُكِّتَبَ على قبرها:

أُيْهَى السَّائِلُ عَنِّي
إِنِّي مِثْلُكَ شَابٌ
كُنْتَ فِي الدُّنْيَا سَعِيداً
آمِناً حَلَوِ الشَّيَابِ
فَأَتَانِي الْمَوْتُ بَغْتَةً
فَهَا أَنَا تَحْتَ التُّرَابِ

* من أبيات للشيخ عبد الحسين صادق رحمه الله :

هذا مثالي، ظلاً، نصب أعينكم
فاستهدفوه بأنبال من الفكر
أنا لكم واعظ حياً، وموعظة
ميتاً، ويوم احتضاري أعظم العبر
فاستعشروا بي تقوى الله واعتبروا
فما السجاة غداً إلا لمعتبر

* وجد على قبر الشاعر «الأملي» أحمد بن منير الشامي :

من زار قبوري فليكن موقناً
أنّ الذي ألقاه يلقاه
فيرحم الله امرءً زارني
وقال لي يرحمك الله^(١).

(١) تنمة منتهى الآمال: ص ٤٧٥.

الفصل الثاني

عبر من التاريخ والحياة

العبرة

معنى العبرة:

العبرة والاعتبار من الأمور التي أمرنا بها في القرآن الكريم وكلمات الأولياء والمعصومين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

والعبرة في اللغة: تجاوز من حال إلى حال، وهي تصدق على المكان فيقال: عبر الماء بالسباحة أو عبر الحاجز، كما تصدق على الأفكار وذلك بأن يتوصل الإنسان من معرفة المشاهد إلى معرفة الغائب، قال تعالى في شأن الأمم العابرة: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

حقيقة العبرة:

في كل شيء ظاهر وباطن، ففي الأشياء الخارجية - كزينة الحياة الدنيا وشهواتها وملذاتها - ظاهر وباطن، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرؤم: ٧].

وفي الأفعال البشرية - كالصلاة والصدقة أو الكفر والكذب - ظاهر وباطن ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَّرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الانعام: ٦٠].

١٢٠، ومنه قول الخوارج: «لا حكم إلا لله» فظاهره حق وباطنه باطل.

وفي كتاب الله تعالى ظاهر وباطن، فعن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ للقرآن بطناً وللبطن بطن، وله ظهر وللظهر ظهر...»^(٢).

والإنسان العاقل هو الذي لا يقف على ظواهر الأشياء، وإنما يعبر من خلال الظاهر إلى الباطن، وكما قيل: «إنَّ طريق المعقولات يمرُّ بالمحسوسات».

ولذا دعا القرآن الكريم إلى التدبُّر والتفكُّر والتعقُّل، وسمَّى أهل العقل بأولي الألباب والأبصار.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].

فالعبرة هي العبور من الظاهر إلى الباطن.

ومثال ذلك: ذهب أحد الأشخاص إلى النجف الأشرف

(١) ميزان الحكمة: مادة «قرآن».

(٢) المصدر نفسه.

لدراسة العلوم الدينية ف قضى سنوات في الدرس ولم ينجح، فعاد إلى بلده كما ذهب، وفي أثناء الطريق رأى بئراً وعليه حجر مربوط بحبل ولاحظ أن الحجر قد تآكل من حركة الحبل، فقال في نفسه: إذا كان الحجر قد تغير وتآكل بمرور الزمان عليه، فلماذا لا أتغير وأصبح عالماً، ثم عاد إلى النجف الأشرف وجد في الدرس فصار من كبار العلماء، وهكذا اعتبر من الحجر.

مثال آخر:

كان الغزالي من أكبر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، وكان يسكن في قرية طوس التي تسمى (مشهد) اليوم، لأن فيها مشهد الإمام علي الرضا عليه السلام.

وأراد الغزالي أن يذهب إلى طلب العلم والفضل، فغادر بلده إلى (نيسابور) وهي تقع على بعد ٧٥ كم إلى الغرب من طوس. وكانت مركزاً مرموقاً للعلم والمعرفة في ذلك الزمان.

وهناك تتلمذ على يد أحد الأساتذة. وكان يدون كل ما يسمعه من ذلك الأستاذ على وريقات صغيرة تجنباً للنسيان، إلى أن تكونت لديه على مر الأيام والسنين مجموعة كبيرة من تلك القصاصات التي جمع فيها خلاصة العلوم التي اكتسبها من تلك الحوزة العلمية.

ولما شعر أنه بلغ الهدف الذي جاء من أجله إلى نيسابور، عزم على الرجوع إلى موطنه طوس ليصبح عالماً فيها، فجمع القصاصات الورقية ووضعها في جراب وأغلقه غلقاً محكماً.

وسار مع أهله يريد وطنه. وفي الطريق طلع عليهم قطاع طرق

لسرقة أموال المسافرين، فسلبوهم فرداً فرداً، إلى أن وصلوا إلى الغزالي، ففتشوه فلم يجدوا معه غير جراب الأوراق، فأرادوا أخذه منه ظناً منهم أن يحوي أموالاً كثيرة، فقاومهم الغزالي وتوسّل إليهم أن يدعوا الجراب له، ولكنهم أخذوه وفتحوه، فإذا بهم يجدون فيه أوراقاً صغيرة مملوءة بكلمات غير مفهومة. فسألوه: ما هذه الأوراق الصغيرة، وما انتفاعك بها؟ قال: علوم تنفعني ولا تنفعكم!.

قالوا: وكيف تستفيد من قصاصات صغيرة من الورق؟

قال: هذه زبدة دراستي وثمره جهودي وأتعابي الدراسية لسنين عديدة، وإذا أخذتم هذه الأوراق فإنّ علمي سيضيع كما تضيع ذرات السنابل المطحونة في مهبّ الريح.

قالوا: أحق إن كل ما تعلمته هو في هذه الأوراق؟

قال: نعم.

قالوا: إنّ العلم الذي تدّعيه قابل للسرقة، وكل علم قابل للسرقة ليس بعلم!.

دخلت هذه الكلمات في دماغ الغزالي كما يدخل المحراث في قلب الأرض، فانتبه لنفسه وأخذ يراجعها مراجعة مستفيضة، ف شعر أنّه كان مجرد آلة صامتة تنقل الفكر من فم الأستاذ إلى الورق بدون أن تدخل إلى الدماغ فيعقلها، فكان كالبيغاء الذي يردّد ما يقوله له صاحبه بدون أي تفكير أو تحليل.

أحدثت هذه الحادثة تغييراً كبيراً في شخصية الغزالي، وفي قابلياته الذكائية والفكرية. فقرر أن يدرّب ذهنه على التفكير والحفظ

والتحليل، فبدأ يدون العلوم والأفكار والمفاهيم في سجل ذهنه بدلاً من رسمها على الورق.

وكان الغزالي دائماً يقول: إنَّ من أحسن النصائح التي نورت حياتي الفكرية تلك النصيحة التي سمعتها من قَطَّاع الطرق.

وقد صدق من قال: العلم في الصدور، وليس في السطور^(١).

دور العبرة:

إنَّ الاعتبار يوقف الإنسان على حقائق الأمور، فمن عرف الدُّنيا وحققتها فإنه يزهد فيها، وكما في الحديث القدسي: «إنَّ عبادي زهدوا في الدُّنيا بقدر علمهم بها وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم»^(٢).

كما أنَّ الاعتبار يوقظ الإنسان من غفلته وغروره وركونه إلى الدُّنيا، ويساهم في التغيير من حال إلى حال.

عن الإمام علي عليه السلام: «من اعتبر الأمور وقف على مصادقها» و«من اعتبر بغير الدُّنيا قلَّت منه الأطماع» و«الاعتبار يثمر العصمة».

عن الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «المعتبر في الدُّنيا عيشه فيها كعيش النائم، يراها ولا يمسّها، ويزيد عن قلبه ونفسه باستقباحه معاملات المغرورين بها ما تورثه الحساب

(١) قصص ومواعظ: ص ١١٧.

(٢) ميزان الحكمة: مادة (زهد).

والعقاب، ويتبدل بها ما تقرّبه من رضى الله وعفوه، ويغسل بماء زوالها مواضع دعوتها إليه.

وتزين نفسها إليه، فالعبرة تورث صاحبها ثلاثة أشياء: العلم بما يعمل، والعمل بما يعلم، والعلم بما لا يعلم.

والعبرة أصلها أول يُخشى آخره، وآخر قد تحقق الزهد في أوله، ولا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفاء والبصيرة.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]. قال تعالى أيضاً: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. فمن فتح الله عين قلبه وبصيرته بالاعتبار، فقد أعطاه منزلة رفيعة وملكاً عظيماً^(١).

الاعتبار في كل الأحوال:

إنَّ الاعتبار لا يستدعي مكاناً أو زماناً خاصاً، فيمكن للإنسان في كل أحواله أن يتفكّر ويتدبّر ليصل إلى العبرة، إنَّما المهم أن يفتح قلبه وبصيرته لما يراه، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ [النسازعات: ٢٦] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

(١) مصباح الشريعة: ص ٢٠١.

بماذا نعتبر؟

ما من شيء في الوجود إلا وفيه العبرة، وكما في الحديث: «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار»^(١). إلا أكثر ما يثمر الاعتبار أمور:

١ - الاعتبار بالتاريخ: وأحوال الأمم الماضية، كيف كانت وإلى أين صارت؟

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: [١١١].

من وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «أحي قلبك بالموعظة وبصّره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا؟ فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلّوا ديار الغربية، وكأنك عن قليل قد صرت كأحداهم، فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك»^(٢).

* روي أن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ على المدائن فلمّا رأى آثار كسرى وقرب خرابها قال رجل ممّن معه:

جرت الرّياح على رسوم ديارهم

فكأنهم كانوا على ميعاد

(١) نهج البلاغة: حكمة ٢٩٧.

(٢) نهج البلاغة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتِي وَعُيُونِ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الدخان: ٢٥-٢٦] ^(١).

* في (البيان): بينما حذيفة وسلمان يتذاكران أعاجيب الزمان وتغير الأيام، وهما في ساحة إيوان كسرى، وإذا بأعرابي من غامد يرعى شويهاة له نهاراً، فإذا كان الليل صيرهن إلى داخل الساحة، وفي الساحة سرير رخام كان كسرى ربّما جلس عليه، إذ صعدت غنيمات الغامدي على سرير كسرى! فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي على سرير كسرى، وكانت ملوك الزمان إذا وصلوا إلى قرب سريره طرحوا أنفسهم على التراب ^(٢).

* عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: إن داود عليه السلام خرج ذات يوم يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبغ إلا جاوبه، فما زال يمرُّ حتى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبي عابد يُقال له «حزقيل» فلمّا سمع دوي الجبال وأصوات السباع والطير علم أنه داود عليه السلام

فقال داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قط؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله عزّ وجلّ؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذتها؟ قال: بلى ربّما عرض بقلبي، قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك؟ قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه.

(١) ميزان الحكمة: مادة «عبر».

(٢) بهج الصباغة: ج ١١، ص ٥١٠.

قال: فدخل داود النبي ﷺ الشعب فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية، وإذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود ﷺ فإذا هي: أنا أروى سلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضت ألف بكر، فكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيات جيرانني، فمن رأني فلا يغتر بالدنيا^(١).

* قال مالك بن دينار:

أتيت القبور فنناديتها
 أين المعظم والمحتقر؟
 وأيسن المذل بسلطانه
 وأين المزكى إذا ما افتخر؟
 فنوديت من بينها ولا أرى أحداً
 تفانوا جميعاً فما مخبر
 وماتوا جميعاً ومات الخبير
 تروح وتغدو بنات الثرى
 وتمحى محاسن تلك الصور
 فيا سائلي عن أناس مضوا
 أما لك في ما مضى معتبراً^(٢)

٢ - الاعتبار بأحوال الناس: كيف يصبحون وهم أغنياء ويمسسون وهم فقراء... ويصبحون أصحاء ويمسسون مرضى أو موتى...

(١) بحار الأنوار: ج ١٤.

(٢) بهج الصباغة: ج ١١، ص ٢٤١.

ومنه قول الإمام علي عليه السلام وهو على فراش الموت: «أنا بالأسر صاحبكم واليوم عبرة لكم»^(١).

وعنه عليه السلام أنه قال: «إنما الدنيا فناء وعناء وغيّر وعبّر: فمن فنائها أنك ترى الدّهر مُوتراً قوسه، مفوّراً نبله، لا تخطيء سهامه، ولا تشفى جراحه، يرمي الصحيح بالسقم، والحي بالموت.

ومن عنائها أن المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلى الله، لا مالاً حمل، ولا بناءً نقل.

ومن غيرها أنك ترى المغبوط مرحوماً، والمرحوم مغبوطاً، ليس بينهم إلا نعيم زلّ، وبؤس نزل.

ومن غيرها أن المرء يشرف على أمه، فيتخطفه أجله، فلا أمل مدروك، ولا مؤمل متروك».

« قال السيّد الأجل السيّد علي خان في شرح الصحيفة السجّادية صلوات الله على منشيها بعد قوله عليه السلام في دعاء الاستعاذة (أو ينكبنا الزّمان): ومن عظيم ما يُحكى من نكبات الزّمان وتصاريف الحدّثان - وإن كان القليل منها أكثر من أن يحصى - ما ذكره عبد الله بن عبد الرّحمن صاحب الصّلات بالكوفة قال: دخلت على أمي في يوم أضحى فرأيت عندها عجوزاً في أظمار رئة وذلك سنة تسعين ومائة، فإذا لها لسان وبيان، فقلت لأمي: من هذه؟

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٤٩.

فقلت: خالتك عناية أم جعفر بن يحيى البرمكي، فسلمت عليها وتخفيت بها وقلت: أصارك الدهر إلى ما أرى؟!!

فقلت: نعم يا بني، إننا كنا في عوار ارتجعها الدهر منا.

فقلت: فحدثيني ببعض شأنك.

فقلت: خذه جملة، لقد مضى عليّ أضحى وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن أبنني عاق، وقد جثت اليوم أطلب جلدتي شاة، أجعل إحداهما شعاراً والأخرى دثاراً.

قال: فرقت لحالها، ووهبت لها دراهم فكادت تموت فرحاً.

٣ - الاعتبار بأحوال الدنيا: كتقلب الليل والنهار... وتقلب أحوال الناس...

قال تعالى: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٤٤)

[النور: ٤٤].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «اعتبروا بما مضى من الدنيا، هل بقي على أحد؟ وهل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو؟ فكذلك ما لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء».

* جاء في التواريخ أنه لما قتل «عبد الملك بن مروان» «مصعب بن الزبير» وأخضع العراق لحكمه وسلطانه قدم إلى الكوفة، ودخل دار الإمارة، وهناك أتكا بارتياح وسرور على سرير الحكم ثم أمر برأس «مصعب» فوضع بين يديه، فقام أحد الحاضرين ويقال له: «عبد الملك بن عمر» - وهو يرتجف ويقول مخاطباً ابن مروان:

سَلَّمَ اللهُ الأَمِيرَ، لَقَدْ رَأَيْتُ فِي دَارِ الإِمَارَةِ هَذِهِ عَجَبًا: كُنْتُ فِي هَذَا المَجْلِسِ مَعَ عبيدِ اللهِ بنِ زيادَ، فَأتى بِرَأْسِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَدَّةِ اسْتَوَلَى المَخْتَارَ عَلَى الكُوفَةِ، وَكُنْتُ مَعَهُ فِي هَذَا المَجْلِسِ حِينَ أتى بِرَأْسِ ابنِ زيادَ فَطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَيْنَ المَخْتَارِ، رَأَيْتُ وَأَنَا فِي هَذَا المَجْلِسِ رَأْسَهُ يَلْقَى بَيْنَ يَدَيِ مَصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَهِيَ أَنَا ذَا مَعَ الأَمِيرِ فِي هَذَا المَجْلِسِ وَأَرى رَأْسَ مَصْعَبِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنِّي أَعِيدُ الأَمِيرَ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا المَجْلِسِ!!

فَلَمَّا سَمِعَ عبدُ المَلِكِ بنُ مروانَ هَذِهِ القِصَّةَ أَخَذَ يَرْتَجِفُ، ثُمَّ أَمَرَ بِدَارِ الإِمَارَةِ تَلِكَ فَدَكَّتْ ^(١).

* قِيلَ: غَضِبَ «المَتَوَكَّلُ» عَلَى وَزِيرِهِ «مُحَمَّدِ بنِ عبدِ المَلِكِ الزُّيَّاتِ» فَعَزَلَهُ عَنِ الوِزَارَةِ وَصَادَرَ أَمْوَالَهُ، وَمُحَمَّدٌ كَاتِبٌ وَشَاعِرٌ بَلِيغٌ، وَكَانَ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ قَدْ صَنَعَ تَنُورًا مِنَ الحَدِيدِ وَوَضَعَ المَسَامِيرَ فِي أَطْرَافِ التَّنُورِ مِنَ الدَّاخِلِ، فَكَانَ عِنْدَمَا يُرِيدُ تَعْذِيبَ شَخْصٍ مَا يُدْخِلُهُ فِي ذَلِكَ التَّنُورِ، ثُمَّ يُوَجِّرُ حَطْبَ الزُّيْتُونِ حَتَّى يَتَحَوَّلَ إِلَى جَمْرٍ، فَكَانَ المُعَذَّبُ بِحَرَكَتِهِ فِي الدَّاخِلِ يُضْرَبُ بِالمَسَامِيرِ فَيَزْدَادُ عَذَابًا حَتَّى يَهْلِكَ وَيَمُوتُ، وَعِنْدَمَا غَضِبَ المَتَوَكَّلُ عَلَى «الزُّيَّاتِ» أَمَرَ بِأَنْ يُوَضَعَ فِي التَّنُورِ الَّذِي صَنَعَهُ لِتَعْذِيبِ الأَبْرِيَاءِ، فَكَانَ فِي التَّنُورِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى هَلَكَ، وَفِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ طَلَبَ وَرْقَةً وَدَوَاةً وَكَتَبَ إِلَى المَتَوَكَّلِ يَسْتَعِظِفُهُ:

هِيَ السَّبِيلُ فَمَنْ يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ

كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ العَيْنُ فِي النُّومِ

(١) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٤٤٧.

لا تجزعن رويداً إنها دُول

دنيا تنقل من قوم إلى قوم

وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة إليه، فلما كان الغد قرأها فأمر بإخراجه فوجده ميتاً^(١).

٤ - الاعتبار بقدرة الله تعالى على نصرته أوليائه بأضعف خلقه كالعنكبوت والطيور، كما في قصة أصحاب الفيل ونسيج العنكبوت على غار حراء، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ وَاللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

* قيل: كتب الشيخ الكلباسي إلى حاكم أصفهان - بعد أن دعا عليه وعزل عن منصبه - «أرأيت أن الدم يغير حق لم يعط ذبابة الليل فرصة لتبقى إلى السحر».

٥ - الاعتبار برزق الله تعالى لمخلوقاته:

عن دعوات الراوندي قال: ذكروا أن سليمان عليه السلام كان جالساً

(١) وقائع الأيام: ص ١٩٨.

على شاطئ بحر، فبصر بنملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر، فجعل سليمان عليه السلام ينظر إليها، حتى بلغت الماء فإذا بضفدع قد أخرجت رأسها من الماء، ففتحت فاهها، فدخلت النملة وغاصت الضفدع في البحر ساعة، وسليمان عليه السلام يتفكر في ذلك متعجباً.

ثم إنها خرجت من الماء وفتحت فاهها، فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة.

فدعاها سليمان عليه السلام وسألها عن شأنها وأين كانت؟

فقالت: يا نبي الله إن في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة، وفي جوفها دودة عمياء وقد خلقها الله تعالى هنالك، فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها، فأنا أحمل رزقها، وقد سخر الله تعالى هذه الضفدع لتحملني فلا يضرني الماء في فيها، وتضع فاهها على ثقب الصخرة فأدخلها، ثم إذا أوصلت رزقها إليها وخرجت من ثقب الصخرة إلى فيها أخرجتني من البحر.

قال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها تسيحة؟

قالت: نعم، تقول: يا من لا ينساني في جوف هذه اللجة برزقه، لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك^(١).

٦ - الاعتبار بعاقبة الكفر والإيمان: فالكفر - مهما صال وجال - إلى زوال، وأصحاب الحق - مهما ظلموا وقتلوا - إلى انتصار وعلو في الدنيا والآخرة، وهماي قبور الفرقتين شاهد على

(١) قصص الأنبياء: ص ٥٠٨.

ذلك... فقبور الظالمين مندرسة، وقبور المؤمنين مزار للآلاف في كل يوم.

لذا لَمَّا وَقَفَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ السُّورِيِّينَ عَلَى قَبْرِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قَبْرِ مَعَاوِيَةَ أَنْشَدَ يَقُولُ:
 أَيْنَ الْقُصُورُ أَبَا يَزِيدَ وَلَهُوْهَا
 وَالصَّافِنَاتُ وَزَهْوُهَا وَالسُّودُ
 أَيْنَ الدَّهَاءُ نَحَرَتْ عَزَّتُهُ عَلِيٌّ
 أَعْتَابِ دُنْيَا سَحَرُهَا لَا يَنْفَدُ
 آثَرَتْ فَانِيهَا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي
 هُوَ لَوْ عَلِمْتَ عَلَى الزَّمَانِ مَخْلُدُ
 تِلْكَ الْبِهَارِجُ قَدْ مَضَتْ لَسَبِيلِهَا
 وَبَقِيَتْ وَحَدَّكَ عِبْرَةٌ تَتَجَدَّدُ
 هَذَا ضَرِيحُكَ لَوْ بَصُرْتَ بِبُؤْسِهِ
 لَأَسَالَ مَدْمَعَكَ الْمَصِيرُ الْأَسْوَدُ
 كُتِلَ مِنَ الثَّرْبِ الْمُهَيْنِ بِخَرِبَةٍ
 سَكَّرَ الذُّبَابُ بِهَا فَرَاخَ يُعْرِبُ
 خَفِيَتْ مَعَالِمُهَا عَلَى زَوَارِهَا
 فَكَأَنَّهَا فِي مَجْهَلٍ لَا يُقْصَدُ
 وَمَشَى بِهَا رَكْبُ الْبَلَى فَجَدَارُهَا
 عَارٍ يُكَادُ مِنَ الضَّرَاعَةِ يَسْجُدُ
 وَالقُبَّةُ الشَّمَاءُ نُكَّسَ طَرْفُهَا
 فَبِكُلِّ جِزءٍ لَلْفَنَاءِ بِهَا يَدُ

أبَا يَزِيدَ وَسَاءَ ذَلِكَ سَمْعَةً
 مَاذَا أَقُولُ وَبَابُ سَمْعِكَ مُؤَصَّدُ
 قُمْ وَارْمُقِ النَّجْفَ الشَّرِيفَ بِنَظْرَةٍ
 يَرْتَدُّ طَرْفُكَ وَهُوَ بِأَكِّ أَرْمَدُ
 تِلْكَ الْعِظَامُ أَعَزُّ رَبُّكَ قَدَرَهَا
 فَتَكَادُ لَوْلَا خَوْفِ رَبِّكَ تُعْبَدُ

* يقول الشيخ عباس القمي: «حكى لي بعض الأصحاب أن
 الخليفة المستنصر مشى مرة إلى «سامراء»، وزار العسكريين عليه السلام،
 وخرج فزار التربة التي دُفن فيها الخلفاء من آبائه وأهل بيته، وهم
 في قبة خربة يصيبها المطر، وعليها ذرق الطيور - وأنا رأيتها على
 هذه الحال - فقليل له:

أَنْتُمْ خُلَفَاءُ الْأَرْضِ وَمُلُوكُ الدُّنْيَا، وَلَكُمْ الْأَمْرُ فِي الْعَالَمِ،
 وَهَذِهِ قُبُورُ آبَائِكُمْ بِهَذِهِ الْحَالِ؛ لَا يَزُورُهَا زَائِرٌ؟ وَلَا يَخْطُرُ بِهَا
 خَاطِرٌ، وَلَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ يَمِيطُ عَنْهَا الْأَذَى؟ وَقُبُورُ هَؤُلَاءِ الْعَلَوِيِّينَ كَمَا
 تَرَوْنَهَا بِالسُّتُورِ وَالْقِنَادِيلِ وَالْفُرُشِ وَالزَّلَالِي وَالْفِرَاشِينَ وَالشَّمْعِ
 وَالْبُخُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؟!

فقال: هذا أمر سماوي لا يحصل باجتهادنا، ولو حملنا الناس
 على ذلك ما قبلوه ولا فعلوه^(١).

* مات الإمام الرضا عليه السلام في مدينة «مشهد» ودُفن بجانب
 هارون الرشيد ومنذ ذلك اليوم يقصد الملايين زيارة الإمام عليه السلام

(١) انتهى الآمال: ج ٢، ص ٥٤٦.

ليستلهموا منه الإيمان واليقين والدروس والعبر ولا من يلتفت إلى هارون.

يقول الشاعر دعبل الخزاعي:

قبران في طوس خير الناس كلهم
وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي
وما على الزكي بقرب الرجس من ضرر
٧ - الاعتبار بتبدل الأحوال: والفرج من الأهوال.

مما يُنسب للإمام علي عليه السلام:

وكم لله من لطف خفي
يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر
وفرّج كربة القلب الشجي
وكم أمرٌ تُساء به صباحاً
وتأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً
فشق بالواحد الفرد العلي
* عن كافور الخادم قال: كان يونس النقّاش يغشى سيّدنا الإمام الهادي عليه السلام ويخدمه فجاء يوماً يرعد، فقال: يا سيّدي أوصيك بأهلي خيراً، فقال عليه السلام: وما الخبر؟

قال: عزمت على الرحيل.

قال عليه السلام: - وهو يتسم - ولم يا يونس؟

قال: وجه إليّ «ابن بغي» بفصّ ليس له قيمة فأقبلت أنقشه، فكسرتة باثنين، وموعده غد وهو «ابن بغي» إمّا ألف سوط أو القتل.

قال عليه السلام: امضِ إلى منزلك إلى غد فرجاً، فما يكون إلاّ خيراً، فلمّا كان من الغد وافاه بكرة يرعد، فقال: قد جاء الرسول يلتمس الفصّ.

قال عليه السلام: امضِ إليه فلن ترى إلاّ خيراً.

قال: وما أقول له يا سيّدي؟

قال: فتبسّم، وقال عليه السلام: امضِ إليه واسمع ما يخبرك به فلا يكون إلاّ خيراً.

قال: فمضى وعاد وقال: قال لي يا سيّدي: الجوّاري اختصمن فيمكنك أن تجعله اثنين حتّى نغنيك؟

فقال الإمام عليه السلام: اللهمّ لك الحمد إذ جعلتنا ممّن يحمّدك حقاً، فأبي شيء قلت له؟

قال: قلت له: أمهلني حتّى أتأمّل أمره؟ فقال عليه السلام: أصبت.

من أهم العبر:

كلام جبرئيل

سأل النبي محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام، هل تضحك الملائكة وتبكي؟ قال: نعم تضحك في ثلاث تعجباً وتبكي في ثلاث ترحماً.

أما الأول فالرجل يلغو كل اليوم ثم يُصلي العشاء ويأخذ بعدها في اللغو، فتضحك الملائكة، وتقول: لم تشبع في طول يومك يا غافل أفتشبع في هذه الساعة.

والثاني: الدهقان يأخذ المروة، ويضرب الجدر المشترك مراثياً أنه يعمر نصيبه ويزيل الحشيش وغرضه أن يزيد في كروته، فتضحك منه الملائكة، وتقول: إنك ما شبعت من هذا الجريب أفتشبع من هذا.

والثالث: المرأة البارزة إذا ماتت فيسجي قبرها حتى يُسوي عليه اللبن لثلاً يُطلع على حجمها، فتضحك الملائكة، وتقول: حين كانت مشتهاة فما سجيتموها والآن صارت منقرة فسجيتموها.

وأما بكائهم في الثلاث.

فالأول: الغريب إذا خرج لطلب العلم فأدرکه الموت.

والثاني: الشيخ والشيخة إذا تمنيا ولداً ورزقهم الله وفرحا

وقالا هو خادمنا في آخر عمرنا ومشيع جنازتنا ثم أدركه الموت في حياتهما، فإن الملائكة تبكي قبل بكائهما على ولدهما.

والثالث: اليتيم إذا استيقظ من منامه وأخذ يبكي لتسرع إليه أمه وهو لا يذكر موتها فلما سمعت الداية بكاءه صاحت عليه بصوت كربه ما هذا البكاء، فلما سمع صوتها تذكر لموت الوالدة فيسكت أيضاً فعند ذلك تبكي الملائكة^(١).

كلام عزرائيل

قيل لعزرائيل هل ضحكت؟ وهل بكيت؟ وهل تعجبت؟ فقال:
ضحكت مرّة، وبكيت مرّة، وتعجبت مرّة، قالوا وكيف ذلك؟

قال: أمرني ربّي سبحانه أن أقبض روح رجل من بني آدم؛
فنظرت إليه، فوجدته واقفاً عند حدّاد، وبيده حذاؤه، وهو يقول له:
إنني كلّما صنعت أسفله من الجلد انخرق فاصنع لي صفيحة من
حديد أجعلها في أسف الحذاء.

فضحكت منه لقلّة عقله بسبب طول أمله.

وأمرني ربّي مرّة ثانية أن أقبض روح امرأة في وسط نهر من
ماء، وكان لها طفلان، حملت أحدهما إلى الجانب الآخر ووضعت
على اليابسة، وعادت لتحضر أخاه، فقبضت روحها وهما يبكيان
وهي تنظر إليهما، وهما صغيران غريبان بلا أم ولا معين ولا يتمكن
أحدهما من الوصول إلى الآخر.

وقال: وتعجبت من قضاء الله وقدره وعظيم حكمته، فقد أمرني
مرّة أن أقبض روح ملك في المشرق وآخر في المغرب، ففعلت،
فأوحى إليّ، أتعرف هذين الملكين فقلت! إلهي لا، فقال: هذان
هما الطفلان اللذان قبضت روح أمهما وهي في وسط النهر. فقد

أظهرت فيهما قدرتي، ورفعتهما من حال اليتيم والضياع وجعلت أحدهما ملك المشرق والآخر ملك المغرب، ولم يشكرا حسن صنيعي فانتزعت الملك من أيديهما، وجعلته لآخرين^(١).

(١) حجر وطنين: ج ٢، ص ٢٩١.

مع الوالد

جاء في بعض الروايات أن رجلاً شكى أباه إلى النبي ﷺ وقال له: إنه أخذ مالي فاستدعاه النبي ﷺ فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه، وكان الرجل قد آلمته شكوى ابنه، فأسرَّ في نفسه كلاماً، فنزل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ يأمره أن يسأل الرجل عما حدث به نفسه قبل أن ينظر في شكوى ابنه، فلما سأله قال الرجل: والله لا يزيدنا الله بك إلا إيماناً وتصديقاً، لقد قلت مناجياً ابني:

غَدَوْتُكَ مَوْلُوداً وَقَيْتُكَ يَافِعاً

تعلُّ بما أجني عَليكَ وتنهَلُّ

إذا ليلَةٌ خَافَتَكَ السُّقْمُ لم أبيتُ

لِسُقْمِكَ إلا شاكِياً أتململُ

كأني أنا المظرووقُ دُونَكَ بالذي

طَرِقتَ بهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمِلُ

فلَمَّا بَلَغتِ السَّنَّ والغَايَةَ الَّتِي

إليها مَدَى ما كُنْتَ فيكَ أُؤمِلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي غِلظةً وَقَظَاطَةً

كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المَتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَ حَقَّ أُبُوَّتِي
فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمَجَاوِرُ يَفْعَلُ

فلما سمع النبي ﷺ ذلك اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال الرجل: إن ابني كان ضعيفاً وأنا قويٌّ، وفقيراً وأنا غنيٌّ فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي واليوم أصبحت ضعيفاً وهو قويٌّ، وفقيراً وهو غنيٌّ، ويبخل عليّ بماله، فبكى النبي ﷺ وقال: ما من حجر ولا مدر هذا إلا بكى، والتفت إلى الولد وقال: قم أنت ومالك لأبيك^(١).

* قال الشيخ الكعبي (ره): سمعت ضوضاءً عند دارنا فخرجت وإذا ولد ووالد والناس حولهما ينظرون إلى ما يتهاثران فتقدم الولد وصفح والده، قال: لما رأيت ذلك هجمت على الولد أريد تأديبه فهرب، فجئت إلى الوالد أسأله بأنه شاب مغرور، وأن هذه عادات الشباب المغرورين.

قال الشيخ: فلما انصرف الناس أخذ الوالد يبكي فقلت له مِمَّ بكاؤك؟

قال: لا أبكي من صفح ولدي لي وإنما بكائي لأن هذا جزائي الذي تلقَّيته، ولا أعلم أن الله غفر لي أم لا؟
قلت: كيف؟

قال: إنني صفعت أبي في هذا المكان نفسه قبل أربعين سنة وهذا الصفع من ولدي جزاء ذلك الصفع.

(١) شواهد المبلغين: ص ٢٥٣.

صاحب كتاب «المُعتبر»

في بهج الصباغة: أنَّ أبا البركات صنَّف كتاب «المُعتبر»، ولم يزل سعيداً إلى أن قلب له الدَّهر ظهر المجن فلَمَّا أسنَّ عمى وطرش وبرص وتجدَّم، فأوصى أن يُكتب على قبره:

«هذا قبر أوحْد الزَّمان أبي البركات ذي العِبر صاحب المُعتبر»^(١).

(١) بهج الصباغة: ج ٢، ص ٣٦.

كل من عليها فان

قال الشيخ البهائي: دخلت قصرأ بالبصرة، فرأيت في بعض مجالسه مكتوباً: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَك مَسْكِنُهُمْ لَوْ نَشَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا﴾ [القضص: ٥٨].

وإذا بالجانب الآخر: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٥]؟

وبالجانب الآخر: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

* وقرئ على باب قصر آخر:

ما حال من قد عمل القصورا
وبات فيها آمناً مسرورا
ثم غدا في رمسه مقبورا
يقيم فيها دائماً مأسورا
حتى يرى من قبره محشورا
إما قرير العين أو مثبورا

الشيخ مغنية

يقول الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله: «عدت مريضاً مع ثلثة من الإخوان فوجدناه على حال دونها كل حال... عرفت هذا المريض منذ أربعين سنة على التحقيق وكان شاباً فقيراً يسكن مع زوجته في غرفة في إحدى قرى جبل عامل، وكانت الغرفة أشبه بالكوخ، سقفها وأرضها من طين، لا نوافذ لها إلا باب صغير وطيء للدخول والخروج، أمّا محتوياتها من أدوات وطعام فتتلاءم تماماً مع وضعها، ويستطيع رجل واحد أن يحمل كل ما فيها على ظهره، وكان في أول أمره يشتغل حملاً في بيروت ينقل أمتعة الناس على ظهره بأجر زهيد، ثم فتح حانوتاً صغيراً في القرية، وتدرّج في التجارة شيئاً فشيئاً، وكان ذا خبرة بها ومهارة، وله عقل وتدبير، ولما تقدمت تجارته، وتحسنت حاله نقل تجارته إلى مدينة «صور» فتدفقت عليه الأرباح، واشترى بناية في بيروت، وأنشأ بستاناً في صور، وأصبح من الأغنياء وأهل الثراء، ومن أبرز صفاته الحرص على المال، والولوع بتحصيله وكنزه، ولا يخرج القرش من يده إلا لضرورة ماسة وحاجة لا مناص منها ولا خلاص، وكان في الوقت نفسه أميناً على حقوق الناس، ولا يعتدي على أحد، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، ويؤدّي الصوم والصلاة على أكمل الوجوه.

وفجأة وقع طريح الفراش فريسة للسرطان، وحين عدته شاهدت

صورة يعجز عن وصفها القلم واللسان، فقد كان قبل أحزانه وسرطانه معتدل القامة، وسيم الوجه، مفتول الساعدين، ممتليء الجسم، قوياً نشيطاً في ذهابه وإيابه، تطفح الحياة على وجهه، وفي عينيه، وحين دبَّ الداء في جسمه أصبح رسماً بدون جسم، وخيلاً بلا حقيقة، ولو كان هذا وحده لكان فيه سعادته وهناؤه بالقياس إلى آلامه وأوجاعه، فلقد رأيتُه يقضم اللحاف بأسنانه تارة، ويعضّ يده أخرى، وهو يبكي ويقول: أواه يا حبذا الموت... عشرة أشهر لا أعرف فيها النوم، ولا الطعام إلاّ بعض العصير، ثمّ يلتفت إلى ابنه، ويقول بصوت بالك حزين: اشتروني، لا أريد مالاً ولا عقاراً... يا ليتني أعمى أكسح أرعى نبات الأرض عارياً كالحيوانات، ولا أتألم ألمي هذا. إنّي أحس عظام ظهري تُنشر بالمناشير، وأمعائي تُقَطَّع بالسكاكين، وكأنّ في خاصرتي مياسم من حديد...

خرجت من بيته، وأنا أقول: كلنا مُعرَّض لموضعه ومضجعه، ومن الذي يضمن لنفسه السلامة والعافية، ولكن لا نحس بألم الضرب قبل وقوعه، ولا يلذع الحريق قبل أن تمسنا النار، وهنا يكمن سرّ الإهمال والتقصير، وإلى الله نعتذر ونفزع من كل مكروه.

وما زالت تلك الصورة المرعبة ماثلة أمام عيني تؤثر في نفسي أثرها المخيف، ولا أخالها تتوارى عني ما دمت حياً، وما وجدت شيئاً أشرح به كلمات الإمام أوضح منها، وهو القائل عليه أفضل الصلاة والسلام: «فاتعظوا بالعبر، واعتبروا بالغير، وانتفعوا بالنذر»^(١).

(١) فضائل الإمام علي عليه السلام: ص ٧٨.

حال الإنسان مع الدنيا

يُحكى أنّ أحد الأغنياء كان يملك أراضٍ زراعية كثيرة، فقال لأحد المزارعين: اركض في هذه الأراضى وبقدر ما تركض وتقطع المسافات تكون الأراضى التي قطعتها لك، فجعل المزارع يركض ويركض من الصبح إلى الظهر حتّى تعب، فجلس يستريح ثمّ عاود الركض إلى أن شارب الليل فوقع ميّتاً من شدّة التعب ولم يحصل على شبر واحد من الأرض، وهذه حال الإنسان مع الدنيا يعمل ويركض ويجمع المال حتّى الموت.

عن الإمام علي عليه السلام: «طالب الدنيا تفوته الآخرة ويدركه الموت حتّى يأخذه بغتة ولا يدرك من الدنيا إلّا ما قُسم له»^(١).

دعوة المظلوم

حُكِيَ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ لَهَا دَارٌ بِجَوَارِ قِصْرِ الْمَلِكِ وَكَانَتْ الدَّارُ تَشِينُ الْقِصْرَ، فَطَلَبَ الْمَلِكُ أَنْ تَبِيعَهُ الدَّارَ فَرَفُضَتْ، وَحَدَّثَ أَنَّ الْمَرْأَةَ خَرَجَتْ فِي سَفَرٍ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهَدْمِ الدَّارِ، فَلَمَّا عَادَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ السَّفَرِ، قَالَتْ:

- مَنْ هَدَمَ دَارِي؟

- قِيلَ لَهَا: الْمَلِكُ.

فَرَفَعَتْ طَرْفَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ:

- إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ.. غَبْتُ أَنَا، وَأَنْتَ حَاضِرٌ لِلضَّعِيفِ مَعِينٍ، وَلِلْمَظْلُومِ نَاصِرٍ.. ثُمَّ جَلَسْتُ، فَخَرَجَ الْمَلِكُ فِي مَوْكِبِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا، قَالَ: مَا تَنْتَظِرِينَ؟!

قَالَتْ: أَنْتَظِرُ خَرَابَ قِصْرِكَ.

فَهَزَأَ بِقَوْلِهَا وَضَحِكَ مِنْهَا. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ خُصِفَ بِهِ وَبَقِصِرَهُ وَوُجِدَ عَلَى بَعْضِ حَيْطَانِ الْقِصْرِ مَكْتُوبٌ:

أَتَهَزَأُ بِالذُّعَاءِ وَتَزِدُّرِيهِ

وَلَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الذُّعَاءُ؟

سهام اللّيل لا تخطيء ولكن
 لها أمد وللاّمد انقضاء
 وقد شاء الإله بما تراه
 فما للملك عندكم بقاء

❖ يُقال أنّ آية الله الشيخ المولى «قربان علي الزنجاني»، وهو صاحب مرجعية واشتهار في بلده، ذات يوم دخل عليه أحد مريديه ومقلّديه. وذلك بعدما كان هذا الشخص قد اضطرّ وبسبب العسر المالي المُلم به، من الانضمام إلى قوَّات الشرطة بمدينة زنجان.

وبما أنّ الحكومة القاجارية يومذاك لم تكن مشروعة لدى الكثير من العلماء، منهم المولى الزنجاني الذي جابهها بعنف في قضية الدستور، لذلك هذا الشخص الذي قلنا كان مريداً للمولى ثمّ صار شرطياً، حين دخوله وضع سلاحه (البندقية) عند باب الغرفة ودخل على المولى. ذلك لكي لا يتألم من رؤيته الشيخ ولا يتهمه بإعانة الظالمين.

وإذا بالشيخ المولى «قربان علي الزنجاني» أخذ يُرحّب به بعطفه الأبوي ثمّ قال له: سمعت عنك أنك تعمل في الشرطة وقوَّات الأمن؟ قال الرجل: نعم.

أجابه المولى: إنّها وظيفة صعبة، حيث يجب عليك فيها حراسة أرواح النَّاس وأموالهم ونواميسهم، بل ويلزم عليك أن تسهر بالليالي كي يرقُد النَّاس رغداً.

ثمّ سئله الشيخ المولى: هل لديك سلاح؟ أجابه الرجل: نعم.

فحينذاك ومن أجل أن ينبهه الشيخ المولى بخطورة تغافل
حقوق الناس الدنيوية قال له: وكم هو المدى المؤثر للإصابة
بسلاحك؟ أجابه الرجل: مسافة ٢٠٠ إلى ٢٥٠ متر.

ردّ عليه المولى قائلاً: لكن يجب عليك أن تعلم بأنّ مدى أنين
المظلوم وصراخه يبدأ من الأرض حتّى يصل إلى الله في عرشه^(١).

(١) خلق الأعلام: ج ٢، ص ٥٦.

آل خاتون

يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «أقسم إننا لو اتعظنا بما نعظ، وعملنا بما نؤمن لكان لنا ما نحب وفوق ما نحب، ولخضع لنا كل زعيم وعظيم... وفي التاريخ ألف مثال ومثال، وهذا واحد منها:

كان في جبل عامل قرية صغيرة متواضعة تدعى «إمية» بكسر الألف يعيش أهلها على زراعة الحنطة والشعير، وكان فيها عالم صالح، يخشى الله، ويعمل بكتابه، ويتأدب بآداب الرسول وسنته، وكان في حياته ومظاهره لا يمتاز عن أضعف رجل في القرية، وفي ذات يوم اجتاز قرية «إمية» أحد ملوك الأيوبيين، وهو في طريقه إلى بعض البلدان، فخرج أهل القرية لاستقباله والاعتناء به، وبقي العالم الصالح في بيته لم يخرج مع المستقبلين، ولم يزر الملك مع الزائرين، فاغتاظ الملك من تصرف الشيخ وتجاهله له ولمكانه، ولكنه كان رشيداً عاقلاً، لا يقدم على عمل إلا بعد البحث والروية، فبعث إلى الشيخ يسأله عن السبب؟. فأجاب بما هو ماثور ومشهور: «إذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فنعّم الملوك ونعّم العلماء، وإذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فبئس الملوك وبئس العلماء». فعظم الشيخ في عيني الملك، وأكبره أيّما إكبار، وأسرع إلى زيارته، وجلس متأدباً بحضرته، واستمع إلى حديثه بخضوع وخشوع،

وامتلأت نفسه منه رهبة، وعرض عليه أن يزوجه ابنته الخاتون، فقبل الشيخ، وتمّ الزواج.

وبارك الله في هذا القران، لأنه خالص لوجهه تعالى، ووهب للزوجين أولاداً وأحفاداً اعتزّ بهم الدّين والإنسانية، وعرفوا بآل خاتون نسبة إلى أمهم بنت الملك^(١).

(١) مع علماء النجف الأشرف: ص ٥١.

عاقبة الاستهزاء بعلماء الدين

كان آية الله الشيخ «مهدي القمي» من أهل الكرامات التي لا تُعدّ، ومن بينها أنّ يده المباركة إذا ما لامست بدن المريض فإنّه غالباً ما يشفى من مرضه، وأهل جنوب مدينة «قم» الذين تلدغهم الحيات والعقارب غالباً ما يأتونه فيضع خاتمه العقيق أو يده على محل اللدغة فيشفى الملدوغ وينجو من الموت.

وفي إحدى سفراته إلى مدينة أصفهان وأثناء عزمه على الرجوع من السفر، ذهب إلى موقف السيارات ليستقل سيارة إلى مدينة «قم» المقدّسة، وعندما رآه سائق السيارة لم يسمح له بالصعود في السيارة مُدّعياً أنّ هذا الشيخ إذا ما صعد في سيارتي فإنّ السيارة ستعطل في الطريق، وبالرغم من إصرار الناس وإلحاحهم على السائق بأن يقبل هذا الشيخ العالم والفقير والحكيم والمجتهد إلاّ أنّه رفض رفضاً قاطعاً قائلاً: إنني لا أسمح للشيخ أن يركب في سيارتي. وفي النتيجة جاء مدير موقف السيارات وترجّى السائق بأن يسمح للشيخ بالسفر معه فقبل الأمر على مضض وسمح للشيخ بالركوب في سيارته مع سيل من الإهانات وعدم الاحترام والتجاسر.

وفي نصف الطريق بين أصفهان وقم تمزّق أحد إطارات السيارة

حيث كانت السيارة من السيارات الأوروبية القديمة والتي دخلت الخدمة طويلاً في أوروبا ثم صدروها إلى إيران فكانت إطاراتها لا تتحمل طرق إيران الوعرة والغير معبدة لذلك فإنها غالباً ما تتمزق في أثناء السفر، فأرسلت إلى إيران بهذا الوضع مع إشاعة الشائعات التي غالباً ما تنطلي على العوام من الناس بأن عالم الدين إذا ما ركب في السيارة فإن السيارة سوف تتعطل أثناء المسير، والغرض من ذلك هو توجيه ضربة إلى منزلة العلم والعلماء والدين لكي لا يحصل ارتباط بين الناس وعلماء الدين.

وكما قلنا فإن السيارة تعطلت في الطريق نتيجة تمزق أحد إطاراتها فانطلق لسان السائق بالشتم والسب للشيخ وخاطب بقية المسافرين بقوله: ألم أقل لكم بأن السيارة ستعطب في الطريق؟ ألم أقل لكم بأني يجب أن لا أدع أحد علماء الدين بالصعود في سيارتي؟ لكنهم جاؤوا وقالوا: هذا مجتهد! هذا عالم! هذا فلان! وكانت النتيجة هذه كما ترون! أنا سوف أتركه في نصف الطريق ولا أسمح له أن يأتي معنا، فشاركه بعض العوام من الناس ممن كانوا معه في السيارة باعتقاده هذا واستحسنوا رأيه.

وترجّل كل من في السيارة لتبديل إطار السيارة بإطار احتياط، وجلس الشيخ جانباً يتكلم مع بعض خواصه ومحبيه الذين صحبوه في سفره هذا وتفرّق بقية الركاب، أمّا مساعد السائق فانشغل بتبديل الإطار الممزق وذهب السائق لقضاء حاجته، وفجأة انطلق منه صوت رهيب يطلب النجدة فأسرعوا إليه فوجده ملقى على الأرض فأخبرهم بأن حية كبيرة قد لسعته وأفرغت سمها في بدنه، فحملوه

ووضعوه بالقرب من السيارة وكان يتلوى في أحضان المسافرين ويأنُّ ويتألم وقد ورم جسمه وربما شديداً وحاله ينذر بالخطر حيث أشرف على فراق الحياة، واضطرب حال ركاب السيارة في تلك الأرض المقفرة الملموءة بالمخاطر والتي تعجُّ بالحيوانات المفترسة والحيات والعقارب والصوص وقطاع الطرق.

وقد علم الجميع أنّ ما أصابهم وأصاب سائقهم هو نتيجة للإهانة التي وجهها لهذا العالم الجليل القدر، فجاؤوا بالسائق ووضعوه أمام هذا العالم المقدّس وكانت تبدو على وجه السائق علامات الموت، فقالوا للشيخ: نرجو منك أن تعفو عنه وتصرف النظر عمّا صدر منه من إساءة تجاهك.

فقال الشيخ مهدي؛ عفوت عنه، إيتوني به وضعوه أمامي، فوضع يده المباركة على مكان لدغ الحية فانتعش حال السائق وعاد له وضعه العادي، فانكبَّ على يدي وقدمي الشيخ يقبلهما ويعتذر إليه ولمن صحبه في الطريق، وقد ندم على ما فعل وعلم أنّ ما قام هو من مؤامرات الاستكبار العالمي التي تُحاك لإسقاط هيبة العلماء ورجال الدين، فأبدل معاملته مع الشيخ بالاحترام الفائق والتكريم والإجلال إلى أن وصلوا إلى مدينة قم المقدّسة^(١).

الالتزام بأحكام الدين

كان للسيد محسن الأمين رحمة الله عليه مدرسة في دمشق لطلبة العلوم الدينية الشيعة وكان السيد الأمين يشرف على المدرسة بشكل مباشر ومن بين طلاب هذه المدرسة السيد أحمد المصطفوي وهو من تجار قم وابن المرحوم الحاج السيد علي، وقد نقل هذه القصة من السيد محسن الأمين فقال:

كان من بين من تخرج من هذه المدرسة شخص سافر لدراسة الطب في أمريكا، ومن هناك كتب لي رسالة قال فيها:

كان لدينا في كليتنا امتحان فحضرت مع الطلاب لأداء الامتحان، وجلست طويلاً لكي يأتي دوري للامتحان، وفي الأثناء حلّ وقت الصلاة، وفكرت بأنني إذا بقيت أنتظر فسيطول بيّ الجلوس وأحرم من فضيلة الصلاة أو تصبح صلاتي قضاءً لأنّ الامتحان طويل ويقتضي الجلوس لساعات. فقال لي من كان حاضراً من الطلاب: أين ذاهب؟ يحتمل أن يصل دورك. فقلت لهم: أريد أن أذهب لأداء فريضة دينية حلّ وقتها الآن!!! قالوا: إذا جاء دورك فإنك لا تستطيع الحصول على فرصة أخرى للامتحان وسوف تُحرم من أدائه مرةً أخرى لأنهم لا يجتمعون لأجلك فقط، وهنا سوف تفوتك هذه الدورة وتبقى إلى دورة قادمة.

قلت لهم: كل ما يحدث فهو خير، أنا لا أستطيع أن أتماهل في أداء واجبي الديني وأخيراً خرجت من قاعة الانتظار. وعلمت اللجنة الامتحانية بأنني غبت عن الامتحان وذلك لأداء الفريضة الدينية التي أوجبها عليّ الشرع فقالوا: إنَّ هذا الشخص مخلص في أداء واجباته وليس من المناسب أن تؤخره دورة كاملة ولأجل تثمين وتقدير التزاماته فيجب أن نحضر يوماً بشكل خاص لكي نساعدته على أداء امتحانه، وخصصوا يوماً معيناً اجتمعوا فيه وحضرتُ أنا لأداء الامتحان وفعلاً تمص ذلك.

يقول السيّد محسن الأمين: لقد أنجبت مدرستنا من هذه النماذج الذي «لو سقط في البحر لما ابتلت ثيابه»^(١).

دعاء المضطر

نقل الشيخ الأستاذ محسن قرائتي حفظه الله تعالى بأن والده تزوج من امرأتين ولم ينجب حتى بلغ عمره الخامسة والأربعون، ويوماً طرق جارنا الباب وكان يحمل كيساً فيه قطعاً صغيرة وقال: عندي أولاد بكثرة في البيت، وأنتم ليس عندكم أولاد ولا قطط فخذوا هذه القطط الصغار تعيش في بيتكم وكان تعدادها أحد عشر قطعة، وكان لكلام الجار على أبي وقعاً شديداً حيث جلس في زاوية من الغرفة وأخذ يبكي بصوت عالٍ ويناجي ربه: إلهي لماذا حرمتني من الأولاد إلى هذا الحد فإنَّ جاري أخذ يسخر مني. وفي تلك السنة حجَّ والدي إلى بيت الله الحرام، وهناك وفي بيت الله طلب ممن معه من أهل كاشان بأن يشركوا معه في الدعاء بأن يقولون آمين ويطلبوا من الله أن يرزقه ذرية، أولهم يكون واعظاً مبلغاً لأحكام الشريعة الإسلامية، فدعا الله سبحانه وتعالى بلهفة وأصدقائه الحجاج كانوا يرددون كلمة آمين.

يقول الشيخ قرائتي: بعد سن الخامسة والأربعون رُزق والدي بأحد عشر ولداً كنت أولهم حيث صرت واعظاً ومبلغاً^(١).

(١) جزء الأعمال: ١٤٣.

ثلاث نصائح في قصة

أوصى الأب ولده قائلاً: إياك أن تصادق موظفاً في الدولة فإنه يخذلك عند الشدة بدعوى أنه محافظ على القانون وعلى شرف الدولة، وهو في الحقيقة يحافظ على كرسيه وعلى راتبه، وإياك أن تأتمن زوجتك على سرِّك فإنها لن تكتمه أبداً، وإذا ظفرت بصديق فاحتفظ به، ولن تظفر بصديق صدوق، فإن أباك اكتسب في حياته صديقاً ونصف صديق... وسأريك ذلك كله عملاً.

وفي ليلة من ليالي الشتاء، أقفل الباب على عياله، وأحضر كبشاً وذبحه، ودفنه في عرق شجرة في فناء البيت. ودخل بعد ذلك على عياله، وبعد الإلحاح بالسؤال، أخبر زوجته بأنهما دعوا عدواً لهما، وقتلاه، ودفناه في عرق الشجرة، وطلب منها تنظيف المكان من الدم، لثلا يطلع أحد على السر، فارتبكت الزوجة، وجعلت تولول وتلوم زوجها وتقول: ضيعتني شابة، وأبتمت أولادي... غداً ينفصح الأمر، وتودع في السجن... فماذا سيكون حالي؟ وجعل زوجها يصبرها ويأمرها بالستر والسكوت ولكنها لم تستقر حتى ذهبت إلى بيت أهلها مرتبكة، فسألتهما والدتها فأخبرتها، وجعل الخبر يسير ليلاً من منزل إلى منزل، ثم قال الوالد لولده: إذهب يا بني، وادع لنا الشرطي فلان، وكان صديقاً حميماً، فدعاه فلنأه، وكان يظن أنها

وليمة دسمة، فلما جلس، قال له: يا أخي بيننا خبز وملح وصداقة، وأنت أخ، وقد هاجمنا لصر، وقتلناه ودفناه في عرق هذه الشجرة... ف جذب الشرطي نفسه مغضباً، وقال: تدعوني إلى الخيانة، وإلى مخالفة القانون، وإلى... وإلى ثم أخرج محضراً، وأخذ إفادته، وأمر بسوقه للسجن، فقال الوالد لولده: إن لي نصف صديق وهو فلان، إذهب وأعلمه بالأمر لعله يساعدنا... فلما ذهب وأخبره، دخل منزله وأخرج جميع ما عنده من حلبي ونقود، ودفعهما للولد، وقال: اعتذر لوالدك بأنه لا معرفة لي برجال الدولة، وهذا كل ما أستطيع المساعدة ثم أرسله إلى شخص آخر، وقال له: هذا صديق تام... إذهب إليه وأخبره بالأمر... فذهب إليه وأخبره، فلما سمع الخبر، خرج معه بدون حذاء ولا رداء، فقال الولد: إلى أين يا عم؟

فقال: اذهب إلى أبيك فإن أباك ليس هو القاتل، بل أنا قتلت، فقال الولد: لو لبست ثيابك؟ فقال الرجل: الوقت أضيق من ذلك، فإنني أخشى أن ينفذ الحكم بأبيك، والآن سأعترف كي أخلصه، وأصير مكانه فإنه رب عيال وأطفال... ثم ذهب معه حتى وصل للسجن واعترف بأنه هو المجرم فأدخله الشرطة السجن مع أبيه ولما استدعيا للتحقيق أخبرهما الرجل بالأمر وانكشف الحال^(١).

(١) حجر وطنين: ج ١، ص ١٤.

الخمور والفجور والقمار

كان لبعض الأعيان ولد وحيد، وكان ذا ثروة طائلة فلما أشرف على الموت أوصى ولده بثلاث وصايا قال له: يا بني.. أنت ولد شاب، ربّما تتوق نفسك إلى لعب القمار، وإنني أوصيك أن تلعب مع أبرع المقامرين، وأقدمهم في المهنة، وربّما تتوق نفسك إلى شرب الخمر، فإذا تآقت نفسك إليها فاشربها في الحوانيت العامّة بعد منتصف اللّيل، وإيّاك أن تشربها في منزلك أو منزل صديقك، بل في الحانات نفسها، وربّما تتوق نفسك إلى ذوات الأعلام من النّساء الشّهيرات بالجمال، فاذهب إلى التي تريدها - إلى منزلها - عند الفجر، وإيّاك أن تستدعيها إلى منزلك، أو أن تأتيها في أول اللّيل.

يا بني.. احفظ هذه الوصايا الثلاثة، فإنّك إذا حفظتها، دامت ثروتك، وبورك لك في مالك ومجدك وبيدك، فظلاً ولده وكل من سمعه متحيراً فيها، ولا يعرف ما يريد، ولكنّه أصر على تنفيذ وصية والده لثقته به.

مات الوالد، وبقي الولد، فالتفّ حوله البطّالون والمضحكون وأمثاله من الفتیان المياسير، فاتفق أنّ صدره ضاق يوماً من الأيام،

فجعل يطلب شيئاً للتسلية عنه، فبالغ له أصدقاؤه في أرباح المقامرين، وفي السلوى والراحة في أثناء اللعب، وزينوا له ذلك بحكاية القصص المضحكة فمالت نفسه للقمار، طمعاً في تعويض ما أنفقه من الأموال أيام بطالته، ورغبة في الراحة، ومجاراة للإخوان، فذهب إلى المحل المعهود، وطلب أشهر المقامرين وأقدمهم في المهنة، وامتنع المقامرون عن اللعب معه خوفاً منه، ودعوا له شيخاً رث الثياب، سيء الحال، كان في الطابق السفلي من المحل، فجلس معه، وتحدث إليه، وقال له الشيخ:

لِمَ لا تلعب مع هذه الفتية؟

فقال له: أنا ابن فلان والمرحوم والدي أوصاني أن لا ألعب إلاً مع أشهر مقامر.

فتناول الشيخ آلات القمار، وجعل يرميها بغير اكتراث، فيصيب ما يريد، ويحصل على غايته المقصود، ثم التفت للشاب وقال: كيف رأيت؟

قال: رأيت مقامراً لا يغلب.

فقال الشيخ: اتعلم يا بني كيف أعيش؟ ومن أين أقتات؟

قال: لا.

قال: إنَّ المقامرين لا يرضون باللعب معي لأنني أغلبهم على كلِّ حال، وأنا اشتغلت بهذا الفن منذ الحداثة، ولست أحسن اليوم عملاً من الأعمال، فانسدت أبواب الحياة في وجهي، وعجزت عن الكسب، وأصبحت من أفقر الناس، وإذا ربح أحد هؤلاء تصدَّق

عليّ بشيء يسير أو يستخدمني في حاجة، فيبرني بالقليل، وأبوك يا بني كان حكيماً، وأراد أن يعظك، ويريك نتائج طلب الثراء من هذا الباب المُحرّم، فعافت نفسه القمار، وحلف أن لا يلعب مع أحد حتى ولو للتسلية، وبدون عوض.

ثم بعد مدة من الزمن، وغفلة من الدهر، سمع أقرانه وإخوانه يتحدثون عن الخمر وما فيها من محاسن، فتاقت نفسه إليها، ليسلّ نفسه بها عن هموم الدنيا حسبما زعم أولئك الفتيان فهمّ بها وتذكّر وصية المرحوم والده، فأخر ذلك إلى اللّيل وذهب إلى الحانة بعد منتصف اللّيل، فرأى أقواماً صرعى، بين من راث في ثيابه وتقياً على نفسه، وأغمي عليه من شدّة السُّكر ووقع في مستنقع في الطّريق ظنّه بحراً فسبح فيه، وبين من يتحرك حركات المجانين، ويهذي بما يفهم وما لا يفهم ويهاجم المارة، فصاح بلا شعور بالشرطة والإسعاف، وظنّ أنّ هناك وباءاً دخل البلد، أو معارك قد نشبت، ولم يكن رأى مثل ذلك من قبل، فلما حضر الشرطة طلب منهم الإسراع بإحضار سيارات الإسعاف وموظفي الصحة فأخبروه بالأمر وعلموا أنّه لم يختبر الحياة، وعندها فهم الغاية من وصية والده، وأقلع عمّا كان قد همّ به، وحلف على ترك صحبة أولئك الذين كانوا السّبب في غوايته.

ثم بعد مدة أنسته ما كان، وكانت قد كبرت زوجته، ولم يستطع من إضافة غيرها إليها، محافظة على توازن داخلية، فجعل يفكر في ما يشبع فيه غريزته، لأنّ المرأة تفقد القوى الجنسية قريب الأربعين، وهذه القوى تستفحل في الرّجل في ذلك السن، فبقي

يفكر ليلاً ونهاراً، ويكثر التحدّث بهذا الأمر، وأخيراً، بعد أخذ ورد، عزم على الاتصال بذوات الجمال، اللواتي يبعن شرفهنّ بالمال، فجعل يسأل سرّاً وبأسلوب لا يعرف منه السامع غايته جهراً، فعلم أنّ فلانة الشهيرة في جمالها وهندامها وحركاتها هي الوحيدة في ذلك الوقت، فأرسل لها سرّاً مع أمينه، وعيّن لها ليلة خاصة، وبذل لها ما أرادت، وتمّ كلُّ شيء.

فلما كانت تلك الليلة، تذكر وصية والده، فأخر ذهابه إليها إلى قبيل الفجر، ولم تعلم هي بذلك، فبقيت في انتظاره حتّى يثت منه وأنهكها النعاس، فلما نامت واستولى عليها الكرى، جاءها عند الفجر، فدخل عليها فاستمهلته لتصلح من شأنها، ولم يقبل مخافة من أن يباغته الصّباح، فسلمت إليه نفسها، فرآها امرأة شعشاء صفراء ذات نفس كرية الرائحة، لا يبدو عليها شيء من الهيجان الجنسي فاشمأز منها ونفرت نفسه ورأى أنّ ما عنده خير منها، وتمثّل له حينئذ أنّ هذه المرأة قاذورة تستر نفسها بالورد وأنّها مورد لكلّ من عنده مال بدون خصوصية وأنّها إنّما تتودد لا عن حبّ ورغبة بل طمعاً في المال فأقلع عمّا عزم، وتندّم على ما همّ، وأيقن بحكمة أبيه وحمد الله وأثنى عليه، وتوجّه لأعماله وعاش في سعادة وهناء^(١)

كما تُدين تُدان

نقل الشيخ علي أكبر النهاوندي رحمه الله تعالى في كتابه (الجنات العالية) أنه في الوقت الذي كان فيه «رستم» يُعد من الأبطال الشجعان الذين لا يُغلبون في ساحات الوغى ولكنه عندما برز إليه «اسفنديار» استطاع أن ينتصر عليه في عدّة لقاءات جرت بينهما، وقد أصابه بعدد من الجروح البليغة، وكان «اسفنديار» قوياً أمام «رستم» لا تؤثر عليه هجماته. واستشار «رستم» أباه بشأن اتخاذ أفضل السبل للقضاء على خصمه.

فقال له الأب: إنك لا تستطيع الانتصار على «اسفنديار» إلا بطريقة واحدة وهي أن ترميه بسهم ذي شعبتين ويكون هدفك في السهم عينه، فإذا أصبت عينه فسوف تغلب عليه.

وامتثل «رستم» لأمر والده، ورمى «اسفنديار» بسهم أصاب عينه، وأفقده على أثرها النظر وتغلب عليه.

يقولون: إن «اسفنديار» وفي أيام شبابه ضرب أحد الأطفال الأيتام بغصن شجرة حتى أفقده البصر، وقد قام ذلك اليتيم بغرس الغصن الذي ضربه به «اسفنديار» وأفقده بواستطه بصره فصار شجرة، وقد نما في تلك الشجرة غصن ذي فرعين، وفي نزال «رستم» مع

اسفنديار وبعد مشورة رستم مع أبيه وإشارته عليه بأن يرميه بسهم ذي عرفين أخذ يبحث «رستم» عن سهم ذي فرعين فجاء إلى تلك الشجرة فرأى فيها هذا الغصن فقطعه ودببه ووضع في قوسه واستطاع بواسطته أن يُطفىء نور بصر «اسفنديار».

ولذا فقد قالوا:

كم هو رائع سوق جزاء الأعمال حتى يبدو لذي البصيرة أنه
كل يوم هو يوم قيامة^(١).

* نقل الخطيب والواعظ السيد أبو القاسم الشجاعى حفظه الله تعالى بأنه ذات ليلة كان ضيفاً في بيت أحد الأطباء فقال له: سأحكى لك قضية عجيبة شاهدتها أنا بنفسى وهى: أنه عندما كنت طفلاً صادف ذلك الوقت مع قحط ومجاعة أصابت البلاد، فذهب والدى لشراء الحنطة من أحد التجار والذى كان منزله بجوار منزلنا، حيث طلب منه أن يبيعه ثلاثين مناً من الحنطة بقيمة معينة، فقال له تاجر الحنطة زد على القيمة، فزاد أبى، فقال له ثانية، زد ثالثة، وكرّر هذا القول عدّة مرّات.

ومرّت الأيام وذهبت إلى المدرسة وأكملت دراستى الابتدائية والثانوية وذهبت إلى كلية الطب وحصلت على شهادة الدكتوراه فى الطب والجراحة. ويوماً كنت فى غرفة العمليات أساعد أحد الأطباء لإجراء عملية جراحية لرجل أحد المرضى، فسألت زميلى الجراح: من أين أقطع رجل المريض وأشرت له من هنا؟ فقال لى: لا

(١) جزاء الأعمال: ص ١١٢.

أعلى، فقلت له: من هنا؟ فقال: لا أعلى. وهكذا تكرر السؤال عدة مرّات وتكررت الإجابة إلى أن عرفت أنّ نية الدكتور أن أقطع رجل المريض من أعلى الفخذ، وهنا تداعى إلى ذهني ذلك المشهد، مشهد أبي والتاجر والحنطة والقحط، وأخذت الذكرى تضرب في ذهني حتى جرتني الأمر إلى سؤال المريض بعد ذلك عن محل إقامته وعنوانه فتبين لي أمرٌ عجيب وهو أنّ المريض هو نفسه بائع الحنطة الذي اشترى منه والذي تلك الحنطة في تلك الأيام العصبية والذي كان يصر على زيادة القيمة لأضعاف، فاستغربت كثيراً وقلت في نفسي عجباً للدهر كيف دار هكذا، وكان جزاء هذا التاجر أن قُطعت رجله من الأعلى^(١).

عجائب الدهر

يقول السيد علي العلوي رحمه الله: «في يوم الاثنين ١٥ ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ.ق، الساعة السادسة بعد الظهر، كنا وعمنا في مجلس بطهران، ومن بين الأحاديث قال عمنا الكريم السيد زين العابدين حفظه الله، «حدثني الحاج جعفر حلم زاده قال من عجائب الحوادث أنه كان رجل وزوجته ولهما ولد واحد، وفي بعض الأيام باع الرجل داره وقبض الثمن ثم وضعه في منديل وأتى به إلى البيت، ترك المنديل وسط الغرفة وخرج لبعض الحاجة، وكان في الغرفة مصباح نفطي مشتعل، فجاء الولد - وهو صغير السن - وأخذ المنديل ووضع على المصباح فاشتعل المبلغ الموجود فيه بكامله، ولما التفت أم الولد ورأت الحادث فقدت شعورها فرفعت رأساً كان هناك وضربت به رأس الولد وتركته يشخب منه الدم، عند ذلك دخل الرجل الغرفة ورأى ابنه مُضرجاً بدمه، فانهارت أعصابه ورفض زوجته برجله فوقعت وماتت من وقتها، ثم حمل الولد راکضاً إلى طبيب أو مستشفى وفي أثناء الطريق إذ مرّت سيارة سريعة فاصطدمت به وسحقته وابنه في الفور فماتا في مكانها، رحم الله الأب والابن والأم، فما مضت إلا ما يقارب الساعتين إذ لا دار

ولا أهل دار، فإننا لله وإننا إليه راجعون، واعتبروا يا أولي الألباب»^(١)

* ويقول رحمه الله: «حدثني أحد المعاريف - ولا أظنه يكذب في هذا الحديث حيث لا داعي إليها - .

قال: كانت امرأة ممن أعرفها لأنها ساكنة في محلتنا، وكانت متزوجة ولها ثلاثة أولاد، فأنعم الله تعالى عليها بحمل رابع، فأخذت المرأة تنكر على الله نعمته، وتكرر قولها: لماذا حملت؟ لماذا يعمل الله هكذا؟ ضاق صدري من الأولاد، لم استرح من خدمتهم، عسى أن يقطع الله هذا النسل، وهكذا توصل نهارها بالليل وليلها بالنهار وهي لا تفتر من الأقوال المتكررة على إرادة الله تعالى وقد جعلت لسانها وقفاً للشيطان، تقول ما لا يرضي الرب عزراً اسمه، وتكفر بكل نعمه وآلاءه.

فما مضت الليالي والأيام وإلاً وأقدمت على عمل جنائي مؤلم.

وهو الذهاب إلى إحدى المستشفيات لإسقاط الطفل المعصوم. وأماً زوجها المسكين الذي كان يمنعها في كل آن من هذه الجناية المهولة، وهي جناية قتل النفس المحترمة، فلم تسمع منه، ولم تعر له ولكلامه أهمية أبداً.

فمضت إلى ما صممت عليه، وقامت بمساعدة إحدى

الدكتورات بعملية إسقاط الطفل، فالدكتورة عملت لها (الكورتاج) وأخرجت الطفل مقطعاً إرباً إرباً فذهب إلى ربّه مظلوماً محتسباً.

ابتليت بعدها بنزف الدم وجعلت تضع خرقة وترفع خرقة وكلها ملوثة بالدم، وبين آونة وأخرى تغسل ما يجتمع من الخرق.

وفي اليوم الثاني من الواقعة، عندما كانت تغسل، وإذا بطفلها الصغير الذي يبلغ من العمر حوالي السنتين أخذ يبكي من الغرفة، فقالت لولدها الأكبر الذي يبلغ من العمر ما يقارب الأربع سنوات، اذهب لأخيك واسكته فذهب الولد يقول لأخيه لا تبكي، والطفل لا يسكت وإذا بموس حلاقة أبيه هناك، يأخذه ويذبح الطفل ليسكت، ثم خرج من الغرفة وإذا بيده ملطخ بالدم، فسألته أمه ما هذا الدم؟ قال: كلّما أقول له اسكت لا يسكت فجعلته (بخ بخ) يعني ذبحته فقامت المرأة إلى طفلها فرأته مخرجاً بدمه وقد ذبحه أخوه من الوريد إلى الوريد، فأخذته راکضة إلى المستشفى وإذا بالطفل قد مات حين الوصول إلى المستشفى.

وأما الثاني أتى إلى (حوض الماء) ليلعب فوق فيه واختنق.

فجاء دور الأخ الثالث الذي يناهز العشر سنوات.

انصرف من المدرسة متوجهاً إلى البيت، ولما دخل رأى أخاه قد غرق واختنق فذهب إلى الجيران يسئل عن أمه فقالوا له ذهبت إلى المستشفى، فقال إن أخي قد اختنق في (الحوض) فقال الجيران اذهب من فورك إلى أمك نادها فاستعجل الولد راکضاً إلى المستشفى، وإذا بسيارة مسرعة سحقته ومات من وقته وساعته.

فلما رجعت الأم المسكينة ما رأت إلا ولديها قد ماتا، والأول مات على يديها، والحمل أسقطته، فبقيت لوحدها تعيش في حالة جنون.

هذه نتيجة كفران النعمة، ما مضت ساعة إلا وسلب الله عز وجل منها زينة الحياة الدنيا. فاعتبروا يا أولي الألباب^(١)

(١) المصدر السابق: ص ٣٦٦.

لا مهرب من القدر

قال الدكتور لبيب بيضون: روى لي أحدهم قصة حصلت قرب البرلمان في دمشق، موجزها أن ولداً صغيراً عارض سير الباص، فلم يتمالك السائق نفسه أن ضرب الفرامل بعد بضعة أمتار، وهو لا يشك أن الولد قد دهس ومات.

أما الولد، فما كان منه إلا أن نهض من الأرض وفرّ هارباً، وظنّ الناس أن حادثاً مروعاً قد وقع، فاستدعوا الإسعاف والشرطة إلى المكان، وأصبح السائق في حيرة من أمره، ماذا يفعل والناس قد تجمعوا حوله من كل جانب؟!!

ولم يكن من معاونه إلا أن قال له: ليس لنا حيلة غير أن أجعل نفسي أنا المدعوس، فإذا جاءت الشرطة قلت لهم: إنني سقطت ولم يحصل لي أي أذى.

قال السائق: لا بأس، ورمى معاون نفسه على الأرض موهماً الناس أنه هو المصدوم بالباس، وما أن استلقى على الأرض لينفذ الخطة حتى حان أجله ولفظ أنفاسه^(١).

(١) قصص ومواعظ: ص ٣٩.

حال الدنيا

قيل: قدم على معاوية رجل من نجران عمره مائتا سنة، فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟

فقال: سنيات بلاء وسنيات رخاء، يوم فيوم وليلة فليلة، يولد مولود، ويهلك هالك، فلولا المولود لباد الخلق، ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها.

فقال له: سل ما شئت.

قال: عمر مضى فترده، وأجل قد حضر فتدفعه.

قال: لا أملك ذلك.

فقال: لا حاجة لي إليك^(١)

(١) جلاء الكروب: ص ١٨٤.

جزاء من أشار بالظلم

يقال: إنَّه جاء رجل إلى آخر وقال له: إنِّي ضربت زوجتي، فماتت من أثر الصدمة، بدون اختيار منِّي، فماذا أفعل لأبرأ عند النَّاس وعند أهلها من هذه المشكلة؟

قال له ذلك الرجل: إنَّ الأمر سهل، قف على باب دارك فإذا رأيت شاباً جميلاً المنظر، ادعه إلى دارك بحجَّة، ثم اقتل الشاب فجأةً وضع الشاب ملاصقاً لزوجتك، ثم اذهب إلى أهل الزوجة وائت بهم، وقل لهم: إنِّي دخلت الدار وإذا بي أرى زوجتي والشاب في حالة ممارسة الجنس ولذا قتلتهما، ويكون ذلك عذاراً مقبولاً عند أهلها وعند النَّاس.

عمل الرجل بنصيحة الشخص المذكور، وبعد أن قتل الشاب الذي دعاه إلى داره ذهب وأخبر أهل الزوجة فجاءوا وأعذروه في قتله لهما، وازدحم الناس كلَّ يأتي ويذهب إلى دار الرجل، ليسألوه عن القصة.

وفي ذلك اليوم فقد الشخص الناصح، ولده وأخذ يفحص عنه هنا وهناك بلا جدوى، إذ لم يظفر له بعين ولا أثر، فجاء إلى هذا الرجل، وقال: هل رأيت ولدي؟

قال الرجل: لا .

قال الناصح: وهل عملت بما قلت لك في أمر زوجتك؟

قال الرجل: نعم .

قال الشخص: أخاف أن يكون ذلك الشاب، الذي قتله هو ولدي .

قال الرجل: لا أعلم .

قال الشخص: دعني آتي إلى المقتول لأراه .

فأذن الرجل للناصر، فإذا به يرى أن الشاب المقتول هو ولده بالذات فأخذ في البكاء والنحيب، قائلاً: إنَّ المقتول هو ولدي الوحيد، وكان كلِّ أملي من الدنيا .

وهكذا أخذ الظالم جزاءه .

وانتشر الخبر بين الناس، وأنَّ الرجل قتل زوجته واحتال بقتل شاب تخلصاً من الجريمة، حتى وصل الأمر إلى السلطة فأحضره، وأخيراً اعترف بالأمر، وأنه هو الذي قتل الزوجة وقتل الشاب، فأمرت السلطة بقتله، ولقي جزاءه في الدنيا مع الفضيحة والعار .

فإذا رأى الإنسان شخصاً أو جماعة أو سلطة تظلم ولا تلاقي جزاءها، فليعلم أنه سبحانه ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وذلك لمصلحة وحكمة... وفي الغالب يلاقي الظالم جزاءه في الدنيا، ويفتضح قبل الآخرة أيضاً...

وإن أمهل الله الظالم فربّما ولعلّ...

وفي هذه القصة درس آخر، وهو أن الإنسان يجب عليه أن لا يشير على الناس بالظلم، فإنَّ المشير حينئذٍ يكون أحد الظالمين أيضاً، فيأخذه وبال إشارته.

ومن أشار على أمر بغير هدى

يأتيه ما قال كفلاً غير منتقض^(١)

* ذكر أحد الخطباء أن شاباً كان يعد فتاة بالزواج وكانت تنتظر وعده - مع كثرة من يتقدم إليها - وذات يوم قالت له: احسم أمر الزواج، فقال لها: غداً تذهبين إلى الأوتيل المعين وهناك تجدين أمي وتتكلمين معها، وكان الشاب قد اتفق مع أصدقاءه على أن يكونوا في ذلك المكان ليعتدوا عليها، وفي الوقت المعين مرض شقيق الفتاة، فاتصلت - عبر الهاتف - بأخت الشاب، وقالت لها: اذهبي إلى الأوتيل وقدمي اعتذاراً لأمك عني لأن أخي مريض، فذهبت أخت الشاب إلى المكان المذكور ودخلت الغرفة وهي لا تعلم بمكيده أخيها، وإذا بالشباب يعتدون عليها، وبعد قليل جاء الشاب الذي دبر الحيلة وإذا به يُفاجأ بأن الفتاة هي أخته، فما كان منه إلا أن قتل نفسه، وهكذا كان جزاء المكر ﴿...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

إنَّ رَبِّكَ لَبِالْمُرْصَادِ

كان رجل من أهل المدينة يذهب إلى بعض الأرياف، لشراء الشاة والدهن والصوف وما أشبهه، وكان له عميل في الريف يرد عليه فيشتري له ما يريد.

وذات مرّة أخذ معه مالاً ضخماً وقصد الريف ونزل عند عميله وذكر له حاجاته، وأنه يريد اشتراء أشياء بمبلغ كذا..

قال التاجر: وبمجرد أن ذكرت للعميل كمية المال الذي معي، وإذا بي أرى آثار التغيير في وجه العميل، فعلمت أنه أراد بي سوءاً، فندمت، ولكن لا ينفع الندم.

نعم: استر ذهبك وذهابك ومذهبك، حتى عن الأصدقاء يقول الشاعر:

احذر عدوك مرّة

واحذر صديقك ألف مرّة

فلربّما انقلب الصديق

فكان أعلم بالمضرة

قال التاجر: ولكن لم يكن لي ملجأ إلجأ إليه في تلك اللّيلة، وبعد صرف الطعام فرش لي صاحب البيت في غرفة من غرف

البيت، وذهب هو زوجته إلى غرفة أخرى، لكنَّ النوم لم يزر عيني من القلق، وأخيراً قرَّرت أن أخرج من غرفتي وأختفي في بعض زوايا البيت، وهكذا فعلت.

فخرجت.. وحيث لم أجد مكاناً للاختفاء إلاَّ الإسطبل اختفيت فيه، وأخفيت نفسي إلى رقبتي في التبن الذي خزن في الاسطبل.. لكن عيني كانت تحدق باتجاه الغرفة.

وإذا بي أرى نصف الليل أنَّ شخصاً دخل الدار وذهب إلى غرفتي.. ولم أعرف من هو ذلك الشخص؟

وبعد مدَّة رأيت.. في ضوء القمر.. أنَّ صاحب البيت وزوجته قاما وهما يتهامسان حتَّى دخلا الغرفة، وعلمت أنَّهما يريدان بي شراً، ولم تمض مدَّة إلاَّ ورأيت الزوجين أسرعاً وأضاءا مصباحاً نفطياً ودخلا الغرفة، ثمَّ رأيتهما يخرجان ويسحبان جثةَ إنسان ملفوف إلى السرداب.

قال الرجل: ولَمَّا دخلا السرداب قمت من مكاني وهربت من القرية قاصداً البلد، ومشيت حتَّى وصلت البلد بكلِّ خوف وصعوبة، وأخبرت الشرطة بما جرى.

فجاءت مفرزة من الشرطة معي إلى القرية، وألقوا القبض على الزوجين، ودخلنا السرداب وحفرناه، وإذا بنا بجثة الرجل المذبوح، وبعد التحقيق تبين أنَّ المذبوح ولد صاحب البيت، وأنَّه كان خارجاً لبعض شؤونه ولَمَّا دخل الدار نام في تلك الغرفة، والزوجان ظناً أنَّه

التاجر فقتلاه - في الظلام - وبعد ما تبين الأمر لهما دفناه خوف
الفضيحة... ولكن كان ربك بالمرصاد^(١)

* ذكر أحد الخطباء أن بعض الطلاب في الجامعة الطبية
أرادوا أن يأخذوا جماجم من المقبرة كي يعملوا الأبحاث
والتجارب، فذهبوا إلى إحدى المقابر وطلبوا من متولي المقبرة أن
يعطيهم بعض الجماجم فرفض، وبعد أن أعطوه الرشوة لبى طلبهم،
وفتح قبراً وأخرج منه جمجمة، وعندما نظروا إلى الجمجمة وجدوا
فيها مسماراً فتعجبوا من ذلك، فصاروا يحققوا في الأمر بمساعدة
قوات الأمن حتى وصلوا إلى الحقيقة التالية: وهي أن زوجة الرجل
كانت تبغضه، وبينما هو نائم وإذا بها تعمد إلى مسمار وتغرزه في
رأسه وتمحو آثار الدماء حتى ظنَّ الناس أنه مات حتف أنفه، وظنَّت
المرأة أن الجريمة قد أخفيت، ولكنها لم تدرك بأن الله بالمرصاد.

ندم الموت

نظر عبد الملك بن مروان - وهو في قصره - إلى قصّار يضرب بالثوب المغسلة، فقال: يا ليتني كنت قصّاراً ولم أتقلد الخلافة فبلغ كلامه أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمنى ما هم فيه^(١).

‡ قال الشاعر:

إذا وجد الشيخ في نفسه
نشاطاً فذلك موت خفي
ألست ترى إنّ ضوء السراج
له لهب قبل أن ينطفئ^(٢)

(١) كشكول البهاني: ج ١، ص ٩٣.

(٢) أذكياء الأطباء: ص ٢٩٨.

القاتل يُقتل

يُحكى عن محمد بن سهل قوله: «في أيام حكم «المنتصر» وقع نظري ذات يوم على المُصلَّى والبساط الذي فرشوه تحت «المنتصر» ورأيت رسوماً لسلاطين وخطوطاً فارسية قد نُقشت على أطراف ذلك البساط، وكنت أجيد قراءة الفارسية، فرأيت رسماً لسُلطان يلبس تاجاً وكأنما كان يتكلم وقرأت ما كتب عنده ونصّه: «هذا رسم شيرويه قتل أبيه أبرويز الذي حكم ستة أشهر» وبعد تلك الصورة رأيت رسوماً لسلاطين آخرين حتى انتهى نظري إلى الجهة اليسرى من المُصلَّى فرأيت رسماً لسُلطان كان مكتوباً عنده: «هذا رسم يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكانت مدة حكمه ستة أشهر».

عجبت لهذه المصادفة من وجود هذين الرسمين على الجهتين اليمنى واليسرى من بساط المنتصر الذي هو بدوره قاتل أبيه، ومرّ في خاطري تساؤل: ترى هل ستكون مدة حكم المنتصر ستة أشهر أيضاً؟ وقد وقع ذلك فعلاً، فقد عاش بعد قتل أبيه المتوكل ستة أشهر فقط»^(١)

(١) تمة منتهى الآمال: ص ٣٣٣.

عاقبة الغرور

جاء في «مروج الذهب» أنّ الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد كانت لها في بيت المهدي مرتبة رفيعة ومنزلة منيعة، وكانت أمهات أولاد الخلفاء وبنات بني هاشم جميعهن في خدمتها، ومن بينهن زينب بنت سليمان بن علي وكانت أعلاهن قرابة، وكان المهدي يفتأ يقول للخيزران: إنّ زينب عجوز عالمة فاكتسبي الآداب والأخلاق منها.

ذات يوم قدمت خادمة تقول: إنّ بالبواب امرأة ذات حسن وجمال ترتدي ثياباً عتيقة تطلب الإذن بالدخول، وتمتنع عن ذكر اسمها، قالت الخيزران: أدخلها. فلما دخلت إذا هي بامرأة في غاية الكمال والجمال ذات لسان فصيح، وبيان مليح، ولباس عتيق، فقالوا من تكونين؟ قالت: أنا مزينة امرأة مروان بن محمد، وقد انتهت بي الأيام إلى ما أنا عليه، أما والله، إنّ هذه الثياب التي عليّ ليست لي، وإنّما هي عارية، وها أنذا قد وفدت إليكم علني أفوز بالدخول في حجابكم.

أخذت الخيزران لهذه الحال رقة، وغلبها البكاء، ثم قالت لمزينة: أتذكرين يوم كنت تجلسين على هذا البساط في (حرّان) وقد

دخلت عليك أتمس إعطائي جثة إبراهيم الإمام كي ندفنها، فما كان منك إلا أن نهرتني وقلت لي: وما دخل النساء بعمل الرجال؟ قالت مزينة: إن ذلك السوء هو ما أوصلنا إلى ما نحن عليه الآن، فانقلبت أئامنا سوداء، قالت هذا، وخرجت وهي تجهش، وتتلو الآية الكريمة:

﴿...مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [التحل: ١١٢]^(١)

(١) تنمة منتهى الآمال: ص ٢١٣.

لكل شيء عاقبة وجزاء

قال الخليفة المنصور لعمر بن عبيد: عطني.

قال: بما رأيت أم بما سمعت؟

قال: بما رأيت.

قال: رأيت عمر بن عبد العزيز وقد مات فخلف أحد عشر ابناً، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كُفِّنَ منها بخمسة دنانير، واشتري موضع قبره بدينارين، وأصاب كل واحد من ولده دون الدينار.

ثم رأيت هشام بن عبد الملك وقد مات وخلف عشرة ذكور، فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار..

ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله.

ورأيت رجلاً من ولد هشام يسأل الناس ليتصدقوا عليه^(١).

(١) قصص ومواعظ: ص ٣٤.

مصير القاهر العباسي

روي عن رجل أنه قال: كنت أصلي في مسجد المنصوري ببغداد، فإذا بي أرى رجلاً ضريباً عليه جبة عتيقة رثة، وقد بلغت من الرثاثة والقدم حداً زال معه وجهها حتى لم يتبق منها سوى بطانتها مع قدر من القطن عليها. وكان يقول:

أيها الناس، تصدّقوا عليّ، قد كنت بالأمس أمير المؤمنين، وأنا اليوم من فقراء المسلمين.

فسألت عمّن يكون قبل لي: إنه القاهر بالله العباسي!

وهذه القضية تكفي للعاقل الفاهم محلاً للاعتبار.

«نعوذ بالله من نكبات الزمان»^(١)

هكذا الغرور يفعل بأهله

حكى أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو زوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية، فوقف سائل بيابه، فخرج إليه وانتهره، فذهب، فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته، وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر.

فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية، وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: أدفعي إليه هذه الدجاجة.

فخرجت بها إليه فإذا زوجها الأول فدفعت إليه الدجاجة ورجعت إليه وهي باكية.

فسألها زوجها عن بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها، وذكر له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول.

فقال لها: أنا والله ذلك السائل.

نهاية حياة الإنسان

وفي (الأغاني): - دخل أرطاة بن سُهَيْبَة على عبد الملك، فقال له: كيف حالك؟ - وقد كان أسنَّ - فقال: ضعفت أوصالي، وقلَّ مالي، وقلَّ منِّي ما كنت أحبُّ كثرتَه، وكثر منِّي ما كنت أحبُّ قلَّتَه، قال: فكيف أنت في شِعْرِكَ؟ فقال: والله ما أطرب، ولا أغضب، ولا أرغب، ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، وعلى أني القاتل:

رأيتُ المرءَ تَأْكُلُهُ اللَّيَالِي
كَأَكُلُ الْأَرْضَ سَاقِطَةُ الْحَدِيدِ
وَمَا تُبْغِي الْمَنِيَّةُ حِينَ تَأْتِي
عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مَزِيدِ
وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتُكْرَهُ حَتَّى
تُؤَفِّي نَذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ
فارتاع عبد الملك ثم قال: بل تُؤَفِّي نذرها بك ويملك! ما لي ولك.
فقال: لا تُرْعِ، فَإِنَّمَا عَنَيْتُ نَفْسِي، وَكَانَ أَرْطَاةُ أَيْضًا يُكْنَى أَبُو الْوَلِيدِ،
فَسَكَنَ عَبْدُ الْمَلِكِ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ بِأَكْبِيَا ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ،
لِتَلْمَنَنَّ بِي^(١).

(١) بهج الصباغة: ج ١١، ص ١١٨.

رجل من البصرة

في (عيون القتيبي): سأل زياد رجلاً بالبصرة: أين منزلك؟ قال
واسط، قال: مالك من الولد؟ قال: تسعة.

فلما قام قيل لزياد: كذبتك في كل ما سألته؛ ما له إلا ابن
ومنزله بالبصرة.

فلما عاد إليه قال له زياد: قلت لي تسعة ومنزلك بواسط؟
قال: نعم. قال: خبرت بغير ذلك قال: صدقت وصدقوك؛ دفنت
تسعة بنين فهم لي، ولي اليوم ابن واحد ولست أدري أيكون لي أم
لا؟ فأما منزلي فألى جانب الجبان بين أهل الدنيا وأهل الآخرة،
فأي منزل أوسط منه قال: صدقت، وقال الشاعر:

لا يبعد الله أقواماً لنا ذهبوا

أفناهم حدثان الدهر والأمد

نمدّهم كل يوم من بقيتنا

ولا يؤوب إلينا منهم أحد^(١)

رجل المقابر

* قالوا: مرَّ الإسكندر بمدينة قد ملكها سبعة من بيت واحد وبادوا، فسأل: هل بقي من نسلهم أحد؟ قالوا: واحد يلزم المقابر.

فدعا به فقال له: لِمَ تلزم المقابر؟

قال: أردت أن أُميّز عظام المملوك من عظام غيرهم فوجدتها

سواء.

قال: هل لك أن تلزمني حتى أنيلك بُغيتك؟

قال: لو علمت أنك تقدر على ذلك للزمتك.

قال: وما بُغيتك؟

قال: حياة لا موت معها.

قال: لن أقدر على ذلك.

قال: فدعني أطلبه ممَّن يقدر عليه.

تبدل الأيام

وقالوا: لَمَّا فَتَحَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَيْنَ التَّمْرِ، سَأَلَ عَنْ بِنْتِ النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ فَذُلَّ عَلَيْهَا فَأَتَاهَا - وَكَانَتْ عَمِيَاءَ - فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا، فَقَالَتْ: لَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ، وَمَا شَيْءٌ يَدْبُ تَحْتَ الْخُورْنَقِ إِلَّا تَحْتَ أَيْدِينَا، ثُمَّ غَرَبَتْ وَقَدْ رَحِمْنَا كُلَّ مَنْ يَدُورُ بِهِ وَمَا بَيْتٌ دَخَلَتْهُ خَبْرَةٌ إِلَّا وَدَخَلَتْهُ عَبْرَةٌ، ثُمَّ قَالَتْ:

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرَ أَمَرْنَا

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فَأَفْ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا

تَقْلُبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصْرَفُ

فَقَالَ قَائِلٌ: قَاتِلِ اللَّهُ عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ! لَكُنَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا حِينَ

يَقُولُ:

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَرْعَةً فَاحْذَرْنَهَا

لَا تَبِيْتَنَّ قَدْ أَمْنْتَ الدَّهْرَ

قَدْ يَسْبِيْتُ الْفَتَى مَعَاْفَى فَيْرِدَى

وَلَقَدْ كَانَ أَمْنًا مَسْرُورًا^(١)

(١) المصدر السابق: ص ٢٢٩.

ضعف الإنسان

وفي (تاريخ بغداد): قال محمد الواثقى: كنت أنا وجماعة من الموالى الأولياء والخدم بين يدي الواثق في علته التي مات فيها، إذ لحقه غشية فما شككنا أنه مات.

فقال بعضنا لبعض: تقدّموا فاعرفوا خبره فما جسر أحد منهم يتقدّم! فتقدّمت أنا فلما صرت عند رأسه وأردت أن أضع يدي على أنفه، اعتبر نفسه لحقته إفاقة؛ ففتح عينيه فكادت أموت فزعاً من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعت إلى خلف وتعلّقت قبعة سيفي بعتبة المجلس، وعثرت به، فاتكأت عليه فاندقّ سيفي، وكاد أن يدخل في لحمي ويجرحني، وخرجت فاستدعيت سيفاً ومنطقة، فلبستها وجئت حتّى وقفت في مرتبتي ساعة.

فتلف الواثق تلفاً لم نشك فيه، فتقدّمت فشدت لحييه وغمضته وسجّيته ووجّهته إلى القبلة، وجاء الفرّاشون فأخذوا ما تحته في المجلس ليردّوه الخزائن؛ لأنّ جميعه مثبت عليهم وترك وحده في البيت!

وقال لي ابن أبي داود القاضي: إننا نريد أن نتشاغل بعقد البيعة، ولا بدّ أن يكون أحد يحفظ الميث، وأحبّ أن أكون لأنني

كنت من أخصّهم به في حياته، اصطنعني حتى لَقَّبني الواثقى باسمه،
 فقلت: دَعُونِي وَاَمْضُوا فَرَدَدْتُ بِأَبِ الْمَجْلِسِ، وَجَلَسْتُ فِي الصَّحْنِ
 عِنْدَ الْبَابِ أَحْفَظُهُ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ فِي بَسْتَانٍ عَظِيمٍ أَجْرَدِيَّةٍ، وَهُوَ بَيْنَ
 بَسَاتِينَ، فَحَسَسْتُ بَعْدَ سَاعَةٍ فِي الْبَيْتِ بِحَرَكَةِ أَفْزَعْتَنِي؛ فَدَخَلْتُ فَإِذَا
 بِجَرَذُونَ مِنْ دَوَابِّ الْبَسْتَانِ قَدْ جَاءَ حَتَّى اسْتَلَّ عَيْنَ الْوَاقِثِ فَأَكَلَهَا
 فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، الْعَيْنُ الَّتِي فَتَحَهَا مِنْذُ سَاعَةٍ، فَاَنْدَقَ سَيْفِي هَيْبَةً
 لَهَا، صَارَتْ طَعْمَةً لِدَابَّةٍ ضَعِيفَةٍ^(١).

خيانة... وعقوق

وفي (الطبري): انَّ «سابور بن اردشير» أقام على حصن «ضيزن» أربع سنين لا يقدر على هدمه، ثمَّ أنَّ ابنة للضيزن يقال لها «النضيرة» عرقت - أي حاضت - فأخرجت إلى ربض المدينة - أي ما حولها - وكذلك كان يفعل بالنساء إذا عركن - وكانت من أجمل نساء زمانها، وكان «سابور» من أجمل أهل زمانه، فرأى كلَّ واحد منهما صاحبه فعشقته وعشقتها.

فأرسلت إليه ما تجعل لي إن دلتك على ما تهدم به سور هذه المدينة وتقتل أبي؟ قال: أحكمك وأرفعك على نسائي وأحصك بنفسي دونهنَّ.

قالت: تكتب في رجل حمامة ورقاء مطوّقة بحيض جارية بكر زرقاء، ثمَّ ترسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتداعى المدينة، وكان ذلك طلسم المدينة لا يهدمها إلا هذا، ففعل وتأهب لهم، وقالت: أنا أسقي الحرس الخمر فإذا صرعوا فاقتلهم، وادخل المدينة.

ففعل وتداعت المدينة ففتحها عنوة، وقتل الضيزن وأباد أفناء

قضاة الذين كانوا مع الضيزن، وأخرب المدينة، واحتمل النضيرة ابنة ضيزن فأعرس بها بعين التمر.

فذكر أنها لم تزل ليلتها تضور من خشونة فرشها وهي من حرير محشوة، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا ورقة آس ملتزقة بعنكة - أي طي في البطن من السمن - من عنكها قد أثرت فيها وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها؛ فقال لها سابور ويحك! بأي شيء كان يغذوك أبوك؟ قالت: بالزبد والتمخ وشهد الأبقار من النحل وصفو الخمر، قال: وأبيك! أنا أحدث عهداً بك من أبيك الذي غداك بما تذكرين، فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً ثم عصب عذارها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعاً^(١).

(١) المصدر السابق: ص ٢٥٢.

الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِأَحَدٍ

وفي (الأغاني): نزل «يزيد بن عبد الملك» ببيت رأس بالشام ومعه حَبَّابَةٌ، فقال: زعموا أَنَّهُ لَا تَصْفُو لِأَحَدٍ عَيْشَةً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا يَكْذُرُهَا شَيْءٌ عَلَيْهِ، وَسَأْجَرُّبُ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ لِمَنْ مَعَهُ: إِذَا كَانَ غَدًا، فَلَا تَخْبِرُونِي بِشَيْءٍ وَلَا تَأْتُونِي بِكِتَابٍ، وَخَلَا هُوَ وَحَبَّابَةٌ، فَأَتِيَا بِمَا يَأْكُلَانِ فَأَكَلَتْ رِمَانَةً، فَشَرَقَتْ بِحَبَّةٍ مِنْهَا فَمَاتَتْ، فَأَقَامَ لَا يَدْفِنُهَا ثَلَاثًا! حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَأَنْتَنَتْ وَهُوَ يَشْمُهَا وَيُرَشِّفُهَا، فَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ ذُوو قَرَابَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَعَابُوا عَلَيْهِ مَا يَصْنَعُ، وَقَالُوا: قَدْ صَارَتْ جَيْفَةً بَيْنَ يَدَيْكَ! فَأَذِنَ لَهُمْ فِي غَسْلِهَا وَدَفْنِهَا، وَأَمَرَ فَأُخْرِجَتْ فِي نِطْعٍ، وَخَرَجَ مَعَهَا لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى جَلَسَ قَبْرَهَا؛ فَلَمَّا دَفَنْتَ قَالَ: أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ كَثِيرٌ:

فَإِنْ يَسَلُ عَنْكَ الْقَلْبُ أَوْ يَدَعُ الصَّبِيَّ

فَبِالْيَأْسِ يَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ

فَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فِيهِ قَائِلٌ

مَنْ أَجْلَكَ هَذَا هَامَةَ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

فَمَا قَامَ إِلَّا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى دُفِنَ إِلَى جَنْبِهَا. وَرَوَى الْمَدَائِنِيُّ: أَنَّهُ اشْتَقَ إِلَيْهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ دَفْنِهَا، فَقَالَ: لَا بَدَّ أَنْ

تُنَبِّشُ؛ فَنُبِّشَتْ وَكُشِفَ لَهَا عَنْ وَجْهِهَا وَقَدْ تَغَيَّرَ تَغْيَرًا قَبِيحًا فَقِيلَ لَهَا: اتَّقِ اللَّهَ، أَلَا تَرَى كَيْفَ صَارَتْ؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتَهَا أَحْسَنَ مِنْهَا الْيَوْمَ، أَخْرَجُوهَا، فَجَاءَهُ مُسْلِمَةٌ وَوَجَّهَتْ أَهْلَهَا، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أزالوه عَنْ ذَلِكَ وَدَفَنُوهَا، فَانصَرَفَ فَكَمِدَ كَمْدًا شَدِيدًا حَتَّى مَاتَ، فَدَفِنَ إِلَى جَنْبِهَا^(١).

الخاتمة

في ذكر الكتب المشتملة
على المواعظ والعبر

كتب المواعظ والعبير

من الضروري مطالعة كتب المواعظ والحكم، ومما ينفع في هذا المجال:

- ١ - كلمة الله إعداد السيد حسن الشيرازي.
- ٢ - نهج البلاغة جمع الشريف الرضي.
- ٣ - تحف العقول فيما ورد عن آل الرسول للشيخ ابن شعبة الحرّاني.
- ٤ - سفينة البحار للشيخ عبّاس القمي.
- ٥ - روضة الواعظين للنيسابوري.
- ٦ - آداب النفس للسيد محمد العيناثي.
- ٧ - ضالة المؤمن للشيخ بدر الدين الصائغ.
- ٨ - فوائد المشاهد للشيخ جعفر الشوشتري.
- ٩ - أسرار الصلاة للشيخ الملكي التبريزي.
- ١٠ - قصص المثوي.

١١ - الكتب المشتملة على سيرة العلماء ومن ذلك: «روضات الجنات» للسيد الخوانساري، و«قصص وخواطر» للشيخ البحراني و«أذكىاء العلماء» للحكيمي.

١٢ - الأربعون حديثاً للسيد الخميني.

وكان الفراغ من إعداد الكتاب في شهر ربيع الأول
شهر النور والرحمة لسنة ألف وأربعمائة وخمس وعشرين
من الهجرة النبوية، وذلك في بلدة عديسة
من قُرى جبل عامل

بقلم

حسين نجيب محمد

الموسوي العاملي

أهم مصادر الكتاب

- ١ - آداب النفس : السيد محمد العيناوي .
- ٢ - أذكىاء العلماء - الشيخ محمد رضا الحكيمي - مؤسسة الأعلمي .
- ٣ - أسرار الصلاة - الشيخ التبريزي - دار الأضواء .
- ٤ - الأخلاق والآداب - هيئة محمد الأمين .
- ٥ - الأربعون حديثاً - السيد الخميني - دار التعارف .
- ٦ - المواعظ العددية - السيد محمد العيناوي .
- ٧ - بهج الصباغة - الشيخ محمد تقي التستري - دار أمير .
- ٨ - تحف العقول - الشيخ الحرّاني - مؤسسة الأعلمي .
- ٩ - حجر وطن - الشيخ محمد تقي الفقيه - دار الأضواء .
- ١٠ - جزاء الأعمال - مجتبي بلوجيك - دار النبلاء .
- ١١ - جلاء الكروب - الشيخ عبد الصاحب المصطفى .
- ١٢ - خلق الأعلام - محمد جواد البستاني - انتشارات مدين .
- ١٣ - روضات الجنات - السيد الخوانساري - الدار الإسلامية .

- ١٤ - سفينة البحار - الشيخ عباس القمي - دار الأسوة.
- ١٥ - ضالة المؤمن - الشيخ بدر الدين الصائغ - مؤسسة الصائغ.
- ١٦ - عبر من التاريخ - باقر المحسنى - دار المحجة البيضاء.
- ١٧ - قصص ومواعظ - د. لبيب بيضون - مطبعة ابن زيدون.
- ١٨ - قصص وخواطر - الشيخ البحراني - دار الخليج العربي.
- ١٩ - كلمة الله - السيد حسن الشيرازي - مؤسسة الوفاء.
- ٢٠ - منتهى الآمال - الشيخ عباس القمي - الدار الإسلامية.
- ٢١ - ميزان الحكمة - محمد الري شهري - الدار الإسلامية.

الفهرس

المقدمة ٧

الفصل الأول المواعظ والحكم

المواعظ	١١
أهمية الموعظة	١١
دور الموعظة	١٢
حياة القلوب	١٢
يقظة من الغفلة	١٤
في كل شيء موعظة	١٥
أقسام الموعظة	١٥
مجالس الوعظ	١٧
تأثير الموعظة	١٨
تأثير الواعظ	١٩
نصيحة للخطباء وطلاب العلوم الدينية	٢١
من مواعظ الله تعالى	٢٥
موعظة جبرائيل (ع)	٣١
موعظة النبي نوح (ع)	٣٢
موعظة النبي يوسف (ع) وزليخا	٣٣

٣٤. موعظة النبي زكريا ويحيى (ع)
٣٨. موعظة النبي داود (ع)
٣٩. موعظة من عصر النبي سليمان (ع)
٤٠. من مواعظ السيد المسيح (ع)
٤٣. من مواعظ لقمان الحكيم
٤٥. من مواعظ النبي محمد (ص)
٥٢. من مواعظ الإمام علي (ع)
٧٢. من مواعظ الإمام الحسن (ع)
٧٥. من مواعظ الإمام الحسين (ع)
٧٧. من مواعظ الإمام زين العابدين (ع)
٨٥. من مواعظ الإمام محمد الباقر (ع)
٨٨. من مواعظ الإمام الصادق (ع)
٩٢. من مواعظ الإمام موسى الكاظم (ع)
٩٣. من مواعظ الإمام علي الرضا (ع)
٩٥. من مواعظ الإمام علي الهادي (ع)
٩٧. من مواعظ الإمام محمد الجواد (ع)
٩٨. من مواعظ الإمام الحسن العسكري (ع)
١٠٠. من مواعظ أبي ذر الغفاري
١٠٢. قصة سلمان الفارسي
١١١. البهلول بن عمرو الكوفي
١١٤. قصص التوابين: توبة قوم يونس (ع)
١١٦. توبة شعوانة
١١٩. توبة الفضيل بن عياض

٣١١	الفهرس
١٢٠	توبة الشباب
١٢١	لقد سقط منك شيء ثمين
١٢٢	توبة مالك
١٢٤	توبة سائق
١٢٧	محبة الله تعالى
١٣٠	توحيد الله تعالى
١٣٣	موعظ الشيخ التبريزي رحمه الله
١٣٦	من موعظ الشيخ الكفعمي
١٤٢	من موعظ الشيخ محمد تقي بهجت
١٥٠	موعظة السيد علي بن طاووس رحمه الله
١٥٢	موعظة الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء قدس سره
١٥٤	موعظة الميرزا محمد تقي الشيرازي
١٥٥	موعظ الشيخ محمد علي الخراساني رحمه الله
١٥٩	موعظة السيد مهدي الشيرازي قدس سره
١٦١	موعظة الشيخ عبد الله التستري رحمه الله
١٦٢	شاب يخاف من عذاب النار
١٦٤	يوم القيامة
١٦٧	اليوم الأخير في الحياة
١٧١	الكشف عن عذاب القبر
١٧٣	القيام لله والتفكر بالموت
١٧٨	الله أقرب إلينا من حبل الوريد
١٨١	الخوف من الله تعالى
١٨٥	قصة السيد هاشم الخطاب وحقوق الناس

٣١٢ مواعظ وعبر

- ١٨٨ حقوق الناس ومنع الزواج
- ١٩٢ موعظة السيد اليزدي في حساب يوم القيامة
- ١٩٧ الظاهر والباطن
- ١٩٨ ميت يعود إلى الحياة
- ٢٠١ موعظة لهارون الرشيد
- ٢٠٢ كل القصور هي خانات
- ٢٠٤ ماذا ينتفع الفقراء من قصور الملوك؟
- ٢٠٦ الملك يتعظ من المجنون
- ٢٠٨ الملاً السبزواري
- ٢١٠ الحرص، لماذا؟
- ٢١٢ قالوا في الإسكندر
- ٢١٤ اليقظة من الغفلة
- ٢١٦ شقيق البلخي وهارون
- ٢١٨ معاملة الأم
- ٢١٩ الزاد إلى عالم الآخرة
- ٢٢١ ما كُتب على القبور

الفصل الثاني

عبر من التاريخ والحياة

- ٢٢٥ العبرة
- ٢٢٥ معنى العبرة
- ٢٢٥ حقيقة العبرة
- ٢٢٩ دور العبرة
- ٢٣٠ الاعتبار في كل الأحوال

٣١٣	الفهرس
٢٣١	بماذا نعتبر؟
٢٤٣	كلام جبرئيل
٢٤٥	كلام عزرائيل
٢٤٧	مع الوالد
٢٤٩	صاحب كتاب «المُعتبر»
٢٥٠	كل من عليها فان
٢٥١	الشيخ مغنية
٢٥٣	حال الإنسان مع الدُّنيا
٢٥٤	دعوة المظلوم
٢٥٧	آل خاتون
٢٥٩	عاقبة الاستهزاء بعلماء الدين
٢٦٢	الالتزام بأحكام الدين
٢٦٤	دعاء المضطر
٢٦٥	ثلاث نصائح في قصة
٢٦٧	الخمور والفجور والقمار
٢٧١	كما تُدين تُدان
٢٧٤	عجائب الدَّهر
٢٧٨	لا مهرب من القدر
٢٧٩	حال الدُّنيا
٢٨٠	جزاء من أشار بالظلم
٢٨٣	إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ
٢٨٦	ندم الموت
٢٨٧	القاتل يُقتل

٣١٤ مواعظ وعبر

- ٢٨٨ عاقبة الغرور
- ٢٩٠ لكل شيء عاقبة وجزاء
- ٢٩١ مصير القاهر العباسي
- ٢٩٢ هكذا الغرور يفعل بأهله
- ٢٩٣ نهاية حياة الإنسان
- ٢٩٤ رجل من البصرة
- ٢٩٥ رجل المقابر
- ٢٩٦ تبدل الأيام
- ٢٩٧ ضعف الإنسان
- ٢٩٩ خيانة... وعقوق
- ٣٠١ الدنيا لا تصفو لأحد

الخاتمة

في ذكر الكتب المشتملة على المواعظ والعبر

- ٣٠٥ كتب المواعظ والعبر
- ٣٠٧ أهم مصادر الكتاب
- ٣٠٩ الفهرس

صدر للمؤلف

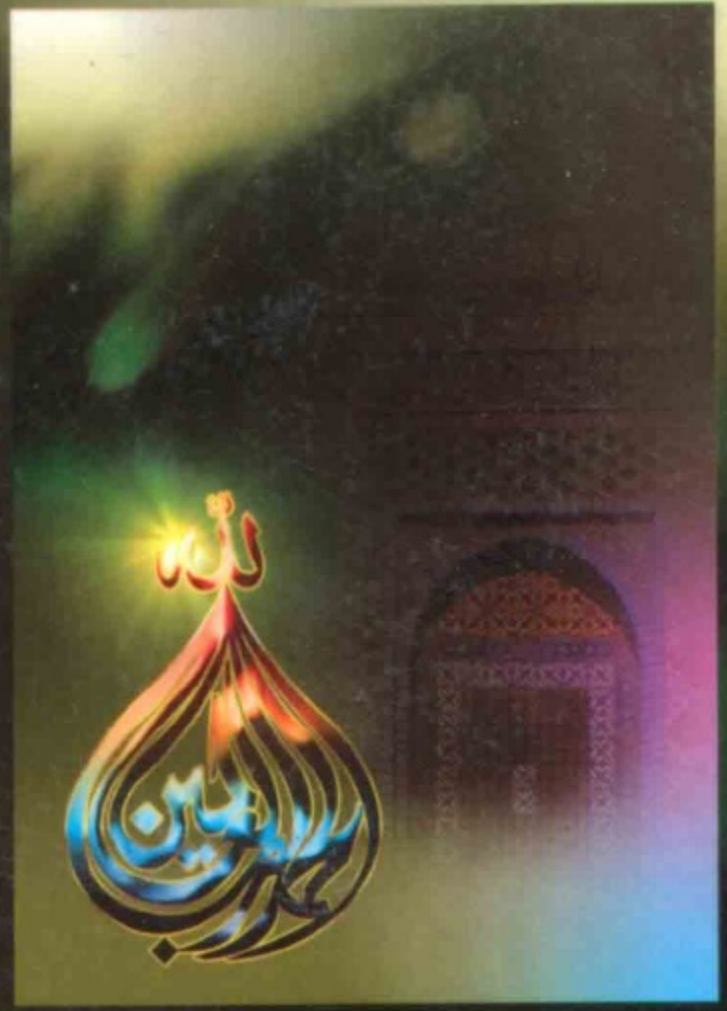
- ١ - زيارة عاشوراء، في رحاب الإمام المهدي عليه السلام
- ٢ - كفاية الزائرين
- ٣ - ضياء المؤمنين
- ٤ - الروح بين العلم والعقيدة
- ٥ - النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين
- ٦ - خدمة الناس في سيرة أهل البيت عليهم السلام
- ٧ - المنهج العبادي للأنبياء والأوصياء والعرفاء
- ٨ - النظام الصحي بين الطب الإسلامي والطب الطبيعي
- ٩ - حياة السيد المسيح عليه السلام
- ١٠ - كيف تواجه الابتلاء
- ١١ - بحوث في الإمامة والولاية
- ١٢ - جمال السالكين السيد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله
- ١٣ - كيف تقرأ القرآن الكريم
- ١٤ - وصايا العلماء

- ١٥ - غياث الملهوفين في التوسل بمحمد وآله الطاهرين
١٦ - الشفاء في الغذاء في طب النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام
١٧ - الأحلام نافذة على عالم الغيب
١٨ - يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن الكريم
١٩ - جواهر الأخبار في ما ورد عن النبي وآله الأطهار
٢٠ - مواعظ وعبر من حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء

تُطلب الكتب من المؤلف: جنوب لبنان - عديسة

تلفون: ٠٣/٦٤٩١٣٦

٠١/٢٧٩٥٨١



قصص وعبر

من حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء

دار الهدى



هاتف: ٤٨٧٠٥٥ / ١

ص.ب: ٢٨٦

E-mail: darahadi@daralhadi.com

URL: <http://www.daralhadi.com>